السيرة النبوية

لابن هشام

أبي محمّد عبد الملك بن هشام بن أيّوب
الحميري المعافري البصري
المتوفّى ٢١٣هـ - ٨٢٨م

الجزء الأول

حقّق أصولها ودقّق نصوصها وكتب مقدّماتها
وضبط ألفاظها ووضع فهارسها
طه عبد الرؤوف سعد
غفر الله له

دار الجيل
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

السيرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الحمدُ لله الذي أرسل رسولَه بالهدى ودينِ الحقِّ ليظهرَه على الدينِ كلِّه ولو كره الكافرون، والصلاةُ والسلامُ عليك سيدي يا رسولَ اللهِ، يا مَنْ بلَّغتَ الرِّسالةَ وأدَّيْتَ الأمانةَ ونصحتَ الأمةَ وتركتنا على المحجَّةِ البيضاءِ.

سيدي يا رسولَ الله، كلما ادْلهمَّت ظُلماتُ الأنفُسِ، واضطربت سكينةُ الأفئدة، وضاقت فجاجُ الأرض بما رحُبتْ.. تتطلَّعُ القلوبُ المؤمنةُ إلى رحمةِ اللهِ، وتترقْرقُ في العيونِ دموعُ الرجاءِ، وتختلجُ في الصدورِ زَفراتُ الندمِ، وإذا بشُعاعِ الأملِ يشرقُ بِسَنا طلعتِك فيهدي الحيارَى مثلما اهتدتِ البشريةُ من قبلُ، عندما نظرت الدنيا ترقُب الأملَ المشرقَ في سمائِها، فتهادتْ أضواؤُه تهادي الرجاءِ في القلوبِ الحائرةِ، وشع لألاؤه فارتسمتْ على صفحةِ الكونِ صورةُ الجلالِ، وسُطِّر في أُفقِ الحياة اسمُ محمدِ بنِ عبد الله، وأقبلَ الروحُ الأمين بهديَّة السماءِ إلى العالمين ﴿ **لقد جاءكم رسولٌ من أنفسِكم عزيزٌ عليه ما عنتمْ حريصٌ عليكم، بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ** ﴾

سيدي يا رسولَ الله.. إن العالمَ اليومَ أحوجُ ما يكونُ إلى النظرِ في سيرتِك، وما أشد حاجة المسلمين اليومَ إلى الأسوةِ الحسنةِ في روعةِ شخصيتِك.. والاقتداءِ بما تركته بين أيدينا، حتى لا تجرفَنا تياراتُ الضلالِ ونزغاتُ الهوَى.

فهل تأذنُ، لي سيدي يا رسولَ الله، يا خيرَ مُرْسَلٍ ويا أفضلَ الخلقِ، أن أقفَ ببابِك وأجولَ بنظري وفكري في جنباتِ سيرتِكومغازيك، أبغي الهدايةَ والعبرَةَ والموعظَةَ الحسنةَ، وأُهدي هذه الطبعةَ من (**السيرة النبوية لابن هشام**) إليكَ سيدي أبا القاسِم، يا علمَ الهدَى ونبيَّ الرحمةِ، لعلها تكونُ يومَ الحسابِ نوراً يهديني إلى الصراطِ المستقيمِ.

المحقق

طه عبد الرءوف سعد

مقدمات
و
دراسة

فهرسة المقدمات والدراسة للمحقق

الإهداء ٥

المقدمة

ما هو التاريخ ١١
الشكل التقليدي للتأريخ عند المسلمين الأوائل ١٣
مفهوم السيرة ١٣
الدواعي إلى جمع السيرة ١٤
القرآن الكريم والسيرة ١٥
أهمية السيرة النبوية لكل البشر ١٧
محمد نبي الإسلام ١٨
نسخ وطبعات السيرة ٢٠

الروّاد من كتّاب السيرة

١ ــ أبان بن عثمان ٢٤
٢ ــ عروة بن الزبير ٢٥
٣ ــ شرحبيل بن سعد ٢٨
٤ ــ وهب بن منبه ٢٨
٥ ــ عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن حزم ٢٩
٦ ــ عاصم بن عمر بن قتادة ٣١
٧ ــ الزهري : محمد بن مسلم ٣١
٨ ــ موسى بن عقبة ٣٤
٩ ــ معمر بن راشد ٣٥
جيل الواقدي وما بعد ابن إسحاق ٣٦
١٠ ــ الواقدي ٣٦
١١ ــ السهيلي ــ أحد شراح السيرة ٣٨

ـ مولده ونشأته ٣٩
ـ السهيلي والعلم ٤٠
ـ كتب ومؤلفات السهيلي ٤١
ـ السهيلي وأئمة عصره ٤٢
ـ وفاته ٤٣
ترجمة المؤلفين : ابن إسحاق وابن هشام
أولاً : ترجمة الإمام ابن إسحاق الكاتب الأصلي للسيرة
نسبه ونشأته ٤٤
رحلاته العلمية ٤٧
أساتذته ٤٨
تلامذته ومَنْ حَدَّث عنه ٥٠
مطاعن على ابن إسحاق والرد عليها ٥٢
مكانته عند العلماء ٦٣
مؤلفاته ٦٧
منهج ابن إسحاق في كتبه ٦٩
وفاته ٧٤
ثانياً : ترجمة ابن هشام الذي اشتهرت باسمه السيرة
اسمه ونسبه ٧٥
ولادته ونشأته ٧٥
منزلته ٧٦
مَن اشتهر بابن هشام من المؤلفين؟ ٧٦
منهج ابن هشام في تهذيبه سيرة ابن إسحاق ٧٨
شهرة سيرة ابن هشام بين العرب والمستشرقين ٨٠
وفاته ٨١
آثاره ٨١
مراجع ومصادر المحقق ٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بقلم المحقق

ما هو التاريخ : التاريخ هو رصد حركة الإنسان على هذه الأرض، وهذه الحركة تُسمى « الصراع ». وأنواع الصراعات كثيرةٌ أهمها وأقدمُها « الصراع البشري » أي صراع الإنسان مع أخيه الإنسان، وذلك منذ هبوط آدم ــ عليه السلام ــ على الأرض، قال تعالى﴿ **اهبطَا منها جميعاً بعضُكم لبعضٍ عدوٌّ** ﴾ ومنذ أن هبط ممثلا البشرية على الأرض آدمُ وحواءُ عليهما السلام، ومع أول صدام بين الإنسان وأخيه متمثل في حادثة قتل قابيل لشقيقه هابيل، وبعدها وإلى الآن، سجل لنا التاريخُ عبر الأزمنة الكثيرَ من هذه الصراعات المتزايدة بين البشر مع اختلاف الحوادث وتطور الأحداث، بين أن يكون صراعا لإحقاق الحق أو صراعا لإثبات باطل.

وبما أن التاريخَ هو الذاكرةُ البشرية، تلك الذاكرةُ التي تميز بها الإنسانُ على سائرِ المخلوقات، فإن الإنسانَ هو الكائنُ الوحيد على هذه الأرض، الذي له تاريخ يحفظه ويستفيد من عِبره لحاضره ومستقبله، ودليل ذلك التطورُ المذهلُ في حفظ تاريخه.

فقد كان الإنسانُ البدائيُّ يستخدم الذاكرةَ في قصِّ القَصصِ الممتزج

بهالةٍ من الأساطير والخرافات، التي تُبرز موضوع قصته، وخاصة عن أسلافه، ثم تطور إلى تدوين هذا القصص وخاصة المفاخر والأمجاد.

وكلمة تدوين تشمل العديد من الأساليب منها النقش والرسم، وبعدها الكتابة بمفهومها العام، ولغاتها المتعددة، وطرقها المختلفة، وأساليبها المتميزة.

وبما أن التاريخ عبارة عن خزانة الشعوب والأمم التي تحفظ بها أخبارها وحضارتها عن طريق التدوين ؛ فإن العربَ أيامَ الجاهلية لم يلتفتوا إلى أهميةِ التاريخ بمفهومهِ الآن ؛ بخلاف بعض المخلفات التاريخية التي وردت لنا من خلال رواياتِ الأنسابِ التي حفظت لنا بعضَ أحداثٍ وقع ذكرُها في ثنايا حديث النسَّابين، وكان هذا في الفترة التي سبقت مطلع الفجر الإسلاميِّ، وإن كانت قد تجلت بصورة أوضح في مبدأ الدعوة.

ورغم أن المسلمين الأوائلَ كانوا يعرفون مميزات التاريخِ في حفظ أمجادِهم، إلا أنهم انشغلوا بصنعِ هذا المجد عن تدوينه، وتناسوا تاريخ جاهليتهم الذي نظروا إليه نظرةَ عار وانحطاط أخلاقي وديني لا يستحق التدوين كالسلب والنهب ووأد البنات وما إلى ذلك. وإن كان للعرب في الجاهلية مكارم لا تُنسى كالكرم والشجاعة في محلها، والعفة والفروسية.

أيضاً كان انشغال الصحابةِ بالجهاد والفتوح عن جمع الأخبار وكان لا بد من أن يقوم بهذه المهمة، خاصة بعد أن رسخت القاعدةُ وبدأ البنيانُ الحقيقيُّ للهيكل الإسلامي، وانتشار الدعوة، ووضع الأسس والقوانين السماوية، وأصبح وضع المسلمين في حالة تمكنهم من التروِّي والاستقرار، فالتفت إلى هذا فريق من التابعين الذين كانوا يعتمدون في

جمع مادتهم على سؤال مَنْ شاهدوا الغزوات من الصحابة ومَنْ صاحب الأحداثَ التي وقعت للمسلمين في عهدِ صاحبِ الرسالةِ ــ ﷺ.

الشكل التقليدي للتأريخ عند المسلمين الأوائل : ولكنَّ الشكلَ التقليديَّ للتأريخ في أبسطِ صورِه ظهر على تلك الصورةِ في العصر الأمويِّ، غير أن مؤرخي بني أمية لم يعنهم من التأريخ إلا ما دعتهم إليه أسبابُ المحافظةِ على أركانِ الدولةِ : من ثناءٍ وإطراءٍ بمن اشتهر منهم، أو تحقيق لرواية نسب من الأنساب يكونُ فيها صالحٌ لدولتهم، وإن كان الدافع إلى ذلك في أغلب الأحيان هو الرغبة في العطاء..

ومما يُؤسف له أنه لم يصل إلينا من هذا التاريخِ شيءٌ إلا ما تناثر في بطونِ بعضِ كتب الأدب، نقلا عن الرواة، وقد يرجع ذلك إلى أسباب الاضطرابات والفتن في عصرِ بني أمية.

ولعل العباسيين قد تعمدوا إزالةَ آثار الأمويين، أو لعل الناسَ قد هجرت تلك الكتب وأهملتها مجاملةً لرأي بني العباس.

على أن التاريخَ الإسلاميَّ في حقيقة أمره، لم يتمهد له السبيل إلا في العصر العباسيِّ، حيث ظهرت بوادر التآليف في التواريخ العامة والخاصة.

وإن كان الواقعُ يهيب بنا أن نشيرَ إلا أن أولَ كتابٍ ظهر وفيه لمحاتٌ تاريخيةٌ هو « **القرآن الكريم** » وقد تجلى ذلك في استخراجِ العبرةِ من بعضِ الحوادثِ التي وَردتْ في آياتِ الله البيناتِ.

مفهوم السيرة :

ويرادُ بسيرة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : التعرفُ على حياته، من ظهور الإرهاصات التي مهدت لرسالته، وما سبق مولدُه من

سمات تُلقي أضواءً رحمانيةً على طريقِ الدعوةِ المحمدية، ومولده ونشأته حتى مبعثَه.

وما جاء بعد ذلك من دعوةِ الناسِ الى الدينِ الحنيفِ، وما لقي في سبيلِ نشرِ الإسلامِ من معارضةٍ، وما جرى بينه عليه الصلاةُ والسلام وبين من عارضوه من صراع بالقول والسيف، وذكر من استجاب له حتى علت رايةُ الحقِّ وأضاءت شُعلةُ الإيمان.

وقد عُرفت تلك الحروب بالغزوات والسرايا، وإن غلب عليها لفظ المغازي « أي الحروب التي اشترك فيها الرسولُ ــ ﷺ ــ بالقتال »، ولكن هذا الاسم تطور مع الزمنِ، حتى شمل معناه تاريخَ حياةِ النبيِّ ﷺ والصحابة، رضوان الله عليهم، ومن الأرجح أن كلمة « مغازي » كانت تشير إلى حياة النبي في المدينة المشرفة فقط، وذلك لأن المدينة هي التي شهدت فترة الغزوات والقتال بين المسلمين وغيرهم من أهل الشرك. ثم اتسع نطاقُ هذا اللفظ ليشمل سيرةَ النبي ــ ﷺ ــ بأكملها.

الدواعي إلى جمع السيرة :

عندما أخذ علماءُ الإسلام في جمع القرآن الكريم وتفسيره، وجمع الأحاديث ووجدوا أنفسهم في حاجةٍ إلى تحقيق أماكنِ نزولِ الآيات، وإيضاح حقائق الأحداث التي جرت، وكذلك بالنسبةِ لجمعِ الأحاديث، والتشريع بالحلال والحرام في أقوالِ وأعمالِ الرسولِ ــ ﷺ ــ وأيضاً أقواله في التشريعِ والتفسيرِ والمواعظ، فكان لا بُدَّ من الرجوعِ إلى جمعِ السيرةِ النبوية أولا ؛ لأنها المنبت الخصبُ لذلك كله، والمرجعُ الصادقُ في هذا الشأنِ.

القرآن الكريم والسيرة :

جاء الإسلام ليمحي الجهلَ والتخلفَ، فقد كان العرب قبلَ الإسلامِ غارقين في جاهليتهم، فأحدث القرآنُ الكريمُ بنزوله هزةً في أعماق جهلهم، واستمر في هزِّ سباتهم وجهلهم، حتى قَلَبَ الأمرَ رأساً على عقب، ليضيء نورَ العلم والمعرفة.

وكما نعرف جميعاً أن أول ما نزل الوحيُ على النبيّ الأميّ أمره : ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ ويحثه على العلم والمعرفةِ بقوله : ﴿ **الذي علَّم بالقلم** ﴾ إشارة إلى محو الجهل بنور العلم والقراءة والكتابة.

لذلك كان النبي ﷺ يشجع المسلمين على محو أميتهم فنجده في غزوة بدر يفدي بعض الأسرى الذين يكتبون أن يعلموا عشرة من صبيان المدينة الكتابة.

وكان القرآنُ الكريم وبجواره السنةُ النبوية الشريفة مصدرين أساسيين للتاريخ الإسلامي، خاصة ما اتصل بالسيرة النبوية، وبجوار السيرة كان القرآن يرصد لنا للعبرةِ بعض القَصَصِ البشري بصفة عامة، أي أن التاريخ القرآني يعد تاريخا لكل البشر والبشرية.

وقد رصد لنا القرآن تاريخ النبي بصفة خاصة من خلال بعض الآيات القرآنية، وأحياناً كان يشتمل على سورة بأكملها كسورة الأنفال. تشير إلى سيرة النبي ــ ﷺ ــ وأصحابه.

ومثالاً على التأريخ القرآني للسيرة تلك الآيات التي تحكي تاريخ الدعوة. فقد أمر الله تعالى نبيه ــ بعدَ نزول الوحي ــ الأمرَ الأولَ بالدعوةِ بقوله تعالى : ﴿ **يأيها المدثِّر. قمْ فأنذرْ** ﴾ ثم أمره بعلانية

الدعوة بقوله : ﴿ **وأنذرْ عشيرتَك الأقربين * واخفض جناحَك لمن اتبعك من المؤمنين** ﴾ ﴿ **فاصدعْ بما تُؤْمرُ وأعرضْ عن المشركين** ﴾ ونجد في سورة « عبس » تصف لنا الآيات رد فعل المشركين تجاه ما يدعو إليه النبي وتجسد لنا ما تعرض له محمد وأصحابه من الأذى وتعنت الكفر. والآيات تحثُّ النبي وأصحابه على التحلي بالصبر.

ويستمر القرآن الكريم بِعرض سيرة النبي : من هجرة المسلمين معه إلى المدينة، والإذن لهم بالقتال، ووعدهم بالنصر على المشركين بقوله تعالى : ﴿ **أُذِنَ للذين يُقَاتَلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرِهم لقدير. الذين أُخرجوا من ديارِهم بغير حقٍّ إلا أن يقولوا ربُّنا الله ...** ﴾ وهنا نجد الآية تحمل لنا خلفية تاريخية توضح لنا حال المسلمين.

ثم نزلت الآيات ترصد الغزوات ففي غزوة بدر نزلت سورة « الأنفال » وفيها نُصح للمسلمين بألا يختلفوا بشأن الغنائم، وتشرح للمسلمين كيف تقسم هذه الأنفال، وتحذرهم من الخلاف عليها، وأكثر من ذلك حيث عرضت لنا صورة حية لحال المسلمين والأسرى.

ونزلت مواضع من سورة « آل عمران » أيضاً لغزوة بدر وغزوة أحد حيث خففت على المسلمين، ووبخت مَنْ عَصَى أمر الرسول، وتشد من أمر المناضلين، وتُوعد الشهداء بأنهم أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون، وأن لهم الجنة.

وفي غزوة الأحزاب تنزل سورة « الأحزاب » صورة كاملة حية لهذه الغزوة حيث صَوَّرت ما دار في فترة الحصارِ، وحال الأحزاب، وموقف اليهود والمنافقين.

وفي مراحل الغزو الأخيرة في آخر حياته الشريفة ﷺ، تنزل سورة « براءة ».

وفي سورة « النصر » أيضا : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ حيث بُشر المسلمون بالنصر وفتح مكة، وحلولِ عصرِ الفتوحاتِ الإسلامية المتوالية.

إن هذا العرض المبسط محاولةٌ لإلقاء الضوء على أهمية القرآن الكريم كمصدرٍ أساسي لتأريخ سيرة الرسول ــ ﷺ ــ والمسلمين من الصحابة سواء في مكة أو المدينة، أو المغازي والمواقف الذي اصطدم فيها المسلمون مع المشركين أو اليهودِ والمنافقين، وأيضاً المواقف التي تُهم المسلمين خاصةً، وأرشدهم للطريق القويمِ وموقف الرسول ــ ﷺ ــ من ذلك وذاك.

أهمية السيرة النبوية لكل البشر :

إن سيرة النبيِّ ــ ﷺ ــ تمتاز بصفاتٍ تجعلها تنصبُّ في المكان الأول بين سير التاريخ، ومن أهم تلك الصفات أنها سيرةٌ تاريخية بمفهومها العام ؛ ومن كونها موثَّقةً بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وكون سيرةُ محمد ــ ﷺ ــ تاريخيةً يُقويها لدى مريديها، أن السيرة الخرافية الأُسطورية لا تلقى أيَّ اهتمام لدى السامع أو القارئ.

أما سيرةُ النبيِّ ــ ﷺ ــ فسيرةٌ يشهد لها المحققون والثقات من الرواة، لذلك نجد الناس يهتمون بها اهتماماً ليس فيه رعونة أو ضياعٌ لوقت فراغهم، بل يشغفون بها لكونها حقيقةً ثابتة راسخة في وجدان التاريخ.

ومن أغراض الاهتمام بالسيرة النبوية أن يتصور المسلمُ من خلالها

الحقيقةَ الإسلامية الكاملة المتمثلة في حياةِ النبيِّ ــ ﷺ ــ لأنها سيرةُ أعظمِ البشرِ وأصلحهم خاتمِ النبيين، فهو مُنذرٌ ومبشّرٌ وداعٍ وسراجٌ منير، وهو أيضاً جامعٌ لكلِّ الصفاتِ الحميدة، التي جعلت سيرته تمتازُ عن غيرها، وأن تكون مثلاً أعلى للبشر كافة، وإلى جانب تلك الصفات، أنه أدَّى الأمانة وبلَّغ الرسالة الأخيرة التي بعثه الله عزّ وجلّ بها إلى العاملين، فجاء بالشريعةِ التي لا يحتاج الفرد إلى غيرها لذلك فإن سيرتَه ــ ﷺ ــ عطرة خالدة حتى يومَ القيامة.

وإن شخصية محمد ــ ﷺ ــ بما لها من صفاتٍ جامعةٍ وعادات نبيلة عالية فقد بُعث لِيتمم مكارمَ الأخلاق، لذلك تعلق المسلمون بسيرةِ نبيِّهم لما فيها من أسوة حسنة ومثلا أعلى قال تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسولِ الله أُسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليومَ الآخر** ﴾.

ولن نخوض في ذلك المجال أكثر من ذلك لأن أهمية السيرة لها جوانب عدة تحتاج إلى دراسة خاصة واسعة النطاق تتناسب وشخصية ومكانة صاحب السيرة ــ ﷺ ــ

محمد نبي الإسلام :

الشاهدُ على تعاليم الله وهدايته، ومبشر الصالحين بالجنة، ومُنذر الكافرين الغافلين، ومحذِّر المذنبين، وداعي الضالين عن الحقِّ والعدلِ، نور ومصباحٌ يُستضاء به في الظلمات للسائرين والقلوب الغافلة. قال تعالى : ﴿ **يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومُبشراً ونذيراً * وداعياً إلى اللهِ بإذنهِ وسراجاً منيراً** ﴾ إن شواهد القرآن الكريم على الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية ــ على صاحبها الصلاة والسلام ــ كثيرة ولا يغفلُ واحدٌ منها أن يشير إلى مكانةِ محمد ــ ﷺ ــ بينَ الرسلِ يقول

تعالى : ﴿ **تلك الرسلُ فضَّلنا بعضَهم على بعضٍ** ﴾ ولأخلاقِ النبي إشارة قرآنية كريمة أيضاً قال تعالى : ﴿ **وإن لك لأجراً غير ممنون * وإنك لعلى خُلقٍ عظيم** ﴾

ومن خصائله رقةُ القلبِ والرأفةُ والكرمُ قال تعالى : ﴿ **فبما رحمةٍ من اللهِ لنتَ لهم، ولو كنت فَظّاً غليظَ القلبِ لانفضُّوا من حولِك** ﴾.

وقد أشار القرآن الكريم إلى حرص النبي ــ ﷺ ــ على نشر الدعوة،وخوفه على قومه،ورأفته عليهم ورحمته بقوله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسولٌ من أنفسِكم عزيزٌ عليه ما عنتمْ حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رحيم** ﴾

هذه بعض الآيات التي شهدت على مكارم أخلاق النبي وفضله وخصائله.

وهناك أيضاً وجهٌ آخر من غير المسلمين وصلته السيرة النبوية فأبهرته شخصيةُ محمد ــ ﷺ ــ فلم يلتفت إلى التعصب المذموم بل حايد وقال ما يشعر به في مدح النبي ــ ﷺ ــ ومن هؤلاء على سبيل المثال : « الفونس لامارتين » الذي أشار إلى عظمة النبي ــ ﷺ ــ في مقدمة « تاريخ تركيا » ولا يسعني هنا أن أنقل كل ما كتب لكني ألقي الضوء على بعضها قال لامارتين :

« أبداً لم يبدأ إنسان بمثل هذه الوسائل الضعيفة عملاً فوق طاقةِ البشرِ، لأنه لم يجدْ في تصميم هذا المقصود ولا في تنفيذه آلةً غيرَ نفسِه الوحيدةِ، ولا أنصارا غير بضعةٍ من البدويين في كنفِ الصحراء ».

« أكان هذا الرجل، خَدَّاعا مُدَّعياً كاذباً ؟ لا نظنه هكذا بعدما درسنا حياته وتاريخه. إن ادعاءَ الكذب هو رياءٌ ونفاق بالنسبة إلى المعتقد

الأصلي، والنفاق ليس فيه قوةُ التأمين وإيحاءُ الطمأنينة للغير، كما لا يوجد في قول الزور قوةٌ لحقِّ الصداقة ».

« فيلسوف، خطيب، رسول، مُشرِّع، مجاهد، فاتح الأفكار، معيد للمعتقدات المعقولة، ولعبادة ليس فيها أصنام، مؤسس لعشرين دولة دنيوية، ودولة واحدة روحانية ــ هذا ما كان محمد ــ ﷺ ــ

مهما كانت المقاييس التي تقاس بها عظمة الإنسان، من يكون أعظم منه ؟؟؟ »

لعل الطاعنين على الإسلام والمحاربين له من أوربا وغيرها يقتدون برجلٍ مفكر من بينهم، حاول فهم الإسلام وقد أفلح. وإن لم يستطع أن يعبر التعبير الصحيح الذي يُختصر في كلمة واحدة « النبوة ».

نسخ وطبعات السيرة

إن النسخ المخطوطة من السيرة كثيرة، يوجد أغلبها في معظم مكاتب أوربا، وهناك نسخة ناقصة بالمكتبة التيمورية، أما النسخة الأصلية رواية ابن إسحاق فقد كان « كربسيك **Karabacek** » يظن أنه عثر على ورقة منها بين مجموعة البردي الخاصة بالأرشيدوق « رينر **Rainer** » والمحفوظة في مكتبة مدرسة كوپريلي بإستانبول « دفتر ١١٤٠ » ولكن ظهر أنها نسخة من كتاب ابن هشام. ولا يزال كتاب المغازي باقيا حتى اليوم في بطون الكتب مثل ما جاء في كتاب الماوردي « الأحكام السلطانية » وفي الفقرات التي أوردها الطبري في تاريخه.

وأخيراً وَصَلَنَا قسمٌ من سيرةِ ابنِ إسحاق بهيكلها الأصليِّ دونَ حذفٍ أو تعديلٍ أو تهذيبٍ كما فعل ابنُ هشام، وتوجد قطعتان من هذا

الكتابِ في مكتبة القرويين من رواية يونسَ بن بكير، وأيضاً توجد قطعة في دمشق من رواية ابن سلمة عن ابن إسحاق، وهذه المخطوطات اعتمد عليها الأستاذ محمد حميد الله في تحقيق سيرة ابن إسحاق.

وقد أكد ذلك أيضاً بحث الأستاذ عبد العزيز الدوري عن السيرة وابن إسحاق، فقد قال : « وصلنا أخيرا قسم من سيرة ابن إسحاق بصورتها الأصلية قبل تهذيب ابن هشام ».

وذكر الاستاذ محمد حميد الله : ان الأصلين الفاسي والدمشقي قديمان : والقطعة الأولى في فاس ناقصة الأول، وكان الناقص هو الورقة الأولى فقط وفي آخره ما نصه :

« آخر الجزء الأول من كتاب المغازي لابن إسحاق يتلوه في الثامن ــ إن شاء الله ــ حديث بَحِيرا الراهب ».

والقطعة الثانية مختلفة من الأول، ولكن تبتدئ بحديث بحيرا. فهي تكمل الأولى. وفيها من الصفحة ٣٩ إلى ٤٤ سماعات بعضها مؤرخة من سنة ٤٥٦ هـ.

وتنتهي القطعة الثانية في حديث **المعراج والإسراء**.

أما القطعة الدمشقية فتبتدئ في أثناءِ قصة غزوة بدر، وتنتهي في أثناء قصة أُحد.

وعلى عنوان المخطوطة : « يتلوه غزوة السويق، غزوة ذي إمَر إلى نجد سنة ثلاث ».

وفي آخر القطعة : « كتبه طاهر بن بركات الخشوعي في شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وأربع مائة ».

ثم هناك ثبت السماع من الخطيب البغدادي « وذلك بمدينة دمشق من الجامع، في العشر الأُول من ذي الحجة سنة ٤٥٤ هـ ».

وقد طبعت سيرة ابن هشام عدة مرات :

١ ــ طبعة جوتنجن ــ وهي أصحها ــ بألمانيا سنة ١٨٦٠ م : بعناية وستنفيلد المستشرق الألماني في مجلدين، مضبوطة بالشكل اللازم، وألحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس، وفي صدره ترجمة ابن إسحاق نقلا عن ابن قُتيبة وابن خِلِّكان وابن النجار. ونقل عن كتب عيون الأثر لابن سيد الناس اليعفُري من أهل القرن الثامن للهجرة : ما قيل من الطعن فيه والرد على الطعن. وغير ذلك من الفوائد الكثيرة.

٢ ــ وطُبعت السيرة أيضاً في بولاق في ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ هـ.

٣ ــ وطُبعت بالمطبعة الخيرية في مصر في ثلاثة مجلدات سنة ١٢٢٩ هـ.

٤ ــ طُبعت بليبزج سنة ١٩٠٠ م.

٥ ــ طبعت على هامش كتاب « الروض الأنف » بمطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ هـ/١٩١٤ م.

٦ ــ وهناك طبعة على هامش زاد المعاد في هَدْي خير العباد سنة ١٣٣٣ هـ.

٧ ــ طُبعت في شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده طبعتين : الأولى سنة ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦م، والثانية سنة ١٣٧٥ هـ /١٩٥٥ م. من تحقيق الدكتور مصطفى السقا وزملائه.

٨ ــ طبعت في مطبعة حجازي للمكتبة التجارية في أربعة أجزاء سنة

١٣٥٦ هـ/١٩٣٧ م، من تحقيق الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.

غير طبعات أخرى كثيرة لن يسع الوقت للحديث عنها.

وها هي طبعتنا الجديدة والتي امتازت ــ بعون الله ــ وأرجو منه تعالى ألا نكون قد سُبقنا إليها.

فهي فوق الشرح الكامل والتعليقات المفيدة جاءت مقدما لها بمقدمات مفيدة في دراسة هامة عن السيرة ومؤلفيها وأشهر شارحيها مع التحقيقات المهمة والفهارس المستوفاة، فإن كنت قد أحسنت فبفضل من الله ونعمة، وإن كانت الأخرى فبضعفي البشري الذي لا يسلم منه أحد.

﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾.

الرواد من كتاب السيرة

إن سيرة النبي ــ ﷺ ــ شغلت الكثير من المسلمين والمؤرخين فأول ما اهتم بها فريق من التابعين فقد كانت تعقد مجالس خاصة يتحدثون فيها عن مغازي رسول الله ــ ﷺ ــ يسألون العلماء والحفاظ من آبائهم أو ممن سمع منهم عنهم، مثلا عن غزوة من الغزوات كيف كانت ؟ ومن شهدها ؟ وكم عدد المشتركين بها ؟... فكان يحدثهم العالم بذلك بطريقة علمية دقيقة لرصد الوقائع وتمييز الصحيح منها.

وهذه الطريقة وهي طريقة الإسناد، قامت بحفظ الحقائق صحيحة لا يدخل عليها تشويه أو افتراء، وربما انفردوا بذلك لعلمهم بأهميةِ سيرة النبيِّ ــ ﷺ ــ فنجدهم تحملوا مسئولية الصدقِ في الرواية واختبار الصحيح منها، عن طريق الجُرحِ والتعديل.

ومن أغراض جمعهم للسيرة أيضاً محاولة تفسير بعض الآيات التي أشارت إلى وقائع غزوات النبي ــ ﷺ ــ

ومن ذلك وذاك وَجد جيل التابعين ومن تلاهم أهميةً كبرى في جمعِ سيرة النبي فأخذوا يجمعون روايات وأقوالَ وأفعالَ النبيِّ ــ ﷺ ــ حتى شملت سيرته وحياته.

وأول من روى سيرة النبي جماعة من التابعين هم :

١ ــ أبان بن عثمان :

هو أبان ابن الخليفة عثمان، وُلد قبل سنة ٢٠ هجرية لا بعدها، لأنه كان في عام ٣٦ من الهجرة قد بلغ من العمر ما مكنه من الاشتراك في خروج عائشة وطلحة والزبير للطلب بثأر عثمان الذي [تُوفي سنة ٣٥ هجرية]. عيَّنه الخليفة عبد الملك والياً على المدينة عام ٧٥ هـ.

واستمر أبان في ولايته عليها سبع سنوات، حتى عام ٨٣ هـ، وفي أثناء ولايته كان الخليفةُ يعهد إليه كل عام بإمارة الحج. ولما لم يأت إليه أمر الخليفة في عام ٨١ هـ بسبب انشغاله بالحرب، تطلع والي مكة للتشرف بإمارة الحج، إلا أن أبان تمسك بأولويته بالإمارة، لنسبه وقرابته.

وقد اختلفت الروايات في تاريخ وفاته، فذكر البخاري أنه تُوفي في عهد الوليد [٨٦ ــ ٩٦ هـ]، وذكر ابن سعد أن وفاته في أيام يزيد الثاني [١٠١ ــ ١٠٥ هـ].

وتذهب بعضُ الروايات أن وفاتَه نهاية عهد يزيد الثاني [١٠٥ هـ].

وكان أبان من فقهاء المدينة، فيروى أنه كان يحفظ فتاوى أبيه، وبعض الروايات تنفي سماعه الأحاديث عن أبيه.

أخذ عنه الحديث أبو الزناد والزُّهْرِيُّ وابنه عبد الرحمن، ورغم شهرته في كتب الأحاديث، إلا أن ابن إسحاق والواقدي وابن سعد لم يذكروه.

روى عنه أيضاً المغازي : المغيرةُ بنُ عبد الرحمن. وقد ذكر ابن سعد في ذلك الموضع : « كان ثقةً قليلَ الحديث، إلا مغازي رسول الله ــ ﷺ ــ أخذها من أبان بن عثمان، فكان كثيرا ما تُقرأ عليه، ويأمرنا بتعلمها ».

٢ ــ عروة بن الزبير

أحدُ الأشرافِ السابقين إلى الإسلام، كان العوّام جد عروة أخاً لخديجة، وكان أبوه الزبير من السابقين الأولين إلى الإسلام، وأخوه عبد الله هو قائد أبناء المهاجرين والأنصار الذين لم يرضوا خلافة يزيد، وحكم في مكة من عام ٦٤ ــ ٧٣ هـ. وعبد الله يكبر أخاه عُروة بكثير من السنين، حتى نجده يتلقى خبرَ أخيه الأصغر عندما رجع عام ٢٦ هـ إلى المدينة، ولصغر سنه لم يُسمح له بالاشتراك في معركة الجمل [سنة ٣٦ هـ] التي مات أبوه بها.

كان عروةُ يجتمع كلَّ ليلةٍ في نظامٍ ببعض أصدقائه في مسجد المدينة في الأعوام الأخيرة من عهد معاوية [٤١ ــ ٦٠ هـ]، وأصبح فيما بعد موضعَ ثقةِ الخليفةِ عبد الملك، وعن تلك الاجتماعاتِ يروي لنا ابنُ خِلكان رواية تحكي عن زهده في الدنيا فقال : « إن المسجد الحرام جمع بين عبد الملك بن مروان، وعبد الله بن الزبير، وأخويه مصعب

وعروة المذكور، أيام تألفهم بعهد معاوية بن أبي سفيان. فقال بعضهم : هلمّ فلنتمَنَّه. فقال عبد الله بن الزبير : أمنيتي أن أملكَ الحرمين وأنال الخلافةَ : وقال مصعبُ : أمنيتي أن أملك العراقين وأجمع بين عقيلتي قُرَيْش : سُكَيْنة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة. وقال عبدُ الملك ابن مروان : أمنيتي أن أملك الأرض كلَّها، وأخلف معاوية. فقال عروة : لستُ في شيء مما أنتم فيه، أُمْنيتي الزّهدُ في الدنيا، والفوزُ بالجنةِ في الآخرة، وأن أكونَ ممن يُروى عنه العلم. قال : فصرف الدهر من صرفه، إلى أن بلغَ كلُّ واحد منهم إلى أمله، وكان عبد الملك لذلك يقول : « من سَرَّهُ أن ينظر إلى رجلٍ من أهلِ الجنةِ، فلينظر إلى عُرْوَةَ بنِ الزُّبير ».

وقد ترك عروةُ المدينةَ ورحل إلى مصرَ وأقَام بها سبعَ سنين، ذكر البلَاذُري عن عروة قوله : « أقمت بمصر سبع سنين، وتزوجت بها، فرأيت أهلَها مجاهيدَ، قد حُمل عليهم فوقَ طاقتهم ؛ وإنما فتحها عمرو بصلح وعهد، وشيء مفروض عليهم ».

وقد حكت لنا الروايات خبر قطع رجل عُروة وموت ابنه محمد، منها رواية هشام بن عروة قال : « ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شكت رجله، فقيل له : اقطعها. قال : إني لأكره أن أقطع مني طابقاً. فارتفت إلى الركبة، فقيل له : إنها إن وقعت في الركبة قتلتك. فقُطعت ولم يُقبض وجهه. وقيل له قبل أن يقطعها : نُسقيك دواءً لا تجد معه ألماً، فقال : ما يسعني أن هذا الحائط وقاني أذاها...

وسقط محمد بن عروة بن الزبير، وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية، من سطح في إصطبل دواب الوليد بن عبد الملك، فضربته بقوائمها حتى قتلته، فأتى عروة رجل يعزيه فقال عُروة : إن كنت تعزيني برجلي

فقد احتسبتها. فقال : بل أعزيك بمحمد. قال : وما له ؟ فخبَّره بشأنه، فقال :

وكنتُ إذا الأيامُ أحدثن هالكاً أقول شوى، ما لم يُصبن حميمي

اللهم، أخذت عضواً وتركت أعضاء، وأخذت ابناً وتركت أبناء، فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت، وإن كنت ابتليتَ لقد عافيت.

ورواية أخرى في نفس الموضوع تقول : « إن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك، وقد قُطعت رجله، فقال عروة لبعض بنيه : اكشف عن رجلي ينظر إليها. فقال له عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون، يا أبا عبد الله، ما أعددناك للصراع ولا للسباق، ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك : رأيَك وعلمَك. فقال عروةُ : ما عزاني أحد عن رجلي مثلك ».

وليس لدينا خبر يقيني عن سنة وفاة عُروة ؛ ولكن تؤكد روايات الثقات أنه توفي سنة ٩٤ هـ.

وكان عروة أحد فقهاء المدينة السبعة، وكما نعرف أن مقامه بالمدينة تلك الإقامة مكنته من جمع أخبار عن الأيام الأولى من الإسلام، عرفها من أبيه وأمه ومن عائشة أكثر من غيرها، وكان لا يقطع زيارتها وسؤالها، وكان يشتهر بمعرفته للحديث.

ونجده بجوار تدريسه إلى تلاميذه، يدون المعلومات عن حوادث الصدر الأول من الإسلام وقد وصلتنا عن طريق كتب ابن إسحاق والواقدي والطبري. وهي عبارةٌ عن رسائل إلى الخليفة عبد الملك كما ظن « هوروفتس » وبعضها يخاطب بها ابن أبي هُنيْدة، الذي عاش في كنف الخليفة الوليد، وما دوَّنه عروة يعتبر أقدم المدوَّنات التي حكت لنا

حوادث النبيِّ الخاصة بحياته، وأيضاً يرجع أهميتها من كونها أقدم نثر تاريخي عربي، رغم عدم عثورنا على أي كتاب مؤلَّف له في المغازي، إلا أنه كان له فضل كبير في جمع وإخراج أهم الأحاديث عن المغازي والسِّير، وكان عروةُ شغوفاً بالحديث، ويخبرنا ابنه هشام : أن عروة لم يقلْ في شيء قط برأيه، وإنما كان يعَوِّل على الحديث وكان أيضاً مُحبّاً للشعرِ، يقول هوروفتس : « إن عروة أدخل أشعار المشركين في الحوادث، حتى في الأحاديث الخاصة بسيرة النبيِّ ــ ﷺ ــ التي رواها لتلاميذه كما فعل ابن إسحاق فيما بعد ».

٣ ــ شُرَحْبيل بن سعد

هو شُرَحبيل بن سعد، مولى بني خطمة المدنيين، ويقال إنه عرف عليًّا [المتوفَّى سنة ٤٠ هـ] ويقال إنه مات عام ١٢٣ هـ وقد نيف على المائة، وأخذ الحديث عن زيد بن ثابت، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، ولم يقف ابن إسحاق على روايته، وحين سُئل عنه : « وأَحدٌ يُحدث عن شرحبيل ؟! » ورغم ذلك ذكره ابن حبان في الثقات، ولا يروي عنه بجانب ابن إسحاق الواقدي، ونجد ابن سعد يأخذ عنه خبرا عن هجرة النبي من قباء إلى المدينة، ولا يذكر شُرحبيل في هذا الخبر أيَّ إسناد.

٤ ــ وَهبُ بنُ مُنبه

كان وهب بن منبه من أصلٍ فارسيٍّ، من إحدى الأسرات الفارسية التي استقرت في جنوب بلادِ العربِ في الجاهلية، ويُلقَّب جدُّه الأكبر بالإسوار، ويذكر الواقدي أنه اعتنق الإسلام سنة ١٠ هـ وهذا خطأ لأن

وهباً وُلد بعد الهجرة وليس قبلها، والأصح أنه وُلد مسلماً، وربما يقصد الواقديُّ إسلامَ أبيه لأن وهباً وُلد عام ٣٤ هـ.

وكان وهب يعيش عيشةً زاهدةً ؛ فيقال « لبث وهب بن منبه عشرين سنة ولم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً... ولبث أربعين سنة لم يرقد على فراش ».

ويُعرف وهب في المصادر بأنه ثقة، ويقال إنه رَوَى عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة وغيرهم ؛ ولكن لم يقبل الرواة على الأخذ عنه إلا في النادر، وربما يرجع ذلك لأنه كان يعنى عنايةً خاصة بأحاديث أهلِ الكتاب، وأنه كان يعرف ما تحويه كتب اليهود والمسيحيين المقدَّسة، عن طريق صلاته باليمنيين من أهل الكتاب ويُعتبر وهبٌ من الثقاتِ المعتمدين في قصص الأنبياء خاصة. ولكنه تطرق إلى تاريخ العُباد، أي الأولياء.

إن كتابات وهب تعتبر مدخلاً إلى سيرة النبي حيث إنها ترتبط بالرسالات السماوية قبل نبينا محمدٍ ــ ﷺ ــ وكان وهبٌ من آخر جيلِ التابعين حيث بدأ جيل تابعي التابعين وهو جيل شيوخ ابن إسحاق، من بينهم عبدالله بن أبي بكر بن محمد، وعاصم بن عمر بن قتادة، ومحمد بن مسلم الزهري.

٥ ــ عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن حزم

هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد، وُلد بالمدينة، كان أبوه أبو بكر قاضياً في المدينةِ من عام ٨٦ هـ وكان عالماً بالفقْهِ : قال ابنُ وهبٍ عن مالكٍ : « لم يكن أحدٌ بالمدينة عنده من علمِ القضاءِ ما كان عندَ أبي بكرِ بنِ حَزْمٍ » وكان قد أخذ الفقه عن أبان بن عثمان، وتقلد ولاية المدينة وتوفي عام ١٢٠ هـ تقريباً.

وقد تنصب ابنه محمد للقضاء في المدينة مثل أبيه.

هكذا نشأ عبد الله بين أسرة رفيعَة المقام والعلم، ولكنه لا يميل إلى المناصب خاصة وقد كان أبوه حيا. وقد ذكر ابن حجر عن مالك أخبرني ابن عنزابة قال : قال لي ابن شهاب : من بالمدينة ؟ فقال ابن شهاب : ما ثَمَّ مثل عبد الله بن أبي بكر، ولكنه يمنعه أن يرتفع ذكره مكان أبيه وهو حي.

وكان عبد الله يأذن لابن إسحاق أن يسمع من عمرة زوجته، وكان عبد الله لا يفصح لابن إسحاق على بعض الأمور التي ربما قد تسيء إلى بعض الصحابةِ، فلم يذكر له مثلا أسماء المدنيين اللَّذَيْن خالفا أوامر النبي أثناء نزول عسكره بجوار الحجر (حِجر ثمود).

قال ابن إسحاق في ذلك : « حدثني عبد الله بن أبي بكر أن قد قد سمى له العباس الرجلين، ولكنه استودعه إياهما، فأبى عبد الله أن يسميهما لي ».

ويعتبر عبد الله هذا هو أول من استعمل الترتيبَ السنويَّ، لذلك نجده يجمع الغزوات مرتبة حسب السنوات، وقد اقتبسها ابن إسحاق في السيرة، وقد نقل عنه أيضاً الرسالة التي كتبها النبيُّ إلى ملوك حِمْير، والوثيقةَ التي أعطاها النبيُّ جدَّه الأكبر عمرو بن حزم ليأخذها معه إلى أهل نجران، حيث كان يفقههم في الدين.

وكان عبد الله مثل من سبقه يذكر الأشعار بين الحوادث.

وتوفي عبد الله ما بين ١٣٠ أو ١٣٥ هـ، فقد اختلفت الروايات منهم من قال سنة ١٣٠ هـ، ومنهم من قال ١٣٥ هـ ولكنه توفي وهو ابن سبعين سنة.

٦ ــ عاصم بن عمر بن قتادة

كان عاصم بن عمر بن قتادة من المدينة أيضاً، وكانت أسرتهُ من السابقين إلى الإسلام. وجَدُّه قتادةُ أحدُ الأنصار الذين حاربوا في بدرٍ مع النبيِّ ــ ﷺ ــ وهو أيضاً حاملُ لواءِ قبيلته في حُنين.

وكان عاصم من أهل العلم بالمغازي، ذكر ابن سعد قدومَ عاصم إلى دمشق فقال : « وفد على عُمر بن عبد العزيز فقضى دينَه، وأمره أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناسَ بالمغازي ومناقب الصحابة ؛ ففعل، ثم رجع الى المدينة »

وعاصم بن عمر من بين الثقاتِ في رواية الحديث، وقد روى عنه ابن إسحاق والواقدي : المغازي، وكان أيضاً يجمع أخبار شباب النبي ــ ﷺ ــ في مكة.

وهو دائمُ التصريحِ بالإسنادِ، وأيضاً يُدخل الشعرَ بينَ الأحداث، وكان كثيراً ما يحلل تلك الحوادث بالرأي الخاص به. وتُوفي رحمهُ اللهُ حوالي عام ١١٩ هـ.

٧ ــ الزُّهْرِيُّ = محمد بن مسلم

هو محمدُ بن مسلم بن عبيد الله، بن عبد الله بن شهاب، يُكنى أبا بكر، من بني زُهرة بمكة، وقد اختلفت الرواياتُ في مولده بين سنة ٥٠ أو ٥١ هجرية وقيل سنة ٥٦ أو ٥٧ أو ٥٨.

كان الزهري وثيق الصلة بعبد الملك وكان يفتي في أيام عمرَ بنِ عبدِ العزيز في بعض المسائِل الفقهية.

اشتهر الزهريُّ بالكرم، قال عنه قُرة بن عبد الرحمن : « ما رأيت أحداً، الدينارُ والدرهمُ أهونُ عليه منه، كأنها عنده بمنزلة البعْرِ ».

وكان الزهري يحضر مجالس هشام بن عبد الملك، ذكر ابنُ خلكان : « وحضر الزهريُّ يوما مجلس هشام بن عبد الملك، وعنده أبو الزناد وعبدُ الله بن ذكوان، فقال له هشام : أي شهر كان يخرج العطاء فيه لأهل المدينة ؟ فقال الزهري : لا أدري. فسأل أبا الزناد، فقال : في المحرم. فقال هشامٌ للزهريِّ : يا أبا بكر، هذا علم استفدته اليومَ. فقال : مجلس أمير المؤمنين أهلٌ أن يُستفاد منه العلمُ ». وقد درس الزهري بالمدينة ثم رحل بهذا العلم إلى عاصمة الخلافة حتى أنه سُمي « بفقيه القصر العلامة » لاقترابه من الخليفة.

وقد درس بالمدينة أنساب قومه على يد عبيد الله بن ثعلبة، وبعدها اتصل بسعيد بن المسيَّب، وكان وقتها هو المستفتي والغالب على علم المدينة وله قدرٌ كبير عند الناس.

وذكر الذهبيُّ : « وكنا نجالس ابن المسيَّب لا نسأله حتى يأتي إنسانٌ فيسأله، فيهيجه ذلك، فيحدث، أو يبتدئ هو فيحدث »

ومن شيوخ الزهري كما قيل عن معمر قال سمعت الزهريَّ يقول : أدركت من قريش أربعةَ بحورٍ : سعيدَ بنَ المسيب، وعروَةَ بن الزبير، وأبا سلمة بنَ عبد الرحمن، وعبيدَ الله بن عبد الله بن عُتبة ».

يقول عنه عراك بن مالك : إنه أعلم أهل المدينة، لأنه جمع علمَ عروةَ وسعيد وعبيد الله، ولكنه عاب عليه صلته الوثيقة بالخلفاء الأمويين. يقول مكحول : « أي رجل الزهري، لولا أنه أفسد نفسه بصحبةِ الملوك » وكان يفخر لتلاميذه بعلمه فيقول : « ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشري، ولا بذله بذلي ».

وكان واسع المعرفة حتى اشتهر بها، يقول الليث : « ما رأيت عالماً

قطّ أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علما منه، لو سمعته يحدث في الترغيب لقلت : لا يحسن إلا هذا، وإن حدَّث عن الأنساب لقلت : لا يعرف إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه نوعاً جامعاً ».

وكانت ذاكرته قوية كثير الحفظ والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما رواه صالح بن كيسان : « كنت أطلب العلم أنا والزهريُّ فقال : تعالَ نكتب السنينَ. قال : فكتبنا ما جاء عن النبيِّ ــ ﷺ. ثم قال : تعال نكتب ما جاء عن الصحابة. قال : فكتب ولم أكتب، فأنجح وضُيِّعْتُ ».

وكانت مكتبة الأمويين بدمشق تحمل الكثير من المجلدات التي أوضع فيها الزهريُّ ما جمعه من العلوم، وعن ذلك ذكر لنا ابنُ سعد رواية عن معمر تلميذ الزهري قال : « كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهريِّ حتى قتل الوليد، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه، يقول ــ معمر ــ : من علم الزهري »

ولم يصل إلينا كتاب مستقل من مؤلفاته، ولكن جمعت بعض مادته عن طريق كتب السيرة وتاريخ الإسلام، واعتمد الزهري في ذلك على مقتبسات ابن سعد وخاصة في المادة التي تحوي تاريخ حياة النبي ﷺ الشاملة.

ووفاة الزهري فيها خلاف أيضاً ذكر الذهبي : « قال ضميرة بن ربيعة وغيره : مات سنة ثلاث وعشرين (أي ومائة)، وهذا وهم، وقال إبراهيم بن سعد وطائفة : سنة أربع وعشرين. وقال الزبير بن بكار وغيره : سنة أربع (أي وعشرين ومائة) في سابع عشر رمضان. وشذ ابن يونس الصدفي فقال : في رمضان سنة خمس وعشرين ومائة، والصحيح سنة أربع.

ولقد مات الزهري ولم يمت علمه فقد تتلمذ على علمه ثلاثة ألفوا

في المغازي، ويُعد هؤلاء الثلاثة قاعدةً راسخة في تأليف السير، وجميعهم من الموالي وهم : موسى بن عقبة، ومَعْمر بن راشد، ومحمد ابن إسحاق.

وسوف نترجم باختصار لكل من موسى ومعمر هنا ونترك ابن إسحاق في مجال خاص به باعتباره صاحب هذا الكتاب الأصلي.

٨ ــ مُوسَى بن عُقْبة

هو موسى بن عقبة بن أبي عياش مولى بني الزبير بن العوام، وبالأخص مولى زوج الزبير أم خالد، كما ذكر ابن حجر والذهبي. وكانت أسرته من موالي آل الزبير. ولا يُعرف له تاريخ ميلاد، ولكنه رأى بعضَ الصحابة، قال في ذلك : « حججت وابن عمر بمكة، عام حج نجدةُ الحروريُّ[1] » وكان ذلك عام ٦٨ هـ، لذلك رجَّح هوروفتس أنه وُلد قبل عام ٥٥ هـ.

وموسى بن عقبة أحد رواد المغازي والعالمين بها، قال مالك بن أنس : « عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة ». وكتاب موسى لم يصل إلينا ولا نعرف شيئاً عنه، سوى أنه لم يقتصر على المغازي بالمعنى الخاص، بل حوى الهجرة أيضاً. وكان موسى يروي عن الزهريِّ كثيراً. قال حكم بن معين : « كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب »

وكتاب موسى بن عقبة يُعد من أهمِّ كتبِ السيرةِ لما له من صفةِ علمِ التاريخ. قال هورفتس في استنتاجاته : « إن كتاب موسى كان يحتوي على قوائم المهاجرين إلى الحبشَة، والمشتركين في بيعتي العقبة،

---

(١) أحد قواد الخوارج.

وأهم من كلِّ ذلك، المحاربين في بدر ؛ قوائم مثل التي أعدها شُرَحْبيل ابنُ سعد. قال مالك في ذلك : « من كان في كتاب موسى قد شهد بدرا فقد شهدها، ومن لم يكن فيه لم يشهدها ».

وكتابات موسى تُعدُّ من أَهمِّ الكتابات حتى اقتبس منها ابن سعد عن طريق الواقدي، وأخذ عنه أيضاً الطبريُّ، واعتنى موسى بتاريخ ما قبل الإسلام واتبع طريقة السنين في تأريخ الوقائع.

ومن مميزات مؤلفِه نظامُ الإسناد فقد اعتنى به عنايةً خاصة. وتُوفي موسى بن عقبة حوالي سنة ١٤١ هـ.

٩ ــ معمر بن راشد

هو معمر بن راشد مولى بني حُرَّان من قبيلة الأزد، المولود في البَصْرة حوالي عام ٩٦ هـ درس في البصرةِ منذ شبابِه على قتادة بن دعامة [المتوفي عام ١١٤ هـ]، وكان كثير التجوالِ في البلاد طلباً للعلمِ، وقد تزوج من أهلِ اليمن، فعاش هناك في صنعاءَ، ويرتحلُ إلى البصرةِ في بعضِ الأوقات.

وكان مَعْمر بنُ راشد من علماءِ الحديث، قال ابن جُريج عنه : « عليكم بهذا الرجل، فإنه لم يبق أحد من أهل زمانه أعلم منه ». روى عنه الواقديُّ وعبدُ الرزَّاق بن همام تلميذه الذي نقل عنه ابن سعد. ويذكر لنا الفهرست عن مصنفاته : « كتاب المغازي ».

وتُوفي رحمه الله باليمن عام ١٥٤ هـ، وقد بلغ من العمر الثامنةَ والخمسين.

جيل الواقدي وما بعد ابن إسحاق

بقي لنا أن نقف عند جيل كان بمثابة حلقة وصل، فقد حفظوا لنا روايات المعلمين الأوائل وعاصروا ابن إسحاق، ومن هذا الجيل أبو معشر السِّنْدي، ومحمد بن عُمر الواقديُّ، ومحمدُ بنُ سعد، ولا ننكر هنا أهمية كل منهم، ولكننا نترجم هنا باختصارٍ للواقديِّ باعتبار أهمية كتاباته في السيرة.

١٠ــ الواقدي

هو محمدُ بنُ عمر الواقديُّ يُلقبُ بالواقدي لأن جدَّه كان يُسمى واقداً، وقد لُقب أيضاً الأسلميَّ لأنه كان من موالي عبد الله بن بُرَيْدة من بني أسلم ويكنى أبا عبد الله.

وُلد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ كما قال تلميذه ابن سعد. ودرس وسمع الواقديُّ الحديثَ على علماءٍ أجلاءٍ في المدينةِ. وكان له صلة مع العباسيين حين ذهب إلى بغدادَ سنة ١٨٠ هـ أيام الخليفة هارون الرشيد، وقد ذكر ابن سعد نماذج لهذه الصلات رواها الواقديُّ، وقيل : إن هارون الرشيد عين الواقديَّ قاضياً على الجانب الشرقي من بغداد، وهذه الرواية لا نعرف راويها، وخبر آخر يقول : إنه كان قاضيا في عام ١٨٧ هـ في عهد هارون الرشيد، وروايات أخرى تذكر أن المأمون عينه قاضي عسكر المهدي.

ويروي الفهرستُ أن الواقديَّ كان محباً للمعرفةِ لذلك نجده ينقلُ كلَّ ما وقع عليه من الكتبِ، ويُحكى عنه أنه اشترى كتاباً بألفيْ دينار، وكان له مؤلفاتٌ كثيرة ذكرها صاحب الفهرست وهي ٢٨ كتاباً، وكذلك ذكرها ياقوت تقريباً.

ومؤلفاتُ الواقديِّ تناولت الفقه، والقرآن، والحديث وأيضاً كتبَ التاريخ.

ويهمنا هنا، أن نشير إلى كتابه « التاريخ والمغازي والبعث » وكتاب « التاريخ الكبير »، و« أخبار مكة » و« أزواج النبي ﷺ » و« وفاة النبيِّ ﷺ » و« السقيفة وبيعة أبي بكر » و« سيرة أبي بكر ووفاته » و« الردة والدار » و« السيرة »... الخ.

ونجد هنا أنه اعتنى بتفصيل الأحداثِ وخاصة في التاريخ الإسلامي وسيرة الصحابة. بخلاف الاختصاص بالمغازي والسير.

وقد حفظت لنا كتبُ المؤرخين روايات متناثرة من مؤلفات الواقدي، والكلام عن كتب ومؤلفات الواقدي قد يحتاج إلى متسع من الفصول والشرح. ولكن نرجع لأهم تلك الكتب وهو كتاب موضوعنا « كتاب المغازي » وهو الوحيد بين كتب الواقديِّ الذي وصلنا كاملاً، وقد نشر الفريد فون كريمر Alfred Von Kremer الثلث الأول منه في « المكتبة الهندية » وكانت مخطوطته غير كاملة، والمخطوطة الكاملة لهذا الكتاب في المتحف البريطاني. وقد ذكر لنا الواقديُّ في بداية « كتاب المغازي » قائمة بمن أكثر عنهم الرواية، وعددهم خمسة وعشرون اسماً، جميعهم من أهل المدينة أو سكنوا بها.

وكان الواقديُّ كما ذكر الطبريُّ يكنُّ كلَّ التقدير لابن إسحاق يقول : « وكان من أهلِ العلم بالمغازي وبأيامِ العربِ وأخبارهم وأنسابِهم، راويةً لأشعارِهم، وكثيرَ الحديث، غزيرَ العلمِ، طلابة له، مقدماً في العلم بكلِّ ذلك ثقة »

ولا يراودنا الشكُّ في أن الواقديَّ قد اقتبس من كتاب ابنِ إسحاق الكثير، وأكثر من أي شخص آخر ورغم ذلك لم يذكر اسمه في القائمة التي ذكرها.

وكتاب الواقدي « كتاب المغازي » أشمل من كتاب ابن إسحاق في الفترة المدنية ويعتبر هذا الكتاب حديثياً فقهياً وليس تاريخياً، لأن ذكر الحديث فيه غالب على الرواية التاريخية.

وذكر هوروفتس : والواقديُّ يمتاز عمن سبقه في تحديد تواريخ الحوادث، وليس تاريخُه مجردَ تكرارٍ لحقائق معروفةٍ من قبل، إنما ثمرة بحثٍ مستقلٍّ. أضف الى ذلك أن الواقديَّ دوَّن ملاحظاتِه الخاصةَ على أصولِ الأحاديثِ.

وكان لا يعلم كثيراً عن فترة ما قبل الإسلام، قال إبراهيمُ الحربيُّ في ذلك : « كان الواقديُّ أعلمَ الناسِ بأمرِ الإسلامِ، وأما الجاهليةُ فلم يعلمْ منها شيئاً ».

عاش الواقديُّ ٧٨ عاما، وتُوفي في خلافة المأمون بعد أن عهد إليه (الواقدي) في تنفيذ وصيته في أواخر سنة ٢٠٧ هـ ودُفن في مقابر الخيزران أم هارون الرشيد، وبعده كان تلميذه ابن سعد.

* * *

وإذا نسينا فلن ننسى هذا العَلم الفرد والنجم الوقاد، أستاذ شارحي السيرة الذي فذ من سبقوه، ولم يلحق به من جاء بعده، ألا وهو عبد الرحمن السهيلي.

١١ ــ السُّهَيْلي ــ أحد شراح السيرة[1]

هو أبو القاسم وأبو زيد، عبدُ الرحمن بنُ الخطيب، أبو محمد بن

(١) وقد قمنا بترجمته هذه عرفانا منا بيده البيضاء التي لا تنكر على سيرة ابن‌هشام، فقد شرحها في أربعة أجزاء كبيرة شرحاً يفوق الوصف، في كتابه (الروض الأنف) انظره من تحقيقنا.

عبد الله بن الخطيب، أبو عُمر أحمد بن أبي الحسن، أصْبَغ بن حُسين، ابن سعدون، بن رضوان، بن فتُّوح وهو الداخل إلى الأندلس.

قال الحافظُ أبو الخطاب بن دِحْية : هكذا أُمليَ عليَّ نسبته ــ الخثعمي السُّهيلي الإمام المشهور. وزاد القفطي : في « إنباه الرواة ». الأندلسيّ، النحويّ اللغوي الإخباري.

وذكره الزركلي في الأعلام قال : عبد الرحمن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي.

والخثعمي نسبة إلى خثعم بن أنمار، وهي قبيلة كبيرة وهو رأي مختلف فيه.

والسهيلي نسبة إلى سُهَيْل وهي قرية بالقرب من مالقة « مدينة كبيرة بالأندلس » سميت باسم الكوكب « سُهيل » لأنه لا يُرى في جميع بلاد الأندلس إلا من جبلِ مطلٍّ عليها.

ومما يعرف عن السهيلي أنه كان مالكي المذهب مثله مثل أغلبية أهل المغرب.

مولده ونشأته :

وُلد عبد الرحمن السهيلي كما تشير المراجع سنة ٥٠٨ هـ الموافقة لسنة ١١١٤م، وفي إحدى قرى سُهيل بمراكش نشأ السهيلي يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف، وطلب العلمَ واستحسنه، ونهل منه الكثيرَ في شتى مجالاتِه وكُف بصرُه وعمره سبعة عشرَ عاماً، ولم يكن ذلك بعائقٍ، فقد زاد في نهله للعلم والمعارِف، حتى أصبحت له مكانةٌ عاليةٌ،

يسعى إليه الناسُ في طلبِ العلم، فذاع صيتُه بصاحب مراكش[1] فطلبه ــ حوالي سنة ٧٨ هـ ــ إليها وأكرمه وأحسن إليه وأقبل بوجهِه غايةَ الإقبالِ عليه، وولاة قضاءَ الجماعة، وحَسُنت سيرته فأقَام بمراكش نحوَ ثلاثةِ أعوامٍ يُصنف كتبه إلا أن تُوفي بها.

السُّهَيْلي والعلم :

وهو مشهور في علمِ النحوِ وفنونِ الأدبِ، وحافظٌ عالمٌ باللغةِ والسِّير، وأشعارُه كثيرةٌ وتصانيفُه ممتعةٌ. ونتناول هنا بعضاً من أشعاره التي تظهر بها بلاغته وعلمه في اللغة والأدب دليلا على شاعرية السهيليِّ. قال ابن دحية : أنشدني السُّهيلي وقال : إنه ما سأل الله تعالى « بهذه الأبيات » حاجةً إلا أعطاه إياها، وكذلك من استعمل إنشادَها « وهي من بحر الكامل » ومطلعُها :

يا من يَرى ما في الضميرِ ويَسمعُ ... أنتَ المُعَدُّ لكلِّ ما يُتَوَقَّعُ
يا مَن يُرَجَّى للشَّدائِد كلِّها ... يا مَن إليه المُشْتَكَى والمَفْزَعُ
يا من خزائنُ رزقِه في قولِ كُنْ ... امنُنْ فإنَّ الخيرَ عندَك أجمَعُ
ما لي سوى قرعي لبابِك حيلةٌ ... فلئن رُدِدْتُ فأي بابٍ أقْرعُ
ومن الذي أدعو وأهتف باسمِه ... إن كان فضلُك عن فقيرِكَ يُمنع؟!
حاشا لمجدِك أن تُقنِّطَ عاصياً ... الفضلُ أجذلُ والمواهبُ أوْسَعُ
ثم الصلاة على النبيِّ وآلِــه ... خيرِ الأنامِ، ومن به يُستشْفَعُ

ويقول الصفدي في كتابه « نَكت الهيمان في نُكت العميان »، ومن شعره « السهيلي » يرثي بلده، وكان الفرنج قد ضربته وقتلت رجالَه ونساءَه. وقتلوا أهلَه وأقاربه وكان غائباً عنهم، فاستأجر من أركبه دابةً،

(١) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد الله الذي تولى إمرة الموحِّدين في المغرب سنة ٥٥٨ هـ.

وأتى به إليه، فوقف إزاءَه وقال :

يا دارُ أيــن البــيضُ والآرامُ ... أم أين جيرانٌ علــيَّ كرام!
رابَ المحب من المنازل أنه ... حيًّا، فلم يرجعْ إليه سلامُ!
أخْرَسْنَ أم بَعُدَ المدَى، فنسِينه ... أم غالَ من كان المجيب حِمَامُ!
دمعي شهيدي أنني لم أنْسَهُمْ ... إن السُّلُوَّ على المحبِّ حرامُ
لما أجابني الصَّدى عنهم، ولم ... يلج المسامِعَ للحبيب كلامُ
طارحتُ وُرْقَ حَمامِها مُترنِّماً ... بمقالِ صَبٍّ، والدموعُ سجامُ
يا دارُ ما صنعتْ بك الأيامُ ... ضامــتْك والأيــامُ ليس تُضامُ

وله أشعار[1] كثيرة أخرى، وإن دلت فإنها تدل على علم وفير وإحساس مُرهَف وعقلية متأمِّلة لها مذاقُها الخاص.

كتب ومؤلفات السهيلي :

السهيلي صاحب كتاب « الروض الأُنف » أشهر كتاب في شرح سيرة رسول الله ــ ﷺ ــ، وهو كتاب شامل بمناحٍ مختلفة من اللغة والأدب والنحو والأخبار التاريخية وأنساب وعلم القراءات ومن فقه وتفسير وحديث... الخ « ويعتبر بحق موسوعة في السيرة النبوية » ؛ قال الصفدي عنه في (نكت الهميان في نكت العميان) : « وهو كتاب جليل جَوَّد فيه ما شاء، وذكر في أوّله أنه استخرجه من نَيِّفٍ وعشرين ومائة ديوان سوى ما أنتجه من صدره ونفحه من فكره... » وقد ألف السهيلي هذا الكتاب قبل رحيله إلى مراكش، إذ كان بدء إملائه[2]

---

(١) إن هذه الأشعار السابقة قد تجدها مخالفة لبعض المصادر فآرجع إلى ما ذكره ابن العماد، والصفدي « في نكت الهميان » والمقري في « نفح الطيب »..

(٢) قال في مقدمة كتابه « إملائي » لأنه كان كفيف البصر. وإن كان الكثير من المبصرين كانوا يملون أيضا لأسباب ليس هنا موضع ذكرها.

« الروض الأنف » في شهر المحرم عام ٥٦٩ هـ، وكان الفراغ منه في جمادى الأولى من ذلك العام.

وللسهيلي غير هذا الكتاب كتب كثيرة منها :

١ ــ التعريف والإعلام فيما أُبهم في القرآن من الأسماء والأعلام.
٢ ــ نتائج الفكر أو « نتائج النظر »
٣ ــ الإيضاح والتبيين لما أُبهم من تفسير القرآن الكريم.
٤ ــ مسألة رؤية الله عز وجل في المنام، ورؤية النبي ــ ﷺ ــ
٥ ــ مسألة السر في عَوَر الدجال.
٦ ــ شرح آية الوصية « من الفرائض »
٧ ــ شرح الجُمل ــ ولم يتم ــ

ومسائل غير هذه كثيرة مفيدة لم يصرح لنا المترجمون بأسمائها ولكن يكفينا في معرفة سعة علمه ما بين أيدينا من كتابه « الروض الأنف ». (انظره من تحقيقنا)

السهيلي وأئمة عصره :

روى السهيلي عن أئمة عصره وكبار رجالات العلم بالأندلس منهم أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، وعن أبي مروان عبد الملك بن سعيد بن بونة القرشيّ العبدري، وأبي بكر محمد بن طاهر الإشبيليّ، وسمع أبا عبدِ الله بن مَعْمر.

وأخذ القراءات عن جماعة منهم : أبو داود سليمان بن يحيى بن سعيد، وبعضها عن أبي علي الفراوي، وممن أخذ منه اللغة والأدب ابن الطَّراوة، وقد ناظره في كتاب سيبويه.

وفاته :

قال ابن خلكان : « وتوفي بحضرةِ مراكش يومَ الخميس، ودُفن وقتَ الظهر، وهو يوم السادس والعشرين من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة »

وأيد ذلك صاحب النجوم الزاهرة.

وقال صاحب الديباج المذهب: « وتوفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وكان ــ رحمه الله ــ مكفوفاً، وعاش اثنتين وسبعين سنة »

وقد ذكره أيضاً بما سبق ابن العماد الحنبلي صاحب كتاب « شذرات الذهب » وهنا نجد إجماعاً من أصحاب التراجم على سنة وفاته ــ رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جناته ونفعنا بعلمهم، وحشرنا في زمرة العلماء العاملين المخلصين الذين لا يطلبون بعلمهم مماراة السفهاء، أو مجادلة الجهلة البلهاء.

ترجمة المؤلِّفيْن : ابن إسحاق وابن هشام

أولا : الإمام ابن إسحاق كاتب السيرة

نسبه ونشأته :

محمدُ بنُ إسحاق بنِ يسار بنِ خيار، وقيل : ابن يسار بن كوتان المدني ــ وقيل كونان، وأيضاً كوثان

واختلف العلماءُ في كُنيته، فقال الإمام البخاريُّ[1] : إن ابنَ إسحاق كنيته : أبو بكر، وقال ابن سعد[2] : يكنى أبا عبد الله. وهذا الخلافُ أورده الخطيبُ البغداديُّ[3] ولكنه لم يحسم الأمر ويقف على كنية منهما.

فاقت شهرةُ محمد بن إسحاق كلَّ من سبقه وعاصره، في كتابة السير والمغازي لرسول الله ــ ﷺ ــ وبذلك ارتبط اسمُه باسم أعظمِ سيرةٍ لأعظم إنسانٍ، وهي حياة محمد الرسول ــ ﷺ ــ

وكان محمدُ بنُ إسحاق أحدَ ثلاثةِ إخوة.

---

(١) البخاري : التاريخ الكبير، وانظر بإسناده في « تاريخ بغداد جـ١/٢١٦ ».

(٢) ابن سعد : « الطبقات » و« الفهرست ص ٩٣ ».

(٣) الخطيب البغدادي « تاريخ بغداد ١/٢١٦ ».

قال الخطيب البغدادي : وله أخوان هما أبو بكر وعمر ابنا إسحاق.

وزاد الجماعيليُّ في كتابه « الكمال في معرفة الرجال » : أن محمد ابن إسحاق أعلاهم، وأن عمر أخاه مات بعده بسنة أو سنتين، وكان أبوه إسحاق قد تزوج من بنت صبيح مولى حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى[1].

قال ابن سعد[2] : « إن جده يسار من سبي عين التمر[3] »

وزاد ابن قتيبة : « من سبي عين التمر الذين بعث بهم خالد بن الوليد إلى أبي بكر بالمدينة »

وانفرد الخطيب البغدادي بقوله : وكان « خيار » لقيْس بن مَخْرَمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي[4] ــ وهنا ذكر خيار أبا يسار جد محمد ابن إسحاق ــ رواه عن الهيثم بن عدي وأبو الحسن المدائني. وربما هذا هو الصواب، وذلك عندما أسلم « كوتان » سماه مولاه « خياراً » وبما أن (حرب عين التمر)، قريب البصرة، حدثت سنة ١٢ هـ/٦٣٣ م في خلافة أبي بكر الصديق، ويومها كان خيار شاباً. فوُلد له ابنه يسار والد مؤلفنا حوالي سنة ٢٠ هـ إذن فكيف يكون أُسر في ذلك الزمان.

ووُلد إسحاق أبو مؤلفنا حوالي سنة ٥٣ هـ ومحمد بن إسحاق مؤلفنا حوالي سنة ٨٣ هـ ونستنتج هذا كما أشار أوجست فيشر «August Fischer» من أن جميع الرواة الذين أخذ عنهم ابن إسحاق مباشرة توفوا بعد عام ١٠٠ هـ، وأنه لم يُذكر بين رواته جماعةمن أشهر المحدثين المدنيين الذين توفوا من العام التسعين من الهجرة.

---

(١) القسطلاني (٣٢٨/٤).

(٢) الطبقات ٢/٧ ص : ٦٢.

(٣) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بالعراق (معجم البلدان) لياقوت.

(٤) ومن ثم فيقال : يسار المطلبي بالولاء المدني بالمقام.

وروى الواقدي خبرا يتفق مع هذا التاريخ قال : « كان محمد بن إسحاق يجلس قريباً من النساء في مؤخر المسجد، فيروى عنه أنه كان يسامر النساء فرفع إلى هشام وهو أمير المدينة وكانت له شعرة حسنة فرقق رأسه، وضربه أسواطاً، ونهاه عن الجلوس هنالك » وهذه الرواية لا تصح لأن هشام ولي المدينة من ٨٢ هـ إلى ٨٦ وولد ابن إسحاق في سنة ٨٥ هـ، إلا أن يكون أراد إسماعيل بن هشام الذي ولي المدينة من ١٠٥ إلى ١١٤ هـ وقتها كان ابن إسحاق ما بين العشرين والثلاثين من عمره.

ويذكر الطبري والبلاذري أن جده كان مسيحياً.

وينفرد الخطيب البغدادي ويروي : عن عبدالله بن جعفر بن درستويه، عن يعقوب بن سفيان قال : ابن إسحاق بن يسار صاحب السيرة مولى فارسي[1].

ويخالف البغدادي في ذلك البكري في (معجم ما استعجم. مادة عين التمر) فروى : « وبكنيسة عين التمر وَجد خالد بن الوليد الغلمة من العرب الذين كانوا رهناً في يد كسرى. وهم متفرقون بالشام والعراق منهم جد الكلبي العالم النسَّابة.. وجد محمد بن إسحاق صاحب المغازي وبسبب تلك الرواية يرجع اعتقاد بعض المستشرقين إلى أن جد ابن إسحاق كان نصرانياً[2]..

ومهما يكن من الأمر فإن علم ابن إسحاق للنصرانيات ــ كما ظهر في السيرة ــ لم يقتبسه عن طريق أجداده بل عن طريق علماء عصره.

---

(١) وهذا لا يصح لان جده كان أسيراً في يدي كسرى « ملك الفرس ».

(٢) وأصبح بعدها من موالي قبيلة عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي.

ولقد نشأ محمد بن إسحاق بينَ أسرةٍ من الموالي. وقد كان أبوه قبله شغوفاً بجمع الأحاديث، وكثيراً ما يَرْوي عنه في كتاباته، وأيضاً كان يَرْوي عن عَمَّيْه موسى وعبد الرحمٰن ابنَيْ يسار. فلا بد لذلك أن يكون محمد بن إسحاق قد اشتغل منذ حداثته برواية الحديث مثل كثيرين من أبناء جيله.

ومن هنا فقد اهتم بدراسة الحديث وجمع كثيراً من الأحاديث فيما بعد بزيارة أشهر العلماء من أمثال عاصم بن عمر، وعبدالله بن أبي بكر، والزُّهري.

ويذكر الطبري اهتمامه الخاص بجمع الأحاديث والمغازي بقوله : « وكان من أهل العلم بالمغازي ــ مغازي رسولِ الله ــ ﷺ ــ وبأيام العرب وأخبارهم وأنسابهم، راوية لأشعارهم، كثير الحديث، غزير العِلم طلَّابة له، مُقدَّما في العلم بكلِّ ذلك ثقة ». ووصل اهتمامُ محمدِ بنِ إسحاق بالرواية إلى حدٍّ أنه يذكر قرابة مائة راوٍ من المدينة وحدها.

رحلاته العلمية :

عندما اصطدم ابن إسحاق بأئمة الحديث أصحاب الرأي السائد في المدينة حينذاك وعلى الأخصِّ بمالكِ بن أنس كما سنذكر بعدُ ــ ترك ابن إسحاق المدينةَ وطنَه ورحل إلى مصرَ، وكان قد أتمَّ الثلاثين من عمره سنة ١١٠ هـ ثم عاد إلى المدينة، وبعدها رحل إلى العراقِ بعد انتصار العباسيين سنة ١٣٢ هـ/٧٤٩ م.

ولما كان مع العباس بن محمد أميراً على الجزيرة ذهب إليها سنة [١٤٢ هـ ــ ٧٦٠ م] وفيها يرد أولُ ذكرٍ لسماعِ مغازيه عنه في العراقِ .

وبعدها أتى أبا جعفر المنصور بالحيرة في الفترة بين [١٤٢ هـ ــ ٧٦٠ م / ١٤٦ هـ ــ ٧٦٣ م] فكتب إليه المغازي، فسمع منه أهلُ الكوفة بذلك السبب، ومن المحتمل أن يكونَ فعل ذلك بأمرٍ من الخليفةِ فقد أمره من قبل أن يصنِّفَ كتاباً من بدءِ الخليقة إلى يومهم، وكان حريصاً على أن يدرس ابنه مغازي ابن إسحاق، وأتى الريَّ فسمع منه أهلُها كذلك، فرواتُه من هذه البلدان أكثرُ ممن روى عنه من أهلِ المدينة، وأتى بغداد فأقام بها حتى لقي ربَّه.

أساتذته :

وُلد محمد بن إسحاق في المدينة المنورة، ومن الواضح أنه بدأ دراسته فيها في وقت مبكر، وعاش فيها هناك مدة ثلاثين سنة تقريباً، جمع خلالها أحاديثه ورواياته عن طريق علماء أجلاء ذكرهم الخطيبُ البغدادي بقوله : « إن محمد بنَ إسحاق رأى أنسَ بنَ مالك ــ رضي الله عنه ــ وسعيد بن المسيَّب، وسمع القاسمَ بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأبانَ بن عثمان بن عفان ومحمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، وأبا سَلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعبدَ الرحمن بن هُرْمز الأعرج، ونافعاً مولى عبدالله بن عمر، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري وغيرهم ».

وزاد عليهم يوحنا فوك : « أنه تعلم أيضا من عاصم بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر « المتوفي سنة ١٣٠ أو ١٣٥ هـ » وأيضاً تعلم من يزيد بن رومان تلميذ ومولى عروة بن الزبير.

ويدين ابنُ إسحاق بالكثير لموالي بني الزبير، ولأقارب تلك الأسرة كذلك، مثل هشام ويحيى ابنَيْ عروة ؛ وعُمَر بن عبدالله ابن أخي عروة،

ومحمدِ بن جعفر ابن أخي عروة، ثم ليحيى بن عباد بن عبدالله ابن أخي عروة الكبير.

ودرس التفسير على يد أستاذه في هذا المجال محمد بن أبي محمد، من الموالي.

وكان ابن إسحاق يلجأ إلى غير المسلمين حين كان يريد أخباراً عن الحوادث اليهودية والمسيحية، والفارسية. فيذكر بين رواته « بعضَ أهلِ العلم من أهل الكتاب الأولِ » أو « أهل التوراةِ » أو « من يسوق الأحاديث عن العجم » وكان يستعين في ذلك بالمغيرة بن أبي زبيد — وقيل لبيد — الذي روى أقوال وهب بن منبه عن الإسرائيليات.

ويبدو أن ابن إسحاق فيما عدا وَهْباً، أولُ مُؤلفٍ عربيٌّ يعطينا فقراتٍ من العهدين : القديم والجديد مترجمة ترجمة حرفية.

ومن كل هؤلاء وغيرهم كان الزهريُّ أكبرَ أساتذةِ ابن إسحاق ؛ وغالبا ما يُعبر عن العلاقة التي كانت بينهما في صورة الإسناد ؛ فيقول مثلاً : « حدثني محمدُ بنُ مسلم الزهريُّ » أو « سألتُ ابنَ شهابٍ الزهريَّ » أو يقول : « حدثني الزهريُّ... ».

ومن مظاهر هذه العلاقة أيضاً : بعث ابن إسحاق إلى الزهريِّ وثيقةً رواها له يزيد بن أبي حبيب « المتوفي عام ١٢٨ هـ » في مصر عن سفارات النبي — ﷺ — إلى الأمراء المختلفين، كي يتحقق من صحتها. وكان ذلك عندما وفد ابنُ إسحاق عام ١١٥ هـ على الإسكندرية، وهناك سمع من يزيد بن أبي حبيب الذي يعد أول من أدخل دراسة الحديث في مصر. وسمع أيضاً من عبيد الله بن المُغيرة، وثُمامة بن شُفَيّ، وعبيد الله بن أبي جعفر، والقاسم بن قُزمان، والسكن ابن أبي كريمة.

ومن الأرجح أن ابنَ إسحاقَ رجع من مصرَ إلى زيارة المدينة[1] وذلك قبل رحيله إلى العراق. كما رجح « فيك » ؛ وربما كان في إحدى هذه الزيارات إبراز أستاذه الزهري له للحاضرين في عام ١٢٣ هـ.

تلامذته ومن حدث عنه :

لابنِ إسحاق شهرةٌ واسعةٌ بين المحدِّثين والمؤرخين والمستشرقين، فقد استمد تلك الشهرة من أعظم أعمالٍ خلفها لنا عبر التاريخ وهي السيرة النبوية العطرة، فقد وصلت إلينا السيرة النبوية الشريفة من خلال عدة طرق، منها : المخطوطات التي عُثر عليها مؤخراً منسوبة لابن إسحاق مباشرةً، وتُعد هذه المخطوطات الآن بمثابة البرهان والإثبات على صحة ما خلفه لنا تلاميذُ ابنِ إسحاق لروايتهم عنه السيرة، وتكمن قيمةُ هذه القطع المخطوطة من كونها إثباتاً لما طرأ على السيرة من تغيرات كلمية أو تقديمية أو تأخيرية، أو تهذيبية، وأيضاً الإضافات الشرحية التي لحقت بسيرة ابن إسحاق على أيدي بعض من تلاميذه.

وفي بداية حديثنا عن تلاميذ ابن إسحاق نوضح، أن الذين طلبوا علمه لم ينحصروا في مكانٍ بعينه، بل كانوا منتشرين بين عدة مدن هي المدينةُ المنورة، والكوفةُ وبغدادُ والبصرة والري.

ويعد إبراهيم بن سعد [١١٠ ــ ١٨٤ هـ] تلميذه الوحيد في المدينة ؛ قال ابن حجر في « تهذيب التهذيب ٤١/٩ ــ ٤٢ » : « وقال البخاري.. قال، قال لي إبراهيم بن حمزة : كان عندَ إبراهيم بن سعد عن

---

(١) ويوجد احتمال أنه لم يرجع إلى المدينة بل سافر من مصر إلى العراق وإيران، ومن الصعب أن نعرف إلى أين سافر أولا؛ لأنه لا يوجد إجماع من المؤرخين أو الثقات يثبت ذلك.

ابن إسحاق نحوٌ من سبعةَ عشرَ ألفَ حديث في الأحكام، سوى المغازي. وإبراهيم بن سعد من أكثرِ أهلِ المدينة حديثاً في زمانِه.

ومن أشهر النسخ المروية عن تلاميذ ابن إسحاق، نسخة زياد بن عبدالله البكائي « المتوفي سنة ١٨٣ هـ » التي اعتمد عليها ابن هشام، والتي يرى السخاوي أنها أوثقُ من رواية يونس بن بكير الشيباني.

وروى عنه عبدالله بن إدريس الأودِّي « ١١٠ ــ ١٩٢ هـ » ويونس ابن بكير « المتوفي سنة ١٩٩ في الكوفة » الذي اعتمد عليه السهيلي كثيراً في نقله للسيرة ضمن كتابه « الروض الأنف »[1] وممن استفاد من نسخة يونس بن بكير الشيباني أيضاً العلامة ابن الأثير في كتابه « أُسْد الغابة ».

ومن تلاميذه أيضاً عبدةُ بنُ سليمان « توفي سنة ١٨٧ هـ » وعبدُالله ابن نُمير « ١١٥ ــ ١٩٩ هـ ».

وممن سمع منه ببغداد يحيى بن سعيد بن أبان الأموي الكوفي الحافظ ؛ ولقبه الجمل « ١١٤ ــ ١٩٤ هـ ».

وكان ابن إسحاق أستاذ جرير بن خازم « ٨٥ ــ ١٧٠ هـ » بالبصرة، وكريم بن أبي عيسى وأيضاً سلمة بن الفضل « المتوفي سنة ١٩١ هـ بالري » وقد اعتمد الطبري نسخته، قال الخطيب البغدادي : « إن رواية مسلمة بن الفضل لكتاب السيرة لابن إسحاق أفضل من غيرها ».

وتتلمذ على علمه أئمةٌ أجلاء روى عنه، منهم : علي بن مجاهد « توفي حوالي سنة ١٨٠ هـ في الري » وإبراهيم بن المختار، وسعيد بن

---

(١) انظره من تحقيقنا.

بزيع، وعثمان بن ساج، ومحمد بن سلمة الحراني « توفي سنة ١٩١ هـ في الري » وسفيان الثوري، وابن جُريج، وشعبة، والحمادان، وشريك بن عبدالله النخعي، وسفيان بن عيينة ومن بعدهم.

وأشهر من كل هؤلاء في المغازي بالذات هو ابن هشام الذي روى السيرة النبوية واشتهر بها عن غيره وحتى عن مؤلفها ابن إسحاق.

ويجب أن نعلم أن ابن هشام رواها بواسطة زياد بن عبدالله البكائي. وفاقت سعة انتشار ملخص ابن هشام حتى غطت على الكتاب الأصلي منذ عهد بعيد. فاليعقوبي مثلا « المتوفى حوالى سنة ٣٠٠ هـ » يستخدم ما هذبه ابن هشام من السيرة، ولم يذكر ابن إسحاق

مطاعن على ابن إسحاق والرد عليها

تعرض ابن إسحاق في مسيرة حياته لألوان شتى من الاستياء والطعن سواء لعلمه أو سيرته الذاتية. منها ما يشكك في علمه وإسناده وخاصة بالمغازي، ومنها ما هي إلا عصبية مثل موقف هشام بن عروة منه، ومنها من يرجعُ مكمن الغضب فيها ذلك الصراع العلمي مثل خلافه مع مالك رضي الله عنه. ومنها أن بعض الروايات التي ذكرت هذا الطعن ليس لها أساس من الصحة كي يقويها ويستند عليها بحرفية عادلة ومُوثقة يمكن الاعتماد عليها.

وسوف نعرض لهذا وذاك والرد على تلك المطاعن بالوثائق والأقاويل التاريخية، حتى يحكم التاريخ ويقول كلمته التي تعلو فوق كلِّ الوشايا والأهواءِ ويجلو عن تلك الدعاوى غبارَ الزمن.

أُولَى هذه الدعاوى ما ذكرها الشَّاذُكانيُّ : « كان محمد بن إسحاق ابن يسار يتشيع، وكان قدرياً ».

وقال أحمد بن يونس : « أصحاب المغازي يتشيعون كابن إسحاق وأبي معشر... ».

وقال أيضاً ياقوت « في معجم الأدباء » عن يحيى بن سعيد بن القطان، يقول : كان محمد بن إسحاق والحسن بن ضمرة، وإبراهيم بن محمد كل هؤلاء يتشيعون ويقدمون عليًّا على عثمان.

ويرد على ذلك « ابن سيد الناس » في « عيون الأثر » بقوله : « أما ما رُمي به ابن إسحاق من التدليس والقدر والتشيع، فلا يوجب ردَّ روايته، ولا يُوقع فيها كبيرَ وهنٍ. أما التدليس فمنه القادحُ في العدالة وغيره، ولا يحمل ما وقع ها هنا من مطلق التدليس، على التدليسِ المقيد بالقادح في العدالة، وكذلك القدر والتشيع لا يقتضي الردَّ إلا بضميمةٍ أخرى ولم نجدْها ها هنا ».

وهذا أيضاً متعلق بالفرق بين الحديث والتاريخ، فالحديث لا يطلب فيه قصة مربوطة، بل شهادة كل شاهد للواقعة، وأما التاريخ فهو يحتاج إلى الحديث بغرض الإخبار عن القصة التاريخية بدون أسانيد غالباً.

وقال مكيُّ بنُ إبراهيم : جلست إلى محمد بن إسحاق وكان يخضُب بالسواد فذكر أحاديث في الصفةِ فنفرت منها فلم أعدْ إليه، وقال مرة : تركت حديثه.

ويرد على ذلك أيضاً « ابن سيد الناس » بقوله : وليس في ذلك كبيرُ أمرٍ فقد ترخص قومٌ من السلف في رواية المشكل من ذلك وما يُحتاج إلى تأويله، لا سيما إذا تضمن الحديث حكماً أو أمراً آخر وقد تكون هذه الأحاديث من هذا القبيل.

وروى الساجيُّ عن المفضَّلِ بن غسان : حضرت يزيد بن هارون وهو

يحدث بالبقيع وعنده ناس من أهل المدينة يسمعون منه حتى حدثهم عن محمدِ بنِ إسحاق فأمسكوا، وقالوا : لا تحدثنا عنه نحنُ أعلم به، فذهب يزيد يحاولهم فلم يقبلوا فأمسك يزيد.

ويحللُ ذلك الموقف أيضاً « ابن سيد الناس » بقوله : فليس فيه ذكر لمقتضى الإمساك، وإذا لم يُذكر لم يبق إلا أن يحول الظن فيه، وليس لنا أن نعارض عدالةً مقبولة بما قد نظنه جُرحاً.

وقال أبو موسى محمد بن المثنَّى : ما سمعت يحيى القطان يحدث عن ابن إسحاق شيئاً قطُّ.

قال « ابن سيد الناس » ردًّا على ذلك : فقد ذكرنا السبب في ذلك وتكذيبه إياه رواية عن وهيبِ بنِ خالد عن مالك عن هشام، فهو ومن فوقه في هذا الإسناد تبع لهشام، وليس ببعيد من أن يكون ذلك هو المنفر لأهلِ المدينةِ عنه في الخبر السابق عن يزيد بن هارون وسوف نذكر بعد قليل ما كان بينه وبين هشام بن عروة.

وعن يعقوب بن شيبة قال : سمعت محمد بن عبدالله بن نمير ذكر ابن إسحاق فقال : إذ حدث عمن سمع منه من المعروفين فهو حسنُ الحديثِ صدوقٌ وإنما أُتي من أنه يحدث عن المجهولين أحاديثَ باطلةً.

يقول صاحبُ الفضل الأكبر في الرد على مطاعن ابن إسحاق « ابنُ سيد الناس » : فلو لم يُنقل توثيقُه وتعديلُه لتردد الأمرُ في التهمةِ بها بينَه وبينَ من نقلها عنه، وأما مع التوثيق والتعديلِ، فالحملُ فيها على المجهولين المشارُ إليهم لا عليه.

وأما الطعن على العالم بروايته عن المجهولين فغريب وقد حكى ذلك عن سفيان الثوري وغيره، وأكثر ما فيه التفرقة بين بعض حديثه وبعض،

فيُرُدُّ ما رواه عن المجهولين، ويقبل ما حمله على المعروفين.

وقيل لناصر السنة أحمد بن حنبل : يا أبا عبدالله، إذا تفرّد ــ يقصد ابن إسحاق ــ بحديثٍ تقبله ؟ قال : لا، والله إني رأيتُه يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلَام ذا من كلام ذا.

وقد رد ابن سيد الناس على ذلك بقوله : وقد تتحد ألفاظ الجماعة وإن تعددت أشخاصُهم، وعلى تقدير أن لا يتحد اللفظُ فقد يتحد المعنى، روينا عن واثلة بن الأسقع قال : إذا حدثتكم على المعنى فحسبكم.

وروينا عن محمد بن سيرين قال: كنتُ أسمع الحديث من عشرةٍ، اللفظ مختلف والمعنى واحد.

وقد ذكر ابن المديني أن حديثه ليتبين فيه الصدق، يروى مرة حدثني أبو الزناد، ومرة ذكر أبو الزناد إلى آخره، وما يصلح لمعارضة هذا الكلام، واختصاص ابن المديني سفيان معلوم كما عُلم اختصاص سفيان بمحمد بن إسحاق.

ومن المطاعنِ التي لصقت بابنِ إسحاق قول أبي داود سمعت أحمد ابن حنبل ذكره فقال : كان رجلا يشتهي الحديث فيأخذ كتبَ الناس فيضعها في كتبه.

ويستمر « ابن سيد الناس » في الدفاع فيقول : فلا يتم الجرح بذلك حتى نتيقن أنها مسموعة له، ويثبت أن يكون حدَّث بها، ثم ينظر بعد ذلك في كيفيةِ الإخبار ؛ فإن كان بألفاظٍ لا تقتضي السماع تصريحاً، فحكمه حكم المدلِّسين، ولا يحسن الكلام معه إلا بعد النظر في مدلول تلك الألفاظ، إن كان يَرْوي ذلك عنهم مصرحاً بالسَّماع ولم يسمع،

فهذا كذب صراح، واختلاق محض لا يحسن الحمل عليه، إلا إذا لم يجد للكلام مخرجاً غيره.

وقال أبو عبدالله أحمد بن حنبل رضي الله عنه : قدم محمدُ بن إسحق إلى بغداد فكان لا يبالي عمن حكى عن الكلبي وغيره.

ويدافع أيضاً ابن سيد الناس فقال : فهو أيضاً إشارة إلى الطعن بالرواية عن الضعفاء، لمحل ابنِ الكلبيِّ من التضعيف، والراوي عن الضعفاء لا يخلو حالُه من أحدِ أمرين : إما أن يصرحَ باسم الضعيف، أو يدلِّسه، فإن صرح به فليس فيه كبير أمر روى شخص ولم يعلم حاله، أو علم وصرح به ليبرأ من العهدة، وإن دلَّسه فإما أن يكونَ عالماً بضعفِه أو لا، فإن لم يعلم فالأمرُ في ذلك قريبٌ، وإن علم به وقصد بذلك التدليس فهذه جُرحة من فاعلها، وكبيرةٌ من مرتكبها، وليس في أخبار أحمد عن ابن اسحاق ما يقتضي روايته عن الضعيف وتدليسه إياه مع العلم وكثرة الحفظ، فقد يميز من حديث الكلبي وغيره مما يجري مجراه ما يُقبل مما يرُد، فيكتب ما يرضاه ويترك ما لا يرضاه

وقد قال يعلَى بن عبيد : قال لنا سفيان الثوري : اتقوا الكلبي، فقيل له فإنك تروي عنه فقال أنا أعرف صدقه من كذبه، ثم غالب ما يروى عن الكلبي أنسابٌ وأخبارٌ من أحوال الناس وأيام العرب، وسيرهم وما يجري مجرى ذلك مما سمح كثير من الناس في حمله عمن لا تحمل عنه الأحكام، وممن حُكي عنه الترخص في ذلك الإمام أحمد، وممن حكي عنه التسوية في ذلك بين الأحكام وغيرها يحيى بن معين.

واتهام آخر قيل : إنه لم يكن يحتج به في السنن.

قال ابن سيد الناس في الرد على ذلك : فقد يكون لما أنس من التسامح في غير السنن، التي هي جلُّ علمه من المغازي والسير، طرَّد

الباب فيه وقاس مروياته من السنن على غيرها، واطِّراد الباب في ذلك يعارضه تعديل من عدله.

وقال يحيى : إن ابن إسحاق ثقة وليس بحجة.

رد ابن سبيد الناس عليه فقال : فيكفينا التوثيق

وما ذكره ياقوت عن الواقدي، واللفظ لياقوت : « كان محمد بن إسحاق يجلس قريباً من النساءِ في مؤخرِ المسجدِ. فيروى عنه أنه كان يسامرُ ــ وعند ابن النديم : يغازلُ ــ النساءَ. فرُفع إلى هشام[1] وهو أميرُ المدينة. وكانت له شعرةٌ حسنة فرقق رأسَه وضربه أسواطاً، ونهاه عن الجلوسِ هناك، وكان حسنَ الوجه ».

وهنا سؤال يطرح نفسه : هل رجلٌ مثل ابن إسحاق له شهرتهُ وعلمه يجمع الحديثَ والسيرة العطرة يظهر بين الناس بمظهر منافي لآداب الإسلام وتعاليمه ؟! وهل يجهل الرجل قدسية وحرمة المساجد والأماكن المقدسة ؟!

الإجابة على هذا السؤال يدركه العقلُ لأولِ وهلةٍ وهو النفي. وإذا صحت هذه الرواية فربما كان ذلك في شبابه ومجونه، وإن لم تصح فيدل ذلك على غلط الحديث من المعاصرين له بالطعن عليه بالحجج الضعيفة.

ومما يزيد من ضعف هذه الرواية ما قاله الخطيب البغدادي عن ابن أبي حازمٍ : « كنا قُعوداً في المسجد معنا محمد بن إسحاق » وفي رواية أخرى عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي : قال « كنا في مجلس محمد بن إسحاق نتعلم »

---

(١) يقصد إسماعيل بن هشام.. كما وضَّحنا سلفاً. لأن هشاماً مات مبكرا عن ذلك.

وأما ما أطبق عليه بعض المؤرخين والمستشرقين خاصة، من أن هناك عداوة بين ابن إسحاق وكلٍّ من هشامِ بن عروة بن الزبير، ومالك بن أنس. فأولا لا بد وأن نمحي لفظ « عداوة » لأن مدلول هذا اللفظ لا يتفق وقدر علماء الإسلام الأعاظم، وربما كان هناك ما يطلق عليه تنافس العلماء وليست العداوة بمفهومها المشين ــ وكما يحدث دائماً مع أبناء المهنة الواحدة.

ونبدأ بإنكار هشام بن عروة بن الزبير رواية ابن إسحاق عن زوجته وابنة عمه فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر، فقد ذكرت لنا المصادرُ عدة روايات منها قولُ ابنِ قتيبة : « وكان ابن إسحاق يروي عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير، وهي امرأةُ هشام بن عُروة. فبلغ ذلك هشاماً فأنكره، وقال : أهو كان يدخل على امرأتي ؟ » وتشابهت في ذلك جميع الروايات، منها رواية صاحب الفهرست : « متى دخل إليها ومتى سمع منها ؟ » وفي المعجم « هو كان يدخل على امرأتي ؟ كأنه أنكر ذلك » أما في رواية الخطيب « ألعدوّ لله الكذابُ يروي عن امرأتي ؟ من أين رآها ؟ » روى ابن سيد الناس : أن هشاما قال : « دخلت بها وهي بنت تسع وما رآها مخلوق حتى لحقت بالله عز وجل »[1].

كأن الرواية في ظن هشام لا بد وأن تصحبها الرؤية.

وقد دافع عن ابن إسحاق بعض العلماء منهم أحمد بن حنبل فقد روي عنه أنه قال : « وما ينكر هشامٌ ؟ لعله جاء فاستأذن عليها فأذنت له وهو لم يعلم ».

---

(١) وهذه الرؤية غلط انظر « أعلام النساء : ١٤٦/٤ » فإن فاطمة بنت المنذر ولدت سنة ٤٨ هـ وهشام ولد سنة ٦١ هـ فهي أسن من هشام بثلاث عشرة سنة.

وكان ذلك طبيعياً في رواية الحديث، ومن ذلك أمثلة كثيرة عن التابعين كالأسود وعلقمة سمعا من عائشة ـ رضي الله عنها ـ من غير أن ينظرا إليها، بل سمعا صوتَها. وأيضاً في أيام ابن إسحاق كان ذلك معمولاً به، مثال ذلك ؛ كان عبدالله بن أبي بكر يروي عن امرأته فاطمة ابن عمار، ويدعوها لأن تقص على ابن إسحاق خبراً. وكان ذلك يتم من وراء حجاب أو ستار، أو كان معهما مُحرم، وهي محجَّبة أو أن يكون ابنُ إسحاق قد حمل عنها صغيراً.

وقال يوسف هوروفتس: « ومن المحتمل أن هشاما أيضاً لم يعترض أي اعتراض على زوجته، التي كانت أكبر كثيراً من زوجها، وأكبر من ابن إسحاق نفسه بما يقربُ من ٣٠ أو ٤٠ عاماً[1]، بل لم يكن هشام عارفاً بأية زيارة من ابن إسحاق لبيته أخذ فيها الأحاديث عن فاطمة، ولذلك شك في صحة أقوال ابن إسحاق »

ويوجد احتمالٌ آخر أنه قد سألها عن طريق أمه أو أخته أو زوجته.

وهنا نطرحُ سؤالاً : لماذا لم يسأل هشامٌ زوجتَه عن صحةِ ادعاء ابن إسحاق ؟ وأية فعلة شنعاء قام بها ابن اسحاق، كل ذلك لأنه روى حديثاً نبوياً عن فاطمة.

وقد ذكر ابن سيد الناس « محمد بن إسحاق عن فاطمة بنتِ المنذر عن أسماءَ بنتِ أبي بكر، قالت : سمعت امرأةً وهي تسأل النبيَّ ـ ﷺ ـ فقالت : إن لي ضُرة، وأني أتشبع من زوجي بما لم يعطنيه لأغيظها بذلك قال : « المتشبعُ بما لم يُعْطَ كلابس ثوبَيْ زورٍ »

وقال أبو الحسن بن القطان : الحديث الذي من أجله وقع الكلام في ابن إسحاق من روايته عن فاطمة حتى قال إنه كذاب، وتبعه في ذلك

---

(١) ولدت سنة ٤٨ هـ فهي أسنّ منه بنحو ٣٧ عاماً.

مالكٌ، وتبعه يحيى بن سعيد وتابعوهم من بعدهم تقليداً لهم : حديث « فلتقرصه ولتنضح ولتصل فيه »[1] وقد روينا من حديثه عنها غير ذلك.

وذكر الذهبي « عن يعقوب بن شيبة سألت ابن المديني عن ابن إسحاق قال حديثه عندي صحيح، ... قلت : فهشام بن عروة قد تكلم فيه. قال : الذي قال هشام ليس بحجة. لعله دخل على امرأته وهو غلام، فسمع منها، إن حديثه ليتبين فيه الصدق ».

ورغم ما قاله هشام بن عروة عن ابن إسحاق، نجد الأخير في السير يروي عن هشام مراراً، وعن آلِ عروة بن الزبير. وهذا يدل أولا على أن العلمَ عند ابن إسحاق كان قبل أيِّ شيءٍ وفوقَ كلِّ عداوة.

وإنما طعن مالك فيه ــ وإذا كان ذلك مرة واحدة، ثم عاد له إلى ما يجب ــ بين العلماء فلأن ابن إسحاق ــ وكان أعلم من بالحجاز بنسب الناس ــ يزعم أن مالكاً من موالي ذي أصبح، وكان مالك يزعم أنه من أنفُسها. فوقع بينهما لذلك مفاوضة، فلما صنَّف مالكٌ « الموطأ » قال ابن إسحاق : « آتوني به فأنا بيطارُه، أي « طبيب بعلله »، فنُقل ذلك إلى مالك فقال : دَجَّال من الدَّجاجلة[2] يروي عن اليهودِ. وكان بينهما ما يكون بين الناس، حتى عزم ابنُ إسحاق على الخروج إلى العراق. فتصالحا حينئذ وأعطاه مالكٌ عندَ الوداع خمسين ديناراً ونصفَ ثمرته تلك السنة.

---

(١) هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه « كتاب الحيض باب ٩، وكتاب الوضوء باب ٦٣ » وقال : « عن مالك، عن هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء ». ورواه أيضا أبو داود في سننه « كتاب الطهارة باب ١٣ » بالإسناد السابق مرة و« عن ابن إسحق، عن فاطمة، عن أسماء »، مرة أخرى. إذن الخلاف ليس في الحديث، بل في الذي سمع منه ابن إسحاق: هل من فاطمة مباشرة، أو عن طريق هشام أو غيره ؟ انظر فهارس فتح الباري من تحقيقنا.

(٢) قال الراوي : « وما رأيت أحداً جمع الدَّجَّال قبله ».

ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث، إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي ــ ﷺ ــ من أولادِ اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصةَ خيبر وقريظةَ والنضير، إلى غير ذلك من الغرائب من أسلافِهم.

وما كان ابن إسحاق في تتبعه لذلك إلا ليزداد معرفة من غير أن يحتج برأيهم.

ويبدو أن هذا كان سبباً رئيسياً، في ذلك الخلاف الذي يُعدُّ خلافاً علمياً يحدث دائماً بين العلماءِ. خاصةً إذا كان هذا العالم قد استحدث شيئاً جديداً.

فابن إسحاق نهج نهجاً جديداً في وضع السيرة، خالف بها الطريقةَ التقليديةَ للمحدثين في المدينة، ويوضح ذلك موقف أهل المدينة السلبي من مغازي ابن إسحاق، الذي لم يروها في المدينة عنه سوى إبراهيم بن سعد، مع العلم أنها وجدت انتشاراً واسعاً في العراقِ وإيران.

... ومن روايات تلك القصة ما ذكره الخطيب البغدادي، عن ابن إدريس « قال : قلت لمالك بن أنس ــ وذكر المغازي ــ فقلت : قال ابن إسحاق أنا بيطارها. فقال : قال لك أنا بيطارها ؟ نحن نفيناه عن المدينة، يلمح إلى حديث أن المدينة لا يدخلها المسيح الدجال ».

وذكر أيضاً الخطيب : « وكان ابنُ أبي ذئب، وعبد العزيز بن الماجشون، وابن أبي حازم، ومحمدُ بن إسحاق يتكلمون في مالك بن أنس، وكان أشدهم كلاماً محمد بن إسحاق، وكان يقول : ائتوني ببعض كتبه حتى أبين عيوبه أنا بيطارُ كتبه ».

ولم يذكر أصحابُ التراجمِ تواريخَ لهذه القصةِ، فما ذكره ابن سيد

الناس من مصالحتهما يدل على أن هذا وقع قبل أن يغادر ابن إسحاق المدينة.

وأما رواية الخطيب، قول مالك : « نحن نفيناه عن المدينة » لو صح ذلك القول سيدل على أن هذا حدث بعد سفر ابن إسحاق، أو أنه ربما قد كرر ذلك القول.

وعن آثارِ قصة مالك وقصة هشام قال ابن حجر : « وكذبه سليمان التيمي، ويحيى القطان، ووهيب بن خالد ؛ فأما وهيب والقطان فقلدا فيه هشام بن عروة ومالكاً، وأما سليمان التيمي فلم يتبين لأيِّ شيء تكلم فيه، والظاهر أنه لأمر غير الحديث، لأن سليمان ليس من أهل الجرح والتعديل » ولكنه غار لِمَا غار له هشام بن عروة بن الزبير، لأن سليمانَ من أقارِبهم.

.. وأما عدا ذلك من الطعن فأمور غير مفسرة ومعارضة في الأكثر من قائلها بما يقتضي التعديل

وممن يصحح حديثه ويحتج به في الأحكام أبو عيسى الترمذي ــ وباقي أصحاب الصحاح الستة[1] ــ رحمهم الله ــ وأبو حاتم بن حبان، ولم نتكلف الرد عن طعن الطاعنين فيه إلا لما عارضه من تعديل العلماء له وثنائِهم عليه، ولولا ذلك لكان اليسير من هذا الجرح كافيا في رد أخباره، إذ اليسير من الجرح المفسر منه وغير المفسر كافٍ في رد من جُهلت حاله قبله، ولم يعدله معدلٌ.

---

(١) أصحاب الصحاح الستة على رأي هم : البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. كلهم رووا عن إبن إسحاق. فقد أخرج له مسلم في المبايعات، واستشهد به البخاري في مواضع يسيرة، وروى له أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه رحم الله الجميع.

مكانته عند العلماء :

محمدُ بنُ إسحاق ثَبْتٌ في الحديث عند أكثر العلماء ؛ ولا تُجهل إمامتُه في المغازي والسِّير.

.. قال ابن شهاب الزهري : من أراد المغازي، فعليه بابن إسحاق.

.. وذكر البخاري في تاريخه، وروى عن الشافعي ــ رضي الله عنه ــ أنه قال : من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق.

.. وقال شُعبة بن الحجاج : ابنُ إسحاق أميرُ المؤمنين[1] « يعني في الحديث ».

.. وذكر الساجي : أن أصحاب الزهري كانوا يلجئون إلى محمد بن إسحاق فيما شكُّوا فيه من حديث الزهري، ثقة منهم بحفظه.

.. روى الخطيب البغدادي : كان ابن إسحاق من أحفظ الناس.

.. قال علي بن المديني : مدارُ حديث رسول الله ــ ﷺ ــ على ستة، فذكرهم، ثم قال : فصار علم الستة عند اثني عشر أحدهم ابن إسحاق. هذا لفظ حديث الأصبهاني وحديث الشروطي بمعناه، غير أنه قال : ثلاثة عشر أحدهم ابن إسحاق.

.. قال سفيان بن عُيينة قال قال الزهري : لا يزال بالمدينة علم ما بقي ــ يعني ابن إسحاق ــ أمير المحدثين، وقيل له لِمَ ؟ قال : لحفظه.

.. وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا هارونُ بن معروف، قال : سمعت أبا معاوية يقول كان ابن إسحاق من أحفظِ الناسِ، فكان إذا كان عند

---

(١) هو لقب يطلق على نوع من التوثيق لرواة الحديث. راجع مقدماتي لفتح الباري.

الرجل خمسةُ أحاديث أو أكثر جاء فاستودعها محمد بن إسحاق، فقال : احفظها عليَّ فإن نسيتُها كنت قد حفظتها عليَّ.

.. وقال أبو سعيد الجعفي : كان ابن إدريس معجباً بابن إسحاق كثير الذكر له ينسبه إلى العلم والمعرفة والحفظ.

.. روى الخطيب بإسناد له إلى ابن نفيل : حدثنا عبدالله بن قائد قال : كنا إذا جلسنا إلى محمد بن إسحاق فأخذ في فن من العلم قضى مجلسه في ذلك الفن.

.. قال ابن أبي خيثمة : حدثنا ابنُ المنذر عن ابن عُيينة أنه قال : ما يقول أصحابك في محمد بن إسحاق ؟ قال قلت : يقولون إنه كذاب، قال : لا تقل ذلك.

.. قال ابن المديني : سمعتُ سُفيان بن عيينة سُئل عن محمدِ بن إسحاق فقيل له : ولم يرو أهل المدينة عنه ؟ قال : جالسته منذ بضع وسعين سنة وما يتهمه أحد من أهل المدينة ولا يقولون فيه شيئاً.

.. وسُئل أبو زُرعة عنه فقال من تكلم في محمد بن إسحاق ؟ هو صدوق

.. قال أبو حاتم : يُكتب حديثه.

.. وسُئل ابن شهاب عن المغازي فقال : هذا أعلمُ الناس بها يعني ابن إسحاق.

.. قال أحمدُ بن زُهير : سألت يحيى بن معين عنه، فقال : قال عاصم بن عمر بن قتادة : لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق.

.. قال ابن عيينة: قال أبو بكر الهذلي : سمعت الزهريَّ يقول : لا يزال بالمدينة علم جَمٌّ ما كان فيهم ابنُ إسحاق.

.. وقال سفيان بن عيينة : رأيت الزهري أتاه محمدُ بنُ إسحاق فاستبطأه. فقال : أين كنت ؟ فقال له محمد بن إسحاق : وهل يصل إليك أحد مع حاجبك ؟ قال : فدعا حاجبه فقال له : لا تحجبه إذا جاء.

.. وحُكي عن يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن سعيد القطان، أنهم وثَّقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه.

.. وقال المرْزُبانيُّ : ومحمد بن إسحاق أول من جمع من مغازي رسول الله ـــ ﷺ ـــ وألفها.

وقال البخاريُّ : ينبغي أن يكون له ألف حديث ينفرد بها لا يشاركه فيها أحد.

.. قال أبو زُرعة : محمد بن إسحاق قد أجمع الكبراء من أهل العلمِ على الأخذِ عنه، منهم : سُفيان، وشعبة، وابن عيينة، والحمادان، وابن المبارك، وإبراهيم بن سعد، وروى عنه من الأكابر: يزيدُ بن أبي حبيب. وقد آختبره أهل الحديث فرأوا صدقاً وخيراً، مع مِدْحة ابن شهاب له.

.. وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : الناس يشتهون حديثه.

.. وقال ابن نُمير : كان يُرمى بالقدر وكان أبعدَ الناس منه.

.. وقال علي بن المديني عن سفيان : ما رأيتُ أحداً يتهم محمدَ بنَ إسحاق.

.. وقال إبراهيمُ الحربيُّ : حدثني مصعب قال : كانوا يطعنون عليه بشيء ومن غير جنس الحديث.

.. وقال يزيد بن هارون : ولو سُوِّد أحد في الحديث لسُوِّد محمدُ بنُ إسحاق.

.. وروى يحيى بن آدم : حدثنا أبو شهاب : قال لي شعبة بن الحجاج : عليك بالحجاج بن أرطاة وبمحمد بن إسحاق.

.. وقال ابن عُلية : قال شعبة : أما محمد بن إسحاق وجابر الجعفي فصدوقان.

.. قال يعقوب بن شيبة : سألت ابن المديني : كيف حديث محمد ابن إسحاق صحيح؟ قال : نعم حديثه عندي صحيح. قلت له : فكلام مالك فيه ؟ قال لم يجالسه ولم يعرفه.. الخ.

.. وروى ابن أبي خيثمة عن يحيى : ليس به بأس.

.. قال العجلي : ثقة.

.. وروى المفضَّل بن غسان عن يحيى بن معين : ثَبْت في الحديث

.. وقال يعقوبُ بن شَيْبةَ سألت يحيى بن معين عنه : في نفسك شيء من صدقه ؟ قال : لا، هو صدوق.

.. وقال البخاري : رأيت علي بن عبدالله « المديني » يحتج بحديثه ــ أي ابن إسحاق ــ وقال لي : نظرت في كتابه فما وجدت عليه إلا حديثين، ويمكن أن يكونا صحيحين.

.. قال ابن عدي : « ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيءٌ، للاشتغال بمغازي رسول الله ــ ﷺ ــ، ومبعثه، ومبتدأ الخلق، لكانت هذه فضيلة سَبق بها ابنُ إسحاق، وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد فيها ما يُقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ واتُّهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئُ غيرُه. وجلَّ من لا يسهو.

مؤلفاته :

تذكر المصادرُ أن ابن إسحاق كتب في المبتدأ، وفي السيرة، والمغازي، وفي تاريخ الخلفاء حتى أيام المنصور ؛ قال الخطيب البغدادي : « وكان عالما بالسير وبالمغازي وأيام الناس وأخبار المبتدأ وقَصص الأنبياء ».

ويوضح ذلك كثرة مقتبسات كتاباته داخل كتب التاريخ والطبقات والسير، وأهمية هذه المقتبسات كبيرة لمعرفة منهاجه التاريخي. وهل ألف كتاباً في ثلاثة أقسام ــ المبتدأ (أو مبتدأ الخلق) والمبعث، والمغازي ــ أو أنه ألف أكثر من كتاب اعتمدها ابن هشام في تهذيبه للسيرة.. ؟

ومن الصعب أن نجزمَ بأنه ألَّف كتابَه في ثلاثةِ أقسامٍ : المبتدأ، والمبعث والمغازي.

وقد انفرد الخطيبُ البغداديُّ بقوله : « دخل محمدُ بنُ إسحاق على المنصورِ وبين يديه ابنُه فقال : اذهبْ فصنف له كتاباً مُنذ خلق اللهُ آدمَ إلى يومِك هذا، قال : فذهب فصنف له هذا الكتاب. فقال : لقد طولته يا ابن إسحاق فاختصرْه. قال فذهب فاختصره، فهو هذا الكتاب المختصر. وألقى الكتاب الكبير في خزانة أمير المؤمنين. وقال.. صنف محمدُ بنُ إسحاق هذا الكتاب في القراطيس ثم صيَّر القراطيس لسلمة، يعني « سلمة بن الفضل »، فكانت تفضل رواية سلمة على رواية غيره لحال تلك القراطيس ».

ومن الروايات التي تثبت أن ابن إسحاق ألف كتاباً واحداً في ثلاثة أقسام ما قاله ابن النديم أيضاً : « وله من الكتب كتاب الخلفاء، رواه عنه

الأمويُّ. وكتاب السيرة والمبتدأ والمغازي. ورواه عنه إبراهيم بن سعد، والنفيلي[1] ».

وتوجد روايات تثبت أنه كتاب واحد أيضاً مثل رواية ابن سعد ذكر أنه كتاب « المغازي والمبتدأ » والمقدسي ذكره « كتاب المبتدأ والمغازي » أيضاً ياقوت ذكره « السير والمغازي » والمسعودي « المغازي والسير » وابن النديم ذكره « السيرة والمبتدأ والمغازي » والمسعودي أيضاً ذكر هذا الكتاب بأنه « المغازي والسير وأخبار المبتدأ »، كل هذه الروايات توضح أنه كتاب واحد.

ولكن توجد أيضاً روايات توضح أنه ألف أكثر من كتاب منها ما قاله السخاوي : « وأما قصص الأنبياء ففي المبتدأ لمحمد بن إسحاق.. صاحب السيرة النبوية » وهنا نجد أنه فصل صراحة بين كتابين وهما المبتدأ، والسيرة ويقول ابن العماد أيضاً : « ومن كتب ابن إسحاق أخذ عبد الملك بن هشام » ولفظ كتب صريح هنا.

وأشار المقدسي إلى كتاب المبتدأ بقوله : « وهو أول كتاب عُمل في بدء الخلق ».

وذكر ياقوت « له من الكتب : كتاب السير والمغازي، وكتاب المبتدأ رواه عنه إبراهيم بن سعد ومحمد بن عبدالله بن نمير النفيلي » ونجده هنا قد فسر لنا أكثر بين الكتابين.

ومما سبق يتبين لنا أن الروايات قد انقسمت، منها ما يقول إنه ألف كتاباً واحداً في ثلاثة أقسام ـــ المبتدأ والسير والمغازي ـــ ومنها ما

---

(١) هو : محمد بن عبد الله بن نمير النفيلي «المتوفي سنة ٢٣٤ هـ » وربما أخطأ ابن النديم في كلمه كتاب التي تسبق السيرة والمبتدأ والمغازي، لأن كل كتاب على حدة، وإبراهيم ابن سعد والنفيلي قد رويا عنه كتاباً واحداً فقط وهو كتاب المبتدأ.

يوضح أنه ألف كتابين أحدهما في المبتدأ والثاني في المغازي « أي حياة النبي عامة »

ومما يزيد هذا الخلاف أن كتب التاريخ قد اقتبست[1] من كتب ابن إسحاق الكثير، فعمل هذا على تمزيق الكيان الكامل لكل كتاب، ويدل على ذلك أن البكائي ـــ وهو تلميذ ابن إسحاق ـــ قد روى المغازي والمبتدأ معا. وربما فعل ذلك ابن هشام في السيرة حيث إنه اقتبس من المبتدأ وأضاف إلى المغازي.

ونحن نميل إلى الرأي القائل بأن ابن إسحاق قد ألف كتابين.

والدليل الآخر على ذلك أن أستاذه الزهري وهو الذي نهج نهجه ابن إسحاق في تأليف المغازي والسير قد ألف ذلك في كتب منفصلة.

وكما ذكرت لنا كتب المناقب كتاباً آخر لكن دون خلاف وهو « كتاب الخلفاء » وهذا الكتاب المميز كان برواية الأموي، وقد كان لظهور كتاب المغازي أثره على شهرة هذا الكتاب، فيبدو أنه قد قلل من شأنه واطفأ من بريقه.

منهج ابن إسحاق في كتبه :

استعان ابن إسحاق بالزهري « أستاذه » وبوهب بن منبه، في وضع الشكل المفصل والقاعدة الأساسية للسيرة ؛ حيث نهج ابن إسحاق نَهْجَ الزهري في ترتيب وتسلسل الأحداث الزمنية، وكذلك منهج وهب بن

---

(١) وهذه الاقتباسات موجودة في: تاريخ الطبري، وتفسير الطبري، والاستيعاب لابن عبد البر، وفي فتوح مصر للواقدي، والأغاني للأصبهاني، ودلائل النبوة لأبي نُعَيم، وفي تهذيب التهذيب لابن حجر، ومرآة الجنان لليافعي، والروض الأنف للسهيلي... الخ.

منبه في كتاب « المبتدأ »، وبين وهب والزهري تكوَّن لدى ابنِ إسحاق هيكلُ كتابهِ في « السيرة النبوية ».

وقد استعان أيضاً ابنُ إسحاق في جمع مادته في المبعث والمغازي والمبتدأ إلى المصادر المدينية كثيراً، وقليل من المصادر المصرية، ولم يستعن بالمصادر الشرقية مثل العراق أو إيران.

وقد عارضته مدرسة المدينة لأنه خرج عن المألوف في دراسته للسيرةِ حيث خالفها ولم يلتزم بأسلوبِها في جمع موادِ السيرة، فنجده يقتبس من مختلفِ الاتجاهات دونَ حرَج، وخاصة الجزء الخاص « بالمبتدأ » فكان يستعين بما كتبه الأدباء اليهود والمسيحيون من قَصص، ورجع إلى الكتاب المقدس نفسه في بعض الأحيان، وذلك بالجزء الخاص بتاريخ الرسالات ما قبل الإسلام.

واستعان أيضاً بالشعر والحديث الشريف والآيات القرآنية لغرضِ توثيق مادته التاريخية.

وقد عارض ابنُ هشام بعض ما كتب ابن إسحاق خاصة في أول السيرة الذي يعد أضعف ما كتب ابن إسحاق، واقتبس في هذا القسم روايات وهب بن منبه، وابن عباس والإسرائيليات، فنجده يذكر قصص العرب قبل الإسلام. مثل طسم وجديس وأيضاً قصة الكاهنين شق وسطيح، ويذكر روايات تحكي انتشار الوثنية عن كعبِ بن مالكٍ القُرَظي، ويتناول تاريخ اليمن في عصر ما قبل الإسلام، ويظهر فيها تأثره بالقَصص الشعبي لأهل الكتاب، وأيضاً نجده يتأثر بالقصص القرآني الذي يَحكي تاريخ المسيحية واليهودية في شبه الجزيرة العربية وخاصة الجنوب، مثل قصة ذي نُواس الملك اليهودي « وأصحاب الفيل » أبرهة الأشرم الحبشي في غزوه للكعبة، وقصة سد مأرب، وذي القرنين ونجده

في كل هذا يستعين بالقَصص الشعبيِّ والقرآن الكريم والشعر العربي.. ويقتبس من وهب قصة انتشار المسيحية بنجران على يد فيميون الراهب. وعندما ذكر قصة ذي القرنين قال : فحدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه... »

وكانت طريقته في تأريخ هذه القصص أقرب ما يكون إلى طريقة أيام العرب الجاهلية الأسطورية، والإسرائيليات.

ويذكر الأستاذ عبد العزيز الدوري في بحثه القيّم : ومع أن أكثر أخباره دون إسناد إلا أنه يعطي أسانيدَ لبعض رواياته. ففي قصة انتشار النصرانية بنجران مثلا يورد رواية عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم. وفي كلامِه عن حفر بئر زمزم يأخذ عن يزيد بن أبي حبيب المصري. وفي معلوماته عن الحج والكعبة يورد بعضَ الأسانيد، وفي كلامه عن إنذار يهود بظهور النبي يورد رواية عن عاصم بن عمر، وفي حديثه عن شعائر الحج يورد روايةً عن هشامِ بن عروة وفي كلامه على الحمس يورد رواية هشام بن عروة، كما أنه يحاول الاستشهاد بآيات قرآنية في بعض ما أورده. ولكن بعض أسانيده ضعيفة، كما أنه لجأ إلى الشعر كوسيلة للتوثيق، على طريقة رواة الأيام، وأكثر منه دون تمييزٍ، فكان ذلك ثغرةً خطيرة في كتاباته. ولقد بدأ اهتمام ابن إسحاق بالإسناد عند وضع قسم المبعث، وذلك لأن بين يديه مادةً تاريخية خِصبةً من الأحاديث والمصادر والوثائق، وقد انفرد ببعض الوثائق مثل وثيقة معاهدة النبيّ ــ ﷺ ــ مع القبائل، وأيضاً مجموعات قوائم بأسماء المؤمنين الأولين، وقائمة بالمسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة الهجرة الأولى والثانية، وأول من أسلم من الأنصارِ، وقائمة بالمشتركين في بَيْعَتَيِ العقبةِ ؛ وقائمة بالمهاجرين والأنصارِ الذين تلقوهم في المدينة، وقائمة

بالمهاجرين والأنصار الذين آخى بينهم النبي ــ ﷺ ــ وبخلاف القوائم كانت أحاديثه أيضاً لا تتفق مع أسلوب أهل المدينة

يقول الأستاذ عبد العزيز الدوري : فحين يذكر بدء الوحي يأخذ عن عُروة، ولكنه يذهب إلى إيراد روايات مأخوذة عن بعض أهل العلم، ونرى القَصص الشعبي يتداخل مع الحديثِ، وهنا يبتعد كثيراً عن أسلوب الزهريِّ مثلا، وحين يتحدث عن وضع المسلمين عند بدءِ الدعوة يرجع إلى قَصص مجالس السمرِ فيقول « وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ــ ﷺ ــ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة... الخ » ويورد قصصاً محلية عن موقف المشركين من الرسول، دون إسناد، ثم يرجع ويستشهد بالآيات، ولعله أراد أن يُسند ما ذكر بها، وحين روى قصة وفدِ قريشٍ الذي فيه أن عتبةَ بن ربيعة استمع إلى تلاوة القرآن بصورة سرية، نجدها خالية من الإسناد وبشكل قصصي، ومثله عن فشو الإسلام في قريش ونجده يستهله بـ« حدثني بعضُ أهلِ العلم » وفي كلامه صدى للقرآن والتفسير، وأثر للشعر ولا بد لنا أن نلاحظ أن التأكيد على الإسناد لم يكن في عصر ابن إسحاق كما أصبح فيما بعد، وأن كثيراً من المعلومات عن المغازي كانت تنقل دون إسناد لأنها معروفةٌ لدى جماعات أو أسر.

أما الجزء الخاص « بالمغازي » ــ تاريخ النبي الحربي في المدينة ــ فقد أبرز ابن إسحاق تمكنه الحقيقي في هذا الجزء، حيث كانت القاعدةُ الأساسية هنا الإسناد، وقد راعى الدقةَ في تناوله لمرض النبي ــ ﷺ ــ ووفاته، واستعان ابن إسحاق بما رواه أساتذته المدينيون، وأهمهم الزهري واضع هيكل السيرة ودراسة المغازي، وعاصم بن عمر، وعبدالله بن أبي بكر، الذي اقتبس منه ابن إسحاق التأريخ بالسنين، وأخذ كثيراً عن الزبيريين وأكثر عن يزيد بن رومان، وهشام بن عروة، وعروة بن الزبير،

ولكنه لم يكتف بما جمع من هؤلاءِ جميعاً، بل كان يجمع أقوال أقارب الرجال والنساء الذين اشتركوا في الوقائع.

ويذكر هوروفتس : ويستخدم ابن إسحاق منهجاً محدداً لعرض الغزوات الفعلية ؛ ويقدم ملخصاً حاوياً للمحتويات في المقدمةِ، ويتبعه خبراً جماعياً مؤلفاً من أقوالِ أوثق أساتيذه، ثم يكمل هذا الخبر الرئيسي بالأخبار الفردية التي جمعها من المراجع الأخرى.

والقوائم كثيرة في المغازي أيضاً ؛ فهو يدون قائمةً بأولئك الذين حاربوا في بدرٍ ؛ وأخرى بالقتلى والأسرى ؛ وثالثة بقتلى أُحد، وكذلك قتلى الخندق، وخيبر، ومُؤْتة، والطائف.. الخ.

ويقول الأستاذ عبد العزيز الدوري : « إن ابن إسحاق حاول أن يتحفظ في رواياته وأخبارِه حتى قبل المبعث، كأن يقول « فيما يزعمون »، أو مثل قوله حين يذكر قولا ينسب للرسول عن ذي القرنين « فالله أعلم أي ذلك كان أقال ذلك رسولُ الله ــ ﷺ ــ أم لا فإن قاله فالحق ما قال » أو كقوله : « وزعم الناس فيما يتحدثون والله أعلم » أو قوله : « فكان فيما بلغنا من حديث الأحبار والرهبان عن رسول الله ــ ﷺ ــ قوله »، أو مثل قوله « وحدثني ثَوْر بن يزيد عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا خالد بن معدان الكلاعي، أن نفراً من أصحاب رسول الله... الخ » ويورد أحياناً ما يُشعر برأيه، فهو يذكر قصة الطير الأبابيل ثم يضيف « حدثني يعقوب بن عتبة أنه حُدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام ».

وقد أتقن ابن إسحاق أسلوب القصة في رواية الأحداث وخاصة في الفترة المكية حيث قلة الإسناد، ونجده رغم اعتماده على الإسناد في الفترة المدنية حيث كثرة المصادر والوثائق والمعلومات يؤجل الأشعار

عادة إلى آخر الحدث، مما يؤكد تأثره بأسلوب القصاص ــ والله أعلم.

وفاته :

اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاة ابن إسحاق، ويدور هذا الخلاف بين سنة ١٥٠ ــ ١٥٤ هـ. فيحدد أقدم المؤرخين وهم « البخاري وابن سعد وابن النديم » سنة ١٥١ هـ، أما الروايات الأخرى فتضطرب فنجدُ الذهبيَّ في تذكرة الحفاظ يورد سنة ١٥١ هـ ويضعف سنة ١٥٢ هـ. وابن خلكان يذكر سنة ١٥٠ هـ.و١٥٣ هـ.ويرجح سنة ١٥١ هـ، وياقوت يذكر سنة ١٥١ هـ. ١٥٢ هـ.

وروى الطبري : « قال ابن سعد، أخبرني ابن محمد بن أسحاق قال : مات أبي ببغداد سنة ١٥٠ هـ. ودُفِنَ في مقابر الخيزران »، وروى الخطيب البغدادي عن المديني سنة ١٥٢ هـ، وعن الخليفة بن خياط سنة ١٥٣ هـ وتوجد بعض الروايات ترجح سنة ١٤٤ هـ.

ورغم كل هذا الخلاف نجدهم يرجحون تلك السنة ــ « ١٥١ هـ ــ ٧٦٨ م » لوفاته

واتفقوا على أن وفاته كانت ببغداد. وقال ياقوت في « معجم الأدباء » : إنه دُفن بمقابر الخيزران عند قبر أبي حنيفة الإمام الأعظم صاحب المذهب المتبوع. وقبر أبي حنيفة معروف بالأعظمية.

وزاد ابن خلكان « ودفن في مقبرة الخيزران بالجانب الشرقي. وهي منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشيد، وإنما نسبت إليها لأنها مدفونة بها. وهذه المقبرة أقدم المقابر التي بالجانب الشرقي، من دجلة في بغداد ».

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن المسلمين عامة وعشاق كتابه (المغازي) خاصة خير الجزاء.

ثانياً : ابن هشام الذي اشتهرت باسمه السيرة

اسمه ونسبه :

هو : أبو محمدٍ عبدُ الملك بن هشام بن أيوب الحمْيَري[1] المعافري[2] البصري.

المعافري نسبه إلى المعافر بن يعفر، قبيلٌ كبير يُنسب إليه خلق كثير بعضهم باليمن وعامتهم بمصر.

وقد اختُلف في نسبته فقيل : قحطاني، وقيل : عدناني، وقيل : ذُهَلِيٌّ[3]، ولكن شهرته بالحميرية تجعلنا نرجح أنه حِمْيري من قحطان.

ولادته ونشأته :

ولد ابن هشام بالبصرة ــ وتاريخ ولادته مجهول ــ وتلقى العلم في نشأته الأولى بها ثم نزل مصر. ولا يذكر الرواةُ عن حياته أنه عاش في

---

(١) نسبته إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وفي حمير بطون وأفخاذ كثيرة

(٢) هو معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن الهميسع بن عمرو بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.
وفي معافر بطون كثيرة نزح بعضهم إلى مصر « الإنباه ص ١١٨ ».

(٣) ومنهم من يَردُّ نسبه إلى ذهل، وآخرون يردونه إلى سدوس. والذهلي، بضم الذال وسكون الهاء، منسوب إلى ذهل بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع، وهو بطن من كندة.

غيرهما ؛ وربما نزل أكثر من بلد، دون أن يشير إليها الرواة ؛ ذلك لأن طالب الحديث بطبيعته جوَّالٌ، يطوف البلاد في طلبه وسماعه.

منزلته :

قال أبو القاسم السُّهَيْلي عنه في كتاب الروض الأنف ــ شرح سيرة رسول الله ــ ﷺ ــ[1] : إنه مشهور بحمل العلم، متقدم في علم النسب والنحو، وهو من مصر، وأصله من البصرة، وله كتاب في أنساب حِمْير وملوكها، وكتاب في شرح ما وقع في أشعارِ السيرة من الغريب.

وقال ابن خلكان : ابنُ هشام هو الذي جمع سيرةَ رسول الله ــ ﷺ ــ من المغازي والسير لابن إسحاق، وهذبها ولخصها وشرحها... وهي الموجودة بأيدي الناس المعروفةُ بسيرة ابن هشام.

ويقول القفطي صاحب « إنباه الرواة » عن ابن هشام : « وهذه السيرة التي يرويها عن ابن إسحاق قد هذَّب منها أماكن : مرة بالزيادة، ومرة بالنقصان، وصارت لا تُعرف إلا « بسيرة ابن هشام » وللمصريين بها فرط غَرام وكثرة رواية، وعن المصريين نُقلت إلى سائر الآفاق.

من اشتهر بابن هشام من المؤلفين :

قال السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : « إن الملقبين بابن هشام خلقٌ وجماعة كثيرةٌ، أشهرهم ثمانية، وربما سقط منه لقب لأنه ذكرهم سبعة فقط هم حسب ترتيبه :

عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، أبو محمد البصري النحوي نزيل مصر، مُهذب السيرة النبوية لابن إسحاق... الخ

---

(١) انظره ــ بتحقيقنا.

وتلاه محمدُ بنُ يحيى بن هشام اللخمي النحوي اللغوي السبتي، أبو عبدالله أدَّب بالعربية، وله تآليف مفيدة « وقيل توفي سنة ٥٧٠ هـ ».

أما الثالث فهو : محمد بن يحيى بن هشام الخضراوي، العلامة أبو عبدالله الأنصاري الخزرجي الأندلسي، من أهل الجزيرة الخضراء، كان رأساً في العربية، أخذها عن ابن خروف وغيره، وأخذها عن الشلوبين، وصنف التآليف المفيدة، وتوفي سنة ٦٤٦ هـ.

الرابع هو : الشيخ جمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام صاحب المغني وغيره.

خامسهم : محمد بن عبدالله بن يوسف بن هشام. العلامة محب الدين ابن الشيخ جمال الدين النحوي ابن النحوي، كان أوحد عصره في تحقيق النحو ويقال فيه : هو أنحى من أبيه توفي سنة ٧٧٩ هـ.

سادس المشهورين هو : أحمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن هشام شهاب الدين، النحوي حفيدُ النحوي، فاق في العربية وغيرها توفي سنة ٨٨٥ هـ.

آخرهم : محمد بن عبد الواحد العجيمي، الشيخ شمس الدين النحوي المتفنن، سبط الشيخ جمال الدين بن هشام، كان فائقاً في معرفة العربية، أخذ عن خاله الشيخ محب الدين، وعنه أخذ الإمام تقي الدين الشمني، وتوفي سنة ٨٢٢ هـ

كل هؤلاء وغيرهم ممن اشتهر بلقب ابن هشام كان ابن هشام صاحب السيرة أشهرهم.

وإنما ذكرناهم لئلا يختلط مؤلفنا بأحدهم، كما يقع في ذلك الكثيرون.

منهج ابن هشام في تهذيبه سيرة ابن إسحاق

إن ابن هشام قد أوضح لنا في مقدمته ما أحدثه من التغييرات المنهجية في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق. فنجده يترك تاريخَ أهل الكتاب من آدم إلى إبراهيم، ولم يذكر من سلالة إسماعيل غير أجداد النبيِّ المباشرين، وذلك للاختصار. ونجده بعد ذلك يترك بعض ما ذكره ابنُ اسحاق من الروايات التي لا يرد فيها ذكرُ النبي ــ ﷺ ــ أو التي لا يشير إليها نَصُّ القرآن بشيء، ولا تحتوي على مناسبة أو شرح أو تأكيد أي أمر آخر مرويّ في كتاب ابن إسحاق.. ولا يوجد أي مبرر لهذا الحذف سوى الاختصار.

.. ولم يقف ابن هشام في تهذيب السيرة على سبب الاختصار بل كانت هناك أسباب أخرى منها كما ذكر في مقدمة كتابه : « ...وأشعاراً لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها... » وهنا نرجع إلى بحث الأستاذ عبد العزيز الدوري حيث قارن بين سيرة ابن هشام رواية عن البكائي ومخطوطة برواية يونس بن بكير[1] ذكر : « ليظهر أن ابن هشام حذف كثيرا من السيرة » في المخطوطة مثل قصائد لأبي طالب في مسيره برسول الله ــ ﷺ ــ إلى الشام. وقطعتان شعريتان للزبير وقصيدة لورقة بن نوفل يستبطئ فيها بعث النبي ــ ﷺ ــ وقصيدتين لورقة بن نَوْفل.. الخ

أما ما حذفه ابن هشام من الروايات فقد عبر عنه في مقدمته أيضاً بقوله : « وأشياء بعضها يشنع الحديثُ به وبعض يسوء بعضِ الناس ذكره.. » ومثال لذلك حذفه مجموعة من الروايات عن علم أهل الكتاب بظهور النبيِّ، وأن زمانَه قد أطل.. الخ.

---

(١) انظر الدراسة التي قدمها لدورة مجمع اللغة العربية المنعقد ببغداد في رجب١٣٨٥، فهي دراسة قيمة مفيدة ــ شكر الله له.

ويعلق عبد العزيز الدوري على هذا بقوله : « إن الكثير من المعلومات الواردة فيها قصصية أو أسطورية ولعله حذفها لهذا السبب، ولكن القليل منها يرد بأسانيد أفضل من كثير من الروايات التي أثبتها ابن هشام » مثلا (ص ١٩) رواية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة حول طواف القرشيين، ورواية أخرى (ص ٢٠) عن هشام بن عروة عن أبيه حول السعي بين الصفا والمروة » وحذف روايات عن ورقة بن نوفل (ص ٤٠ ــ ٤١، ص ٤٦) كما حذف روايات مختلفة عن الرسول ــ ﷺ ــ قبل البعث (ص ٤٠، ص ٤١) منها رواية عن محمد بن عبدالله بن قيس بن مَخْرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب قال : « سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول : ما هممت بشيءٍ مما كان أهلُ الجاهلية يلهون به إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما » ثم يسرد محاولتين للهو البريء وهو التفرج على حفلة عُرس (٧ــ٨) (المخطوطة).

أيضا كما قلنا فقد حذف ابن هشام حقائق علق بحذفه لها بقوله : « .. وبعض يسوء بعض الناس ذكره.. » ومثالا على ذلك النوع من الحذف ذكر يوسف هوروفتس[1] خبراً عن أسر العباس في بدر، ذلك الخبر الذي تركه ابن هشام خوفاً من إساءته إلى بعض الناس. وأيضاً خبر عن سرقة كنز الكعبة.

ويوضح لنا ابن هشام أيضاً جزءاً من منهجه في تهذيبه للسيرة أكثر بقوله : « ... وبعض لم يقر لنا البكَّائي بروايته، ومستقصى إن شاء الله ما سوى ذلك بمبلغ الرواية له والعلم به ».

(١) المغازي الأولى ومؤلفوها ــ ترجمة الأستاذ حسين نصار.

نجد هنا أن ابن هشام كان معتمداً وملتزماً برواية البكائي وحذف ما عدا ذلك.

وقد ذكر الأستاذ : محمد حميد الله منهج ابن هشام في هامش مقدمة كتاب ابن إسحاق سبباً آخر من الأسباب التي دعت ابن هشام لتهذيب السيرة وهي تكرار بعض أسماء وردت في سيرة ابن إسحاق. فمثلا هناك أسماء من هاجر إلى الحبشة، ذكرها ابن إسحاق مرتين في بابين مختلفين، وحتى في داخل الباب الواحد يذكر الأسماء أحياناً مرتين.

ومن منهج ابن هشام في شرحه للسيرة اتخاذُه القرآن الكريم وتفسيره أساساً لإثبات صحة الروايات.

شهرة سيرة ابن هشام بين العرب والمستشرقين :

يمكن القول بأن صيت ابن هشام علا منذ فترة مبكرة لتهذيبه للسيرة النبوية، ويتجلى ذلك في موقف اليعقوبي الذي « توفي حوالي سنة ٣٠٠ هـ » أي بعد وفاة ابن هشام بحوالي ٨٧ سنة فقط نجده قد اعتمد على ما هذبه ابن هشام في روايته للسيرة.

وهذا الصيت المبكر أدى إلى انتشار سيرة ابن هشام مما قلل الحاجة إلى معرفة سيرة ابن إسحاق « وهي الأصل ».

وتمتد شهرة ابن هشام إلى مراكش فقد اعتمد عليها السهيلي صاحب « الروض الأنف » في شرحه للسيرة ولم يقف الأمر هكذا فقد تناوله أئمة علماء كانوا متفردين بين علماء عصرهم نذكر منهم أبا ذر الخشني الذي شرح ألفاظ سيرة ابن هشام. ولم تقف شهرة سيرة ابن هشام على العلماء العرب فقط فقد تناولها كثير من المستشرقين والمسلمين في كل مكان

منهم الأستاذ غليوم الذي لخص سيرة ابن هشام بالإنجليزية، ويبدو أنه كان يبحث عما كتبه ابن إسحاق، لذلك نجده يحذف ويزيد عن طريق مصادر متعددة مثل الطبري وغيره، محاولةً منه لتكملة ما حذفه ابن هشام. وأيضاً قام الأستاذ : شاطاري بترجمة سيرة ابن هشام ونشرتها الجامعة العثمانية في حيدر أباد.

وبعدها وإلى الآن ظلت باقية يتعاقبها المؤرخون والمحققون بالشرح، ويُستخلص منها بعض الأحكام الشرعية والفقهية « فيما يُسمى بفقه السيرة » ومن هنا نقول إن كثيرا من العلماء يدينون لابن هشام برواية السيرة وتهذيبها وحفظها.

وفاته :

اجتمع الرأي في وفاة ابن هشام على المكان وهو الفسطاط بمصر، ولكن انقسم الرأي في تاريخ وفاته إلى فريقين، فريق قال سنة ٢١٣ هـ. وفريق آخر « على رأسهم عبد الرحمن بن أحمد بن يونس أبو سعيد صاحب « تاريخ مصر » الذي جعله للغرباء القادمين على مصر قال فيه « إن عبد الملك بن هشام توفي لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة « ٢١٨ هـ ــ مايو ٨٣٤ م » والله أعلم بالصواب.

آثاره :

ولابن هشام أكثر من مؤلف في أكثر من علم فمثلا بخلاف تهذيب سيرة ابن إسحاق وشرحها، نجده عالما في النسب وله كتاب في أنساب حمير وملوكها أسماه كتاب « التيجان لمعرفة ملوك الزمان » وهو يرويه بسنده عن وهب بن منبه، وقد طبع في حيدر أباد بالهند سنة ١٣٤٧ هـ.

وله أيضاً مؤلف في النحو ــ وبذلك كان يطلق عليه النحوي ــ ويذكر أيضاً من تآليفه شرح أخبار الغريب في السيرة.

رحم الله مؤلفنا ابن هشام وأكرمه على جميل صنعه.

وكتبه محققه

طه عبد الرءوف سعد

المراجع والمصادر

هذه بعض المراجع التي اعتمدنا عليها، فبعد القرآن الكريم وتفاسيره، وكتب السنة المطهرة وشروحها ــ رجعنا إلى الكتب الآتية :

ــ الأعلام : قاموس تراجم لخير الدين الزركلي

ــ إنباه الرواة: **القفطي**

ــ أنساب الأشراف : **البلاذري**

ــ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء : **ياقوت الحموي**

ــ البداية والنهاية في التاريخ : **ابن كثير**

ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : **السيوطي**

ــ بغية الملتمس : **الضبي**

ــ تاريخ آداب اللغة العربية : **جورجي زيدان**

ــ تاريخ الأدب العربي : **كارل بروكلمان**

ــ تاريخ الرسل والملوك : **الطبري**

ــ تاريخ بغداد أو مدينة السلام : **أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي [ت ٤٦٣ هـ]**

ــ تراث الإنسانية (سلسلة) : **المجلد الأول العدد العاشر**

ـ تذكرة الحفاظ : **الحافظ الذهبي**
ـ تهذيب التهذيب : **ابن حجر العسقلاني**
ـ دائرة المعارف الإسلامية
ـ دائرة المعارف النظامية : **(ط) ٢، ١٣٣٣ ـ ١٣٣٤ هـ**
ـ الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب : **ابن فرحون**
ـ تاريخ أبي الفدا : **أبو الفدا**
ـ دراسة في سيرة النبي ـ ﷺ ـ ومؤلفها ابن إسحاق : **عبد العزيز الدوري**
ـ الروض الأنف : **السهيلي** (من تحقيقنا)
ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة : **محمد بن جعفر الكتاني**
ـ سيرة ابن إسحاق : **جمع وتحقيق محمد حميد الله**
ـ شذرات الذهب : **ابن العماد**
ـ ضحى الإسلام : **أحمد أمين**
ـ طبقات الشعراء : **ابن سلام**
ـ طبقات المدلسين : **ابن حجر** (من تحقيقنا)
ـ طبقات ابن قاضي شهبة : **ابن قاضي شهبة**
ـ غاية النهاية في طبقات القراء : **لابن الجزري**
ـ الفهرست : **ابن النديم**
ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير : **ابن سيد الناس**
ـ العبر في خبر من غبر : **الحافظ الذهبي**
ـ المعارف : **ابن قتيبة**
ـ فتح القريب في سيرة الحبيب : **فتح الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن الشهيد**
ـ فتوح البلدان : **البلاذري**

ـ كشف الظنون : **حاجي خليفة**
ـ كشف اللثام في شرح سيرة ابن هشام : **بدر الدين محمد بن أحمد العيني الحنفي ت ٨٥٥ هـ.**
ـ الطبقات الكبرى : **ابن سعد**
ـ الكمال في معرفة الرجال : **الجماعيلي**
ـ مختصر سيرة ابن هشام : **للبرهان إبراهيم بن محمد بن المرحل**
ـ المورد العذب الهني في كلام على سيرة عبد الغني : **عبد الكريم بن محمد الجماعيلي الحنبلي**
ـ مشاهير علماء الأمصار : **البستي**
ـ ميزان الاعتدال في تراجم الرجال : **الذهبي**
ـ مروج الذهب : **المسعودي**
ـ معجم البلدان : **ياقوت**
ـ نكت الهميان : **الصفدي**
ـ نفح الطيب : **المقري**
ـ وفيات الأعيان : **ابن خلكان**
ـ الوافي بالوفيات : **الصفدي**

مصادر أجنبية

«J. Horowitz - the Earliest biographies of the Prophet and their Authors. Islamic culture 1927 - I p. 535 - 9, II pp. 22 - 50; pp. 164 - 182, pp. 415 - 520»

« هوروفتس »، وقد عربه الدكتور حسين نصار بعنوان « المغازي الأولى ومؤلفوها القاهرة ١٩٤٦ » من أشمل الدراسات الأجنبية.

كتب « فوك » رسالة جامعية عن ابن إسحاق ـــ أول دراسة علمية (أجنبية)

«J. Fück - Muhammad Ibn Ishaq - Frankfurt um Main 1923»

والحمد لله على حسن الختام.

المحقق

طه عبد الرءوف سعد

السيرة النبوية

لابن هشام

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبه نستعين ﴾

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين

ذكر سرد النسب الزكي من محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى آدم عليه السلام

قال أبو محمد عبدُ الملك بنُ هشام : هذا كتابُ سيرة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ محمد بن عبد الله[1] بن عبد المطلب. واسم عبد المطلب : شَيْبَة[2]، بن هاشم .

---

(١) عبد الله : معناه الخاضع الذليل له تعالى، وقد جاء « أحب أسمائكم، وفي رواية : أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » وجاء « أحب الأسماء إلى الله ما تُعبد به »

وقد سُمي ﷺ بعبد الله في القرآن، قال الله تعالى : ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه** ﴾ الآية ١٩ من سورة الجن.

(٢) يدعى شيبة الحمد : لكثرة حمد الناس له : أي لأنه كان مفزَع قريش في النوائب وملجأهم في الأمور، فكان شريف قريش وسيدها كمالاً وفعالاً من غير مدافع ولا منازع.

وقيل : قيل له شيبة الحمد ؛ لأنه وُلد وفي رأسه شَيْبة : أي كان وسط رأسه أبيض، أو سمي بذلك تفاؤلا بأنه سيبلغ سن الشيب كما سموا بهرم وكبير، وقيل اسمه عامر، =

= وعاش مائة وأربعين سنة : وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، وكان مُجاب الدعوة، وكان يقال له الفيَّاض لجوده، ومُطعم طير السماء، لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال.

وكان من حلماء قريش وحكمائها، وكان نديمه حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد أبي سفيان، وكان في جوار عبد المطلب يهودي فأغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من أسواق تهامة، فأغرى عليه حرب من قتله، فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب، ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي حفاظا لجواره، ثم نادم عبد الله بن جُدعان.

وقيل له عبد المطلب، لأن عمه المطلب لما جاء به صغيراً من المدينة أردفه خلفه : وكان بهيئة رثة : فصار كل من يسأل عنه ويقول من هذا ؟ يقول عبدي أي حياء أن يقول ابن أخي، فلما دخل مكة أحسن من حاله وأظهر انه ابن أخيه وصار يقول لمن يقول له عبد المطلب : ويحكم إنما هو شَيْبة ابن أخي هاشم، لكن غلب عليه الوصف المذكور فقيل له عبد المطلب .

وقيل لأنه تربَّى في حجر عمه المطلب، وكان عادة العرب أن تقول لليتيم الذي تربى في حجر أحد هو عبده.

وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيئات الأمور.

وكان يقول : لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب في ذلك، ففكر وقال : والله إن وراء هذه الدار داراً يُجزى فيها المحسن بإحسانه، ويُعاقب المسيء بإساءته : أي فالمظلوم شأنه في الدنيا ذلك، حتى إذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي مُعَدَّة له في الآخرة، ورفض في آخر عمره عبادة الأصنام. وتؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها، وجاءت السنة بها : منها الوفاء بالنذر، والمنع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، وتحريم الخمر والزنا، وأن لا يطوف بالبيت عريان، وكان لِدَة عُبيد بن الأبرص الشاعر، غير أن عبيدا مات قبله بعشرين سنة، قتله المنذر. ويقال : إن عبد المطلب أول من خَضَب بالسواد من العرب، والله أعلم. والمطلب مفتعل من الطلب.

ويقال : قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشما لما مر بالمدينة في تجارته إلى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خراش بن خندف بن عدي بن النجار الخزرجي النجاري وكان سيد قومه فأعجبته ابنته سلمى فخطبها إلى أبيها فزوجها منه واشترط عليه مقامها عنده، وقيل بل اشترط عليه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة. فلما رجع من الشام بنى بها =

واسم هاشم[1] : عَمرو بن عبد

= وأخذها معه إلى مكة، فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حبلى، فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزة ووضعت سلمى ولدها فسمته شيبة فأقام عند أخواله بني عدي بن النجار سبع سنين، ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف فأخذه خفية عن أمه فذهب به إلى مكة. فلما رآه الناس ورأوه على الراحلة قالوا من هذا معك ؟ فقال عبدي ثم جاءوا فهنئوه به وجعلوا يقولون له عبد المطلب لذلك فغلب عليه.

وساد في قريش سيادة عظيمة وذهب بشرفهم ورآستهم. فكان جماع أمرهم عليه وكانت إليه السقاية والرفادة بعد المطلب،

وهو الذي جدد حفر زمزم بعد ما كانت مطمومة من عهد جرهم، وهو أول من طلى الكعبة بذهب في أبوابها من الغزالتين من ذهب اللتين وجدهما في زمزم مع تلك الأسياف القلعية.

(١) أما هاشم فاسمه عمرو، كما ذكر. وهو اسم منقول من أحد أربعة أشياء : من العمر الذي الذي هو العُمر أو العَمر الذي هو من عمور الأسنان، وقاله القتبي، أو العَمر الذي هو طرف الكم، يقال سجد على عَمريه أي على كميه أو العَمر الذي هو القُرط كما قال التنوخي :

وعمـــرو هنـــد كأن الله صوَّره عمرو بن هند يسود الناس تعنيتا

يقصد بعمرو الأولى في البيت السابق : القرط، وبعمرو الثانية : عمرو بن هند أحد ملوك العرب المستبدين.

وزاد أبو حنيفة الدينوري في كتابه « النبات » ــ وجها خامسا فقال في العمر الذي هو اسم لنخل السكر : ويقال عَمر أيضاً، قال : يجوز أن يكون أحد الوجوه التي بها سمي الرجل عَمراً وقال : كان ابن أبي ليلى يستاك بعسيب العَمر.

وإنما سمي هاشما لأنه أول من هشم الثريد بعد جده إبراهيم، فإن إبراهيم أول من فعل ذلك. أي ثرد الثريد وأطعمه للمساكين، وفيه أن أول من ثرد الثريد وأطعمه بمكة بعد إبراهيم جد هاشم « قصي ».

ففي الإمتاع : وقصي أول من ثرد الثريد وأطعمه بمكة. وفيه أيضا هاشم عمرو العلا، أول من أطعم الثريد بمكة، ويقال : إن أول من فعل ذلك عمرو بن لحيّ.

وقد يقال : لا منافاة لأن الأولية إضافية، فأولية قصي لكونه من قريش، وأولية عمرو بن لحيّ لكونه من خزاعة، وأولية هاشم باعتبار شدة مجاعة حصلت لقريش وإلى ذلك يشير الشاعر بقوله :

وأطعـم في المحْـل عمـــرو العـــلا فللمسنتيـــــــــن به خصب عام =

= وقال أيضاً :

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه ... مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجوابي للوفود إذا ... لبوا بمكة ناداهم مناديه
أو أمحلوا أخصبوا منها وقد مُلئت ... قوتا لحاضره منهم وباديه

وقد قيل فيه :

قل للذي طلب السماحة والندى ... هلا مررت بآل عبد مناف
الرائشون وليس يوجد رائش ... والقائلون هلمّ للأضياف

وعن بعض الصحابة قال : رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله تعالى عنه على باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول :

يا أيها الرجل المحوّل رحله ... ألا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك، لو نزلت برحلهم ... منعوك من عدم ومن إقتار

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال : أهكذا قال الشاعر ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق، ولكنه قال :

يا أيها الرجل المحول رحله ... ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم ... منعوك من عدم ومن إقراف
الخالطين غنيهم بفقيرهم ... حتى يعود فقيرهم كالكافي

فتبسم رسول الله ﷺ وقال : هكذا سمعت الرواة ينشدونه، كما قال مطرود بن كعب الخزاعي في قصيدته وقيل للزبعرى والد عبد الله :

عمرو الذي هَشَم الثريد لقومه ... ورجالُ مكةَ مُسْنِتون عجافُ
سُنَّتْ إليه الرحلتان كلاهما ... سَفَرُ الشتاء ورحلةُ الأصياف

وذلك لأنه أول من سن رحلتي الشتاء والصيف، وكان أكبر ولد أبيه.

وكان هاشم بعد أبيه عبد مناف على السقاية والرفادة، فكان يعمل الطعام للحجّاج، يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد، ويقال لذلك الرفادة.

واتفق أنه أصاب الناس جدب شديد فخرج هاشم إلى الشام، وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام، فاشترى دقيقاً وكعكاً وقدم به مكة في الموسم، فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله ثريدا، وأطعم الناس حتى أشبعهم ؛ فسمي بذلك هاشما. وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء.

قال بعضهم : لم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء. قال ابن الصلاح : روينا عن الإمام سهل الصعلوكي أنه قال في قوله ﷺ « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » أراد فضل ثريد عمرو العلا، الذي عظم نفعه وقدره، وعم خيره =

= وبره، وبقي له ولعقبه ذكره.

قال : وقد ذكر أنه كان إذا هل هلال ذي الحجة قام صبيحته وأسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها يخطب ويقول في خطبته : يا معشر قريش إنكم سادة العرب، أحسنها وجوها، وأعظمها أحلاما أي عقولا، وأوسط العرب : أي أشرفها أنسابا، وأقرب العرب بالعرب أرحاما. يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله تعالى، أكرمكم الله تعالى بولايته، وخصكم بجواره دون بني إسماعيل، وإنه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأحق من أكرم أضياف الله أنتم، فأكرموا ضيفه وزواره، فإنهم يأتون شُعْثا غُبْرا من كل بلد على ضوامر كالقداح، فأكرموا ضيفه وزوار بيته، فورب هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه، وأنا مخرج من طيب مالي وحلاله ما لم يُقطع فيه رحم، ولم يُؤخذ بظلم، ولم يدخل فيه حرام ؛ فمن شاء منكم أن يفعل مثلي فعل، وأسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم إلا طيبا ؛ لم يُؤخذ ظلما، ولم يُقطع فيه رحم، ولم يُؤخذ غصبا، فكانوا يجتهدون في ذلك، ويخرجونه من أموالهم فيضعونه في دار الندوة.

لكل ما تقدم يقال لهاشم وإخوته عبد شمس والمطلب ونوفل أقداح النضار : أي الذهب ويقال لهم المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على سائر العرب.

وحكى ابن جرير عن « هاشم » : أنه كان توأم أخيه عبد شمس وأن هاشما خرج ورجله أي [إصبعها] ملتصقة برأس عبد شمس، ولم يمكن نزعها إلا بسيلان دم، فما تخلصت حتى سال بينهما دم، فقال الناس بذلك يكون بين أولادهما حروب، أو يقولون سيكون بينهما دم، فكان بين ولديهما أي بين بني العباس، وبين بني أمية بن عبد شمس سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة.

وكان إخوة هاشم : عبد شمس والمطلب ــ كان أصغر ولد أبيه وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال ــ وأيضاً نوفل من أم أخرى وهي واقدة بنت عمرو المازنية ولهم أخ ليس بمشهور وهو أبو عمرو واسمه عبد، وأصل اسمه عبد قصي. وكانوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم وصارت لهم الرياسة وكان يقال لهم المجيرون، وذلك لأنهم أخذوا لقومهم قريش الأمان من ملوك الأقاليم ليدخلوا في التجارات إلى بلادهم، فكان هاشم قد أخذ أمانا من ملوك الشام والروم وغسان، وأخذ لهم عبد شمس من النجاشي الأكبر ملك الحبشة، وأخذ لهم نوفل من الأكاسرة، وأخذ لهم المطلب أمانا من ملوك حمير.

قال بعضهم : ولا يعرف بنو أب تباينوا في محالّ موتهم مثلهم ؛ فإن هاشم مات بغزة، وعبد شمس مات بمكة، وقبره بأجياد، ونوفلا مات بالعراق، والمطلب مات ببرعاء من أرض اليمن.

مناف، واسم عبد مناف[1] : المُغيـــرة بن قُصي[2]،

(١) مناف أصل اسمه مناة اسم لصنم عظيم لهم، وكان سُمي به عبد مناة، ثم نظر قصي فرآه يوافق عبد مناة بن كنانة، فحوله : عبد مناف. وكانت أمه جعلته خادماً لذلك الصنم. وقيل وهبته له لأنه كان أول ولد لقصي على ما قيل، وعبد مناف اسمه المغيرة : وهو منقول من الوصف، والهاء فيه للمبالغة، أي أنه مُغير على الأعداء، أو مغير من : أغار الحبل إذا أحكمه، ودخلته الهاء كما دخلت في علَّامة ونسَّابة، لأنهم قصدوا الغاية، وأجروه مجرى الطامة والداهية. وكانت الهاء أولى بهذا المعنى ؛ لأن مخرجها غاية الصوت ومنتهاه، ومن ثم لم يكسَّر ما كانت فيه هذه الهاء، فلا يقال في علامة، علاليم، وفي نسابة : نساسيب ؛ كي لا يذهب اللفظ الدال على المبالغة، كما لم يكسَّر الاسم المصغر كي لا نذهب بنية التصغير وعلامته.

ويجوز أن تكون الهاء في مغيرة للتأنيث، ويكون منقولا من وصف كتيبة، أو خيل مغيرة، كما سموا بعسكر.

وعبد مناف هذا كان يلقب : قمر البطحاء ــ لحسنه وجماله ــ فيما ذكر الطبري. ويروى عن أبي نعيم قال : قلت لمالك : ما كان اسم عبد المطلب ؟ قال : شيبة، قلت : فهاشم، قال : عمرو، قلت : فعبد مناف، قال : لا أدري !! وكان عبد مناف أخو عبد الدار الذي كان أكبر ولد أبيه وإليه أوصى بالمناصب وعبد العزى وعبد وبرة وتخمر، وأمهم كلهم حُبَّى بنت حليل بن حبشي بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي، وأبوها آخر ملوك خزاعة وولاة البيت منهم وكلهم أولاد قصي.

وعبد مناف الجد الثالث لرسول الله ﷺ، وهو الجد الرابع لعثمان بن عفان، والجد التاسع للإمام الشافعي رضي الله تعالى عنهما.

(٢) وقُصي اسمه زيد، ويدعى مجمعاً أيضاً وهو تصغير قَصِي أي بعيد، لأنه بعد عن عشيرته في بلاد قُضاعة، حين احتملته أمه فاطمة مع ربيعة بن حزام. وصغر على فُعَيْل وهو تصغير فَعيل. وقيل له قصي لأنه ــ كما سبق ــ بعد مع أمه إلى الشام، لأن أمه تزوجت بعد موت أبيه، وهو فطيم، بشخص يقال له ربيعة بن حزام. وقيل حزام بن ربيعة العذري، فرحل بها إلى الشام، وكان قصي لا يعرف له أبا إلا زوج أمه المذكور. فلما كبر وقع بينه وبين آل زوج أمه شر، فغضب ذلك الرجل وعير قصيا بالغربة، وقال له : ألا تلحق بقومك وببلادك فإنك لست منا.

وفي لفظ : لما قيل له ذلك، قال ممن أنا ؟ قيل له سلْ أمك فشكا ذلك إلى أمه، فقالت له : بلادك خير من بلادهم، وقومك خير من قومهم، أنت أكرم أباً منهم، أنت ابن كلاب بن مرة، وقومك بمكة عند البيت الحرام تفد إليه العرب =

= فلما أراد الخروج إلى مكة قالت له أمه : لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج مع حجاج قضاعة، فإني أخاف عليك، فشخص مع الحجاج، فقدم قصي مكة على قومه مع حجاج قضاعة، فعرفوا له فضله وشرفه، فأكرموه وقدموه عليهم، فساد فيهم ثم تزوج بنت حُليل الخزاعي وكان أمر مكة والبيت إليه، وهو آخر من ولي أمر البيت والحكم بمكة من خزاعة، فجاء منها بأولاده، فلما انتشر ولده وكثر ماله وعلم شرفه مات حُليل، فرأى قصي أنه أولى بأمر مكة من خزاعة، لأن قريشا أقرب إلى إسماعيل من خزاعة، فدعا قريشا وبني كنانة إلى إخراج خزاعة من مكة فأجابوه إلى ذلك وانضم له قضاعة، جاء بهم أخو قصي لأمه فأزاح قصي يد خزاعة وولي أمر مكة.

وقيل إن حُليلا جعل أمر البيت لقصي. ولا منافاة لجواز أن تكون خزاعة لم ترض بما فعله حُليل من أن يكون أمر البيت لقصي فحاربهم وأخرجهم من مكة.

وقيل إن حُليلا أوصى بذلك لأبي غُبشان بعد أن أوصى بذلك لابنته زوج قصي، وقالت له لا قدرة لي على فتح البيت وإغلاقه، وأن قصيا أخذ ذلك منه بزق خمر، فقالت العرب : أخسر صفقة من أبي غُبشان.

وقيل إن أبا غبشان أعطى ذلك لبنت حُليل زوج قصي، وأعطاه أثوابا وأبعرة، فكان أبو غبشان آخر من ملك أمر مكة والبيت من خزاعة.

ولا يخالف ذلك ما تقدم من أن حُليلا آخر من ولي أمر البيت والحكم بمكة، لجواز أن يكون المراد آخر من ولي ذلك، واستمر كذلك إلى أن مات. قال بعضهم : وكان أبو غُبشان خالا لقصي، وكان في عقله شيء، فخدعه قصي فاشترى منه أمر مكة والبيت بأذواد من الإبل. والجمع بين هذه الروايات من أن قصيا أخذه من أبي غُبشان بزق خمر، وبين أنه أخذ ذلك بأثواب وأبعرة، وبين أنه أخذ ذلك بأذواد من الإبل ممكن، لجواز أن يكون جمع بين الخمر والأثواب والإبل فوقع الاقتصار على بعضها من بعض الرواة.

ثم جمع قصي قريشا بعد تفرقها في البلاد وجعلها اثنتي عشرة قبيلة، ومن ثم قيل له مجمع. وإلى ذلك يشير قول الشاعر :

قصي لعمري كان يُدْعَى مجمعا ... به جمع الله القبائل في فهر

وصار قصي رئيسا لقريش على الإطلاق حين أزاح يد خزاعة عن البيت، وأجلاهم عن مكة بعد أن لم يسلموا لقصي في ولاية أمر البيت، ولم يجيزوا ما فعل حُليل وأبو غُبشان على ما تقدم، وذلك بعد أن اقتتلوا آخر أيام منى بعد أن حذرتهم قريش الظلم والبغي، وذكرتهم ما صارت إليه جرهم حين ألحدوا في الحرم بالظلم، فأبت خزاعة، فاقتتلوا قتلا شديدا، وكثر القتل والجراح في الفريقين إلا أنه في خزاعة أكثر، ثم تداعوا للصلح واتفقوا =

= على أن يحكِّموا بينهم رجلا من العرب، فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلا شريفا، فقال لهم : موعدكم فناء الكعبة غدا، فلما اجتمعوا قام يعمر، فقال : ألا إني قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدميَّ هاتين، فلا تباعة لأحد على أحد في دم. وقيل قضى بأن كل دم أصابته قريش من خزاعة موضوع، وأن ما أصابته خزاعة من قريش فيه الدية، وقضى لقُصيّ بأنه أولى بولاية مكة، فتولاها.

وكانت خزاعة قد أزالت يد جرهم عن ولاية البيت، فإن مضاض بن عمرو الجرهمي الأكبر ولي أمر البيت بعد نابت بن إسماعيل عليه الصلاة والسلام، فإنه كان جدا لنابت وغيره من أولاد إسماعيل لأمهم، واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم ولد إسماعيل في ذلك لخئولتهم، وإعظاما لأن يكون بمكة بغي.

ثم إن جرهما بغوا بمكة، وظلموا من يدخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها، فأجمعت خزاعة لحربهم وإخراجهم من مكة، ففعلوا ذلك بعد أن سلط الله تعالى على جرهم دواب تشبه النغف، فهلك منهم ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوى الشباب. وذهب من بقي إلى اليمن مع عمرو بن الحارث الجرهمي آخر من ملك أمر مكة من جرهم، وحزنت جرهم على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو أبياتا منها :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والدهور البواتر

وصارت خزاعة بعد جرهم ولاة البيت والحكام بمكة كما تقدم. وكان كبير خزاعة عمرو بن لحي، وهو ابن بنت عمرو بن الحارث الجرهمي آخر ملوك جرهم المتقدم ذكره.

وقد بلغ عمرو بن لحي في العرب من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده في الجاهلية. وهو أول من أطعم الحج بمكة سدائف الإبل ولحمانها على الثريد.

وفي كلام بعضهم : صار عمرو للعرب ربا، لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شِرْعةً، لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم، وربما نحر لهم في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة.

وهو أول من غير دين إبراهيم : فقد قال بعضهم : تضافرت نصوص العلماء على أن العرب من عهد إبراهيم استمرت على دينه : أي من رفض عبادة الأصنام إلى زمن عمرو ابن لحي، فهو أول من غير دين إبراهيم، وشرع للعرب الضلالات، فعبد الأصنام، وسيَّب السائبة وبحَّر البحيرة. =

= وعمرو أول من وصل الوصيلة، وحمى الحامي، ونصب الأصنام حول الكعبة وأتى بهُبل من أرض الجزيرة ونصبه في بطن الكعبة فكانت العرب تستقسم عنده بالأزلام.

وأول من أدخل الشرك في التلبية، فإنه كان يلبي بتلبية إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وهي « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك » فعند ذلك تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه، فلما قال عمرو لبيك لا شريك لك، قال له ذلك الشيخ : « إلا شريكا هو لك »، فأنكر عمرو ذلك، فقال، فقال له ذلك الشيخ : « تملكه وما ملك »، وهذا لا بأس به، فقال ذلك عمرو، فتبعته العرب ذلك : أي فيوحِّدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده، قال تعالى توبيخا لهم ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾

وهو أول من أحل أيضا أكل الميتة، فإن كل القبائل من ولد إسماعيل لم تزل تحرم أكل الميتة حتى جاء عمرو بن لحي فزعم أن الله تعالى لا يرض تحريم أكل الميتة، قال : كيف لا تأكلون ما قتل الله وتأكلون ما قتلتم ؟

وروى البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً يجر قُصبه في النار » وفي رواية (أمعاءه) أي وهي المراد بالقُصب بضم القاف. وفي رواية « رأيته يؤذي أهل النار بريح قُصبه ».

وقال ﷺ لأكثم بن الجون الخزاعي واسمه عبد العزى وأكثم بالثاء المثلثة : وهو في اللغة واسع البطن « يا أكثم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلا أشبه من رجل منك به ولا بك منه، فقال أكثم : فعسى أن يضرني شبهه يا رسول الله، قال لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان »

فإن العرب من عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام استمرت على دينه لم يغيره أحد إلى عهد عمرو بن لحي.

ويقال إن عمرو بن لحي هو الذي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد، وكانت الأزد يحجون إليه ويعظمونه، وكذلك الأوس والخزرج وغسان.

وكان عمرو يخبر قومه بأن الرب يشتي بالطائف عند اللات ويصيف عند العزى، فكانوا يعظمونهما وكانوا يهدون إلى العُزى كما يهدون إلى الكعبة. وقُصيّ هو الذي أمر قريشا أن يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول البيت وقال لهم إن فعلتم ذلك هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم، فبنوا حول البيت من جهاته الأربع وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب ينسب إليه، كباب بني شيبة، وباب بني سهم، وباب بني مخزوم، وباب بني جمح، وتركوا قدر المطاف بالبيت فبنى قُصَيّ دار الندوة وهي أول دار بنيت بمكة، =

ابن كِلاب[1]

= واستمر الأمر على أنه ليس حول الكعبة إلا قدر المطاف، وليس حوله جدار زمنه ﷺ وزمن ولاية الصديق رضي الله عنه، فلما كان زمن ولاية عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها، ثم لما كان زمن ولاية عثمان رضي الله تعالى عنه اشترى دورا أخرى وغالى في ثمنها وهدمها وزاد في سعة المسجد، ثم إن ابن الزبير رضي الله عنهما زاد في المسجد زيادة كثيرة، ثم إن عبد الملك ابن مروان رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة ولم يزد فيه شيئا، ثم الوليد بن عبد الملك وسع المسجد وحمل إليه أعمدة الرخام، ثم زاد فيه المهدي والد الرشيد مرتين.

وكانت قريش قبل ذلك : أي قبل بناء منازلهم في الحرم يحترمون الحرم ولا يبيتون فيه ليلا، وإذا أراد أحدهم قضاء حاجة الإنسان خرج إلى الحل.

وقد جاء أنه ﷺ لما كان بمكة إذا أراد حاجة الإنسان خرج الى المغمش وهو على ثلثي فرسخ من مكة.

ومما يؤثر عن قُصَيّ : من أكرم لئيما أشركه في لؤمه. ومن استحسن قبيحا نزل إلى قبحه. ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان. ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان. ولما احتضر قال لأولاده : اجتنبوا الخمر، فإنها تفسد الأذهان.

وحاز قُصَيّ شرف مكة كله، فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة.

وكان عبد الدار أكبر أولاد قُصَيّ وعبد مناف أشرفهم : أي لأنه شرف في زمان أبيه قُصَيّ، وذهب شرفه كل مذهب، كذلك كان أخوه المطلب، كان يقال لهما البدران، وكانت قريش تسمي عبد مناف الفياض لكثرة جوده، فأعطى قُصَيّ ولده عبد الدار جميع تلك الوظائف التي هي السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة.

(١) واسمه حكيم، وقيل عروة، ولقب بكلاب لأنه كان يحب الصيد وأكثر صيده كان بالكلاب، وهو الجد الثالث لآمنة أمه ﷺ، ففي كلاب يجتمع نسب أبيه وأمه.

ولفظ « كلاب » : وهو منقول إما من المصدر الذي هو معنى المكالبة، وإما من الكلاب جمع كلب. لأنهم يريدون الكثرة. وقد قيل لأبي الرقيش الأعرابي : لم تسمون أبناؤكم بشر الأسماء نحو : كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو : مرزوق ورباح، فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا. يريد أن الأبناء عدة الأعداء وسهام في نحورهم، فاختاروا لهم هذه الأسماء.

ابن مُرَّة[1]، بن كَعب[2] بن لُؤَيّ[3]،

(١) مرة منقول من وصف الحنظلة والعلقمة، وكثيرا ما تسمي العرب بحنظلة وعلقمة. ويجوز أن تكون الهاء للمبالغة ؛ فيكون منقولا من وصف الرجل بالمرارة، ويقوي هذا قولهم : تميم بن مر وهو من المسمين بالنبات ؛ لأن أبا حنيفة الدينوري ذكر في كتاب : النبات : أن المرة بقلة تقلع فتؤكل بالخل والزيت، يشبه ورقها ورق الهندباء. وأبناء « مرة » ثلاثة هم كلاب ، وتيم ويقظة أبو مخزوم

ومرة أخو عدي وهصيص.

ومرة هو الجد السادس لأبي بكر رضي الله عنه، والإمام مالك رضي الله عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في هذا الجد.

(٢) وأما كعب فمنقول إما من الكعب الذي هو قطعة من السمن، أو من كعب القدم، وهو أشبه لقولهم : ثبت ثبوت الكعب. وجاء في خبر ابن الزبير : أنه كان يصلي عند الكعبة يوم قُتل، وحجارة المنجنيق تمر بأذنيه، وهو لا يلتفت كأنه كعب راتب أي ــ ثابت ــ

وكعب بن لؤيّ هذا أول من جمع يوم العروبة، ولم تسم العروبة الجمعة إلا منذ جاء الإسلام في قول بعضهم. وقيل : هو أول من سماه الجمعة ؛ لاجتماع قريش فيه إليه فيخطبهم، ويذكرهم بمبعث النبي ــ ﷺ ــ ويعلمهم أنه من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيمان به، ويقول : سيأتي لحرمكم نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم، وينشد أبياتا آخرها :

على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخباراً صدوق خبيرُها

وينشد أيضاً :

يا ليتني شاهد فحواء دعوته حين العشيرة تُبغى الحق خذلانا

وكان بينه وبين مبعثه ﷺ خمسمائة سنة وستون سنة. وفي الإمتاع : وعشرون سنة، لأن الحق أن الخمسمائة والستين إنما هي بين موت كعب والفيل الذي هو مولده ﷺ كما ذكره أبو نُعَيْم في الدلائل النبوية.

وقيل إن كعب أول من قال (أما بعد) فكان يقول : أما بعد فاسمعوا وافهموا، وتعلموا واعلموا، ليل داج. وفي رواية : ليل ساج، ونهار صاح، والأرض مهاد، والسماء بناء، والجبال أوتاد، والنجوم أعلام، والأولون كالآخرين، فصِلوا أرحامكم واحفظوا أصهاركم، وثمِّروا أموالكم، الدار أمامكم، والظن غير ما تقولون.

وقيل له كعب لعلوه وارتفاعه، لأن كل شيء علا وارتفع فهو كعب. وهو الجد الثامن لعمر رضي الله تعالى عنه.

(٣) قال ابن الأنباري : هو تصغير اللأى وهو الثور الوحشي وأنشد : =

ابن غالب[1] بن فهر[2]

= يعتاد أُدْحية بقين بقفرة ميثاء يسكنها اللأيُ والفرقد

ولؤي : بالهمزة أكثر من عدمها : وفي سبب تصغيره خلاف قال أبو حنيفة الدينوري : اللأى هي البقرة، وأنشد في وصف فلاة :

كظهر اللأى لو يبتغي ريّة بها نهاراً لأعيت في بطون الشواجن

وهو أيضاً تصغير لأي، لأن اللأي : البطء، كأنهم يريدون معنى الأناة وترك العجلة، وذلك أنه وُجد في أشعار بدر مكبراً على هذا اللفظ في شعر أبي أسامة حيث يقول :

فدونكم بني لأي أخاكم ودونك مالكا يا أم عمرو

مع ما جاء في بيت الحُطيئة :

أتت آل شماس بن لأي وإنما أتاهم بها الأحلام والحسب العِدُّ

وقوله أيضا :

فماتت أمُّ جارة آل لأي. ولكن يضمنون لها قراها

وفي الحديث من قول أبي هريرة : « أحبُّ إليَّ من شاء ولاء » فاللاء ههنا جمع اللائي، وهو الثور، مثل الباقر والجامل. وتوهم ابن قتيبة أن قوله لاء مثل ماء فخطأ الرواية. وقال إنما هو « ألْآء » مثل ألعاع جمع لأي.

وكعب وعامر وسامة وخزيمة وسعد والحارث وعوف سبعتهم أبناء لؤي أخي تَيْم الأدرم.

(١) وأبناء غالب هم لؤي وتَيْم الأدرم وغالب أخي الحارث ومحارب.

(٢) [فهر] : قيل : إنه لقب، والفهر من الحجارة الطويل، واسمه قريش، وقيل بل اسمه فهر، وقريش لقب له : إنما سمي قريشا لأنه كان يقرش : أي يفتش على خلة حاجة المحتاج فيسدها بماله، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم، فسموا بذلك قريشا. قال بعضهم : وهو جماع قريش عند الأكثر، قال الزبير بن بكار : أجمع النسابون من قريش وغيرهم على أن قريشا إنما تفرقت عن فهر، وفهر هذا هو الجد السادس لأبي عبيدة بن الجراح. ولما جاء حسان بن عبد كلال من اليمن في حمير وغيرهم لأخذ أحجار الكعبة إلى اليمن ليبني بها بيتا، ويجعل حج الناس إليه ونزل بنخلة، خرج فهر إلى مقاتلته بعد أن جمع قبائل العرب، فقاتله وأسره، وانهزمت حمير ومن انضم إليهم واستمر حسان في الأسر ثلاث سنين ثم افتدى نفسه بمال كثير، وخرج فمات بين مكة واليمن، فهابت العرب فهرا وعظموه وعلا أمره. =

ابن مالك[1] بن النَّضْر[2]، بن كِنانة[3] بن خُزَيمة[4]، بن مُدْرِكة[5]، واسم مدركة :

= ومما يؤثر عن فهر قوله لولده غالب : قليل ما في يديك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وإن صار إليك.

وأبناء فهر هم غالب والحارث ومحارب، وفهر أخو الحارث وكلاهما ابن مالك. وقد روي عن نسابي العرب أنهم قالوا : من جاوز فهرا فليس من قريش وإليه تنسب القبيلة « قريش ».

(١) قيل له ذلك لأنه ملك العرب، وهو أخو الصلت ويخلد.

(٢) ولقب به لنضارته وحسنه وجماله، واسمه قيس، وهو جماع قريش عند الفقهاء، فلا يقال لأحد من أولاد من فوقه قرشي ويقال لكل من أولاده الذين منهم مالك وأولاده قرشي، فقد سُئل رسول الله ﷺ، « من قريش ؟ فقال من ولد النضر » أي وعلى أن جماع قريش « فهر » كما تقدم، فمالك وأولاده والنضر جده وأولاده ليسوا من قريش ــ ولكن ابن كثير في البداية والنهاية يرجح أن « النضر » الذي إليه جماع قريش.

وأمه برة بنت أد بن طابخة.

(٣) قيل له كنانة، لأنه لم يزل في كنّ من قومه. وقيل لستره على قومه وحفظه لأسرارهم، وكان شيخا حسنا عظيم القدر تحج إليه العرب لعلمه وفضله. وكان يقول : قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو إلى الله وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق، فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا إلى عزكم، ولا تعتدوا ــ أي تكذِّبوا ــ ما جاء به فهو الحق.

قال ابن دحية رحمه الله : كان كنانة يأنف أن يأكل وحده ؛ فإذا لم يجد أحداً أكل لقمة ورمى لقمة إلى صخرة ينصبها بين يديه أنفة من أن يأكل وحده.

ومما يؤثر عنه : رب صورة تخالف المخبرة، قد غرَّت بجمالها، واختبر قبح فعالها، فاحذر الصور واطلب الخبر.

(٤) وخزيمة والد كنانة، تصغير خزمة، وهي واحدة الخزم، وهو موجود في أسماء الأنصار وغيرهم، وهي المرة الواحدة من الخزم، وهو شد الشيء وإصلاحه. وقال أبو حنيفة الدينوري في كتابه « النبات » : الخزم مثل الدوم تتخذ من سعفه الحبال، ويصنع من أسافله خلايا للنحل، وله ثمر لا يأكله الناس ولكن تألفه الغربان وتستطيبه.

(٥) والصحيح عند الجمهور أن اسمه : عمرو، وقيل له مدركة لأنه أدرك كل عز وفخر كان في آبائه، وكان فيه نور رسول الله ﷺ : ولعل المراد ظهوره فيه.

عامر، بن إلْياس [1]، بن مُضر [2]،

---

(١) قال فيه ابن الأنباري إلياس بكسر الهمزة وقيل مفتوحة أيضاً، وقيل همزة وصل، وجعله موافقا لاسم إلياس النبي ــ ﷺ ــ وقال في اشتقاقه أقوالا منها : أن يكون فعيالاً من الألس وهي الخديعة وأنشد :

من فهَّة الجهل والألسة

ومنها : أن الألس اختلاط العقل وأنشدوا :

إني لضعيف العقل مألوس

ومنها : أنه إفعال من قولهم رجل أَلْيس وهو الشجاع الذي لا يفر. قال العجاج :

أَلْيس عن حوبائه سخي

وقال آخر :

أَلْيس كالنشوان وهو صاح

والذي قاله غير ابن الأنباري أصح وهو أنه « الياس » ــ سُمي بضد الرجاء، واللام فيه للتعريف، والهمزة همزة وصل وقاله قاسم بن ثابت في الدلائل، وأنشد أبياتا شواهد منها قول قصي :

إني لدى الحرب رحى اللبب أُمَّهتي خندف واليـاس أبـي

وقيل : سمي بذلك، لأن أباه مضر كان قد كبر سنه ولم يولد له ولد، فولد له هذا الولد فسماه الياس، وعظم أمره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته، وكانت لا تقضي أمراً دونه.

وهو أول من أهدى البدن إلى البيت، وأول من ظفر بمقام إبراهيم لما غرق البيت في زمن نوح عليه السلام فوضعه في زاوية البيت كذا من حياة الحيوان فليتأمل، وجاء في حديث « لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا ».

قيل : وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه. ولما مات حزنت عليه زوجته خندف حُزنا شديدا، لم يظلها سقف بعد موته حتى ماتت. ومن ثم قيل : أحزن من خندف. وقيل وأم الياس الرباب بنت حُمير بن معد بن عدنان، قاله الطبري، وهو خلاف ما قاله ابن هشام.

(٢) وأما مضر فقد قال القتبي : هو من المضيرة، أو من اللبن الماضر، والمضيرة شيء يصنع من اللبن ؛ فسُمي مضر لبياضه، والعرب تسمي الأبيض أحمر، فلذلك قيل مضر الحمراء.

ابن نزار[1]، بن مَعَدّ[2] بن عدنان[3]، بن أدُّ[4].

وقيل : بل أوصى له بقبة حمراء، وأوصى لأخيه ربيعة بفرس، فقيل مضر الحمراء وربيعة الفرس. وقيل : لأنه اقتسم هو وأخوه ربيعة مال والدهما أغنى نزارا أخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء. وجاء في حديث « لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مؤمنين » وفي رواية « لا تسبوا مضر فإنه كان على ملة إبراهيم » وفي حديث غريب « لا تسبوا مضر فإنه كان على دين إسماعيل » .

ومما حفظ عنه : من يزرع شرا يحصد ندامة. وكان مضر من أحسن الناس صوتا، وهو أول من حدا من العرب للإبل.

(١) بكسر النون وهو من النزر وهو القليل، وكان أبوه حين وُلد له ونظر إلى النور بين عينيه ــ وهو نور النبوة الذي كان ينتقل في الأصلاب إلى محمد ــ ﷺ ــ فرح فرحاً شديداً به، ونحر وأطعم، وقال : إن هذا كله نزر لحق هذا المولود ؛ فسمي نزار لذلك.

(٢) وأما مَعَد فقال ابن الأنباري : فيه ثلاثة أقوال ــ أحدها : أن يكون مفعلا من العد. والثاني : أن يكون فَعَلا من مَعَد في الأرض أي أفسد، كما قال :

وخـــار بيـــن خربـــا فمعَـــدا ما يحسبـــان الله إلا رقـــدا

وإن كان ليس في الإسماء ما هو على وزن فعل بفتح الفاء إلا مع التضعيف، فإن التضعيف يدخل في الأوزان ما ليس فيها، كما قالوا : شمَّر وقُشْعريرة، ولولا التضعيف ما وجد مثل هذا ونحو ذلك. الثالث : أن يكون من المعدّيْن وهما موضع عقبي الفارس من الفرس، وأصله على القولين الأخيرين من المعْد بسكون العين وهو القوة، ومنه اشتقاق المعدة. وقيل له معد لأنه كان صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل، ولم يحارب أحدا إلا رجع بالنصر والظفر.

(٣) فعلان من عدنان إذا أقام. ولعدنان أخوان : نبت وعمرو فيما ذكر الطبري. وقد قيل في عدنان : هو ابن مبدعة، وقيل : ابن يحثم قاله القتبي.

(٤) ويقال أدد : قال ابن السراج : هو من الود وانصرف.

ويقال أُدَد، بن مُقَوِّم[1]، بن ناحور[2]، بن تَيْرَح[3]، بن يَعْرُب، بن يَشْجُب[4]، بن نابت، بن إسماعيل[5]، بن إبراهيم[6] ـــ خليل الرحمن ـــ ابن تارح ـــ وهو آزر[7] ـــ بن ناحور، بن ساروغ، بن داعو، بن فالخ[8]، بن عَيْبر[9]، بن شالخ[10]، بن أَرْفَخْشَذ[11]، بن سام، بن

---

(١) مقوِّم بكسر الواو، وأبو أدد.

(٢) ناحور : من النحر.

(٣) وتيرح فيعل من الترحة إن كان عربيا.

(٤) ويشجب من الشجب، وإن كان المعروف أن يقال : شجب بكسر الجيم يشجب بفتحها، ولكن قد يقال في المغالبة : شاجبته فشجبته أشجبه، بضم الجيم من المضارع، وفتحها من الماضي ؛ كما يقال من العلم : عالمته فعلّمته بفتح اللام أعلُمه بضمها. وقد ذكرهم أبو العباس الناشئ في قصيدته المنظومة في نسب النبي ـــ ﷺ ـــ إلى آدم، كما ذكرها ابن إسحاق.

(٥) تفسيره : مطيع الله.

(٦) معناه : أب راحم. وما بعد إبراهيم أسماء سريانية فسر أكثرها بالعربية ابن هشام.

(٧) قيل معناه : يا أعوج، وقيل : هو اسم صنم، وانتصب على إضمار الفعل في التلاوة، وقيل : هو اسم لأبيه ؛ كان يسمى تارح وآزر، وهذا هو الصحيح لمجيئه في الحديث منسوبا إلى آزر، وأمه : نونا، ويقال في اسمها : ليوثى.

(٨) وقيل فيه فالغ ومعناها : القسام.

(٩) ويقال فيه عابر.

(١٠) معناها : الرسول، أو الوكيل.

(١١) تفسيره : مصباح مضيء، وشاذ مخفف بالسريانية : الضياء ومنه « حم شاذ » بالسريانية، وهو رابع الملوك، بعد « جيومرث » وهو الذي قتله الضحاك، واسمه « بيوراسب بن إندراسب » والضحاك مغير من : إزدهاق.

قال أبو تمام الشاعر المشهور :

كأنه الضحاك في فتكاته ... بالعالمين وأنت أفريدون

لأن أفريدون هو الذي قتل الضحاك، بعد أن عاش ألف سنة في جور وعتو وطغيان عظيم ؛ وذلك مذكور على التفصيل في تاريخ الطبري.

نوح [1]، بن لَمَك [2]، بن مَتوُشَلَخ [3]، بن أخنوخ [4] وهو إدريس [5] النبي ــ فيما يزعمون ــ والله أعلم. وكان أول بني آدم أُعطي النبوة، وخَطَّ بالقلم ــ ابن يَرْد [6]، بن مَهْليل [7] بن قَيْنَن [8]، بن يانِش [9]، بن

---

(١) واسمه عبد الغفار ؛ وسمّي نوحاً لنوحه على ذنبه وأخوه : صابئ بن لامك ؛ إليه ينسب دين الصابئين ــ عبدة الكواكب والملائكة، ومن يخرجون من دين إلى دين، ويزعم الصابئون أنهم على دين نوح عليه السلام ــ فيما ذكروا والله أعلم.

(٢) ويقال لامك والد نوح عليه السلام. ولامك أول من اتخذ العود للغناء بسبب يطول ذكره، واتخذ مصانع الماء.

(٣) وذكره الناشئ في قصيدته فقال : :

ومن قبل لمك لم يزل متوشلخ يذود العدا بالزائدات الشوائب

فمتوشلخ هنا معناها : مات الرسول ؛ لأن أباه كان رسولا وهو خنوخ. أو أخنوخ.

(٤) قال ابن إسحاق وغيره : هو إدريس النبي ــ عليه السلام ــ وروى ابن إسحاق عن شهر ابن حوشب عن أبي ذر عن النبي ــ ﷺ ــ أنه قال : « أول من كتب بالقلم إدريس » وعنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ إنه قال : « أول من كتب بالعربية إسماعيل » وقال أبو عمر : وهذه الرواية أصح من رواية من روى : أن أول من تكلم بالعربية إسماعيل، والخلاف كثير في أول من تكلم بالعربية. وفي أول من أدخل الكتاب العربي أرض الحجاز ؛ فقيل : حرب بن أمية. قاله الشعبي ــ وقيل : هو سفيان بن أمية. وقيل : عبد ابن قصيّ، تعلمه بالحيرة، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار.

(٥) قيل : إنه إلياس، وإنه ليس بجد لنوح. ولا هو في عمود هذا النسب. قال الشيخ ــ ويستدل بحديث الإسراء ــ فإن النبي ــ ﷺ ــ كلما لقي نبيا من الأنبياء الذين لقيهم ليلة الإسراء، قال : مرحباً بالنبي الطالح والأخ الصالح. وقال له آدم : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، وكذلك قال له إبراهيم. وقال له إدريس : والأخ الصالح، فلو كان في عمود نسبه، لقال له كما قال له أبوه إبراهيم، وأبوه آدم، ولخاطبه بالنبوة، ولم يخاطبه بالإخوة.

(٦) وتفسيره : الضابط.

(٧) وقيل مهلائيل : وتفسيره : الممدَّح، وفي زمنه كان بدء عبادة الأصنام.

(٨) وقيل : ابن قينان، وتفسيره المستوي.

(٩) وقيل : أنوش، وتفسيره الصادق، وهو بالعربية : أنش ؛ وهو أول من غرس النخلة، وبوب الكعبة، وبذر الحبة فيما ذكروا.

شيث[1]، بن آدم[2]، ﷺ.

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائي[3]، عن محمد بن إسحاق المطلبي[4]، بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ إلى آدم عليه السلام، وما فيه من حديث إدريس وغيره.

قال ابن هشام : وحدثني خلاد بن قُرَّة بن خالد السَّدوسي، عن شَيْبان ابن زُهَيْر بن شقيق بن ثَوْر، عن قتادة بن دِعامة، أنه قال :

إسماعيل بن إبراهيم ــ خليل الرحمن ــ ابن تارِح ــ وهو آزر ــ ابن ناحور بن أسرغ بن أرغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أَرْفَخْشَذ بن

---

(١) وهو بالسريانية : شاث. وبالعبرانية : شيث. وتفسيره : عطية الله.

(٢) وفيه ثلاثة أقوال : قيل : هو اسم سرياني وقيل : هو أفعل من الأُدْمة ؛ ــ السمرة ــ وقيل : أخذ من لفظ الأديم ؛ وهو ما ظهر من أي شيء ــ لأنه خُلق من أديم الأرض. وروي ذلك عن ابن عباس. وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل عن محمد بن المستنير، وهو : قطرب أنه قال : لو كان من أديم الأرض لكان على وزن فاعل، وكانت الهمزة أصلية، فلم يكن يمنعه من الصرف مانع، وإنما هو على وزن أفعل من الأدمة. ولذلك جاء غير مصروف.

وهذا القول ليس بشيء ؛ لأنه لا يمتنع أن يكون من الأديم ويكون على وزن أفعل. تدخل الهمزة الزائدة على الهمزة الأصلية كما تدخل على همزة الأدمة. فأول الأدمة همزة أصلية. وكذلك أول الأديم همزة أصلية، فلا يمتنع أن يبنى منها أفعل. كما يقال : رجل أعين وأرأس من العين والرأس. وأسوق وأعنق من الساق والعنق. مع ما في هذا القول من المخالفة لقول السلف الذين هم أعلم منه لسانا، وأذكى جنانا.

(٣) هو : أبو محمد زياد بن عبد الله البكائي الكوفي وهو محدث مشهور.

(٤) هو : أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار من المحدثين خاصة في المغازي والسير، توفي ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة هجرية ــ انظر تاريخه مفصلا هو وابن هشام في مقدمة الكتاب.

سام بن نوح بن لَمْك بن متُّوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهْلَائيل بن قَاين ابن أَنُوش بن شيث بن آدم ــ ﷺ ــ[1].

---

(١) ومما تقدم في ذكر سرد النسب الزكي من محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى عدنان لا خلاف فيه بين العلماء، فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون الى هذا النسب، ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾ لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ نسب يتصل بهم ــ وذلك أن جميع قبائل العرب العدنانية تنتهي إليه بالآباء وكثير منهم بالأمهات أيضاً، كما ذكره محمد بن إسحاق في أمهاته وأمهات آبائه وأمهاتهم.

.. واضطرب النسابون قبل عدنان وفيما يلي هذا الخلاف :

ما بعد عدنان من الأسماء مضطرب فيه، فالذي صح عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه انتسب إلى عدنان لم يتجاوزه، بل قد روي من طريق ابن عباس، أنه لما بلغ عدنان قال : « كذب النسابون مرتين أو ثلاثا ». والأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود.

قالت عائشة رضي الله عنها : ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلا تخرصاً أي كذبا.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه « أن النبي ــ ﷺ ــ انتسب حتى بلغ النضر بن كنانة ثم قال : « فمن قال غير ذلك » أي مما زاد على ذلك « فقد كذب ».

ولعل إطلاق الكذب على من زاد على كنانة إلى عدنان يخالف ما سبق من إن المجمع عليه إلى عدنان، إلا أن يقال : لا مخالفة، لأنه يجوز أن يكون عمرو بن العاص لم يسمع ما زاد على النضر بن كنانة إلى عدنان مع ذكره ﷺ له الذي سمعه غيره.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما « أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز معد ابن عدنان بن أدّ، ثم يمسك ويقول : « كذب النسابون مرتين أو ثلاثا ». وهذه الجملة الصحيح أنها من قول ابن مسعود والدليل على ذلك ما جاء : كان ابن مسعود إذا قرأ قوله تعالى : ﴿ **ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله** ﴾ قال : كذب النسابون، يعني الذين يدعون علم الأنساب، ونفى الله تعالى علمها عن العباد.

وقد يقال : هذه الرواية تقتضي إما الزيادة على المجمع عليه، وإما النقص عنه : أي زيادة « أدد » أو نقص « عدنان »، فهي مخالفة لما قبلها.

وسبب الاختلاف فيما بين عدنان وآدم أن قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون إليها، وإنما كانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من بعض. =

= وأصح شيء روي فيما بعد عدنان، ما ذكره الدولابي أبو بشر، من طريق موسى بن يعقوب، عن عبد الله بن وهب بن زمعة الزمعي، عن عمته، عن أم سلمة، عن النبي ﷺ أنه قال : « معد بن عدنان، بن أدد، بن زند ــ بالنون ــ بن اليَرَى، بن أعراق الثرى ». قالت أم سلمة : فزند : هو الهميسع، واليرى : هو نبت، وأعراق الثرى هو : إسماعيل ؛ لأنه ابن إبراهيم، وإبراهيم لم تأكله النار، كما أن النار لا تأكل الثرى. وقد قال الدارقطني : لا نعرف زنداً إلا في هذا الحديث، وزند بن الجون وهو أبو دلامة الشاعر.

وهذا الحديث ليس بمعارض لما تقدم من قوله : « كذب النسابون » ولا لقول عمر رضي الله عنه، لأنه حديث متأول يحتمل أن يكون قوله : ابن اليرى بن أعراق الثرى، كما قال : « كلكم بنو آدم وآدم من تراب ». لا يريد أن الهميسع ومن دونه ابن لإسماعيل لصلبه، ولا بد من هذا التأويل أو غيره، لأن أصحاب الأخبار لا يختلفون في بُعد المدة ما بين عدنان وإبراهيم، ويستحيل في العادة أن يكون بينهما أربعة آباء أو سبعة كما ذكر ابن إسحاق، أو عشرة أو عشرون ؛ فإن المدة أطول من ذلك كله، وذلك أن معد بن عدنان كان في مدة بختنصر ابن اثنتي عشرة سنة. قاله الطبري.

وقد ذكر الطبري نسب عدنان إلى إسماعيل من وجوه ذكر في أكثرها نحواً من أربعين أبا، ولكن باختلاف في الألفاظ، لأنها نقلت من كتب عبرانية. وذكر من وجه قوي في الرواية عن نُساب العرب أن نسب عدنان يرجع إلى قيذر بن إسماعيل، وأن قيذر كان الملك في زمانه، وأن معنى قيذر : الملك.

[**التكلم في الأنساب بين المجوزين والمانعين**] : وقد تُكلم في رفع هذا النسب على مذهب من رأى ذلك من العلماء، ولم يكرهه، كابن إسحاق والطبري والبخاري وغيرهم من العلماء. وأما مالك ــ رحمه الله ــ فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك، قيل له : فإلى إسماعيل، فأنكر ذلك أيضا ؛ وقال : ومن يخبره به ؟! وكره أيضا أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال : إبراهيم ابن فلان ابن فلان، قال : ومن يخبره به ؟! وقول مالك هذا نحو مما روي عن عروة بن الزبير أنه قال : ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان وإسماعيل. وعن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ قال : بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون.

تنبيه : قال القاضي عياض ــ في كتابه الشفاء ــ وأما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك. وكذلك محمد لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده أن نبياً يبعث اسمه محمد. فسمي قوم قليل من =

منهج ابن هشام في عرضه للسيرة : قال ابن هشام : وأنا ــ إن شاء الله ــ مبتدئٌ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومَن وَلد رسولَ الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ من ولدِه، وأولادِهم لأصلابهم، الأولَ فالأولَ، من إسماعيل إلى رسول الله ــ ﷺ ــ وما يَعْرِض من حديثهم، وتاركٌ ذكْرَ غيرهم مِن ولد إسماعيل على هذه الجهة، للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وتاركٌ بعضَ ما ذكره ابنُ إسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضُها يَشْنُعُ الحديث به، وبعضٌ يسوء بعضَ الناس ذِكْره، وبعضٌ لم يُقِرّ لنا البَكَّائي بروايته، ومستقصٍ ــ إن شاء الله تعالى ــ ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له، والعلم به.

= العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو « والله أعلم حيث يجعل رسالاته » وهم : محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي. ومحمد بن سلمة الأنصاري. ومحمد بن البراء الكندي. ومحمد بن سفيان بن مجاشع. ومحمد بن حمران الجعفي. ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم.

ويقال إن أول من سمِّي محمداً محمد بن سفيان بن مجاشع. واليمن تقول بل محمد ابن ليحمد من الأزد. ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدَّعي النبوة أو يدعيها له أحد، أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في أمره حتى تحققت الشيمتان له ــ ﷺ ــ لم ينازع فيهما.

سياقةُ النسب من ولد إسماعيل عليه السلام

أولاد إسماعيل عليه السلام : قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائي، عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبي قال :

ولدَ إسماعيلُ بنُ إبراهيم[1] ــ عليهما السلام ــ اثني عشر رجلا : نابتا ــ وكان أكبرهم ــ وقيْذَر وأذْبُل، ومنْشا ومِسْمَعا، وماشي، ودِمًّا، وأذر، وطيما، ويَطُورا، ونَبِش، وقَيْذُما[2]، وأمهم : بنت مُضاض بن عمر الجُرْهُمي.

---

(١) وقد كان لإبراهيم ــ عليه السلام ــ بنون سوى إسحاق وإسماعيل منهم ستة من قطورا بنت يقطر وهم : مديان وزَمران وسرج بالجيم ونقشان ــ ومن ولد نِقشان البربر في أحد الأقوال ــ وأمهم رغوة. ومنهم : لشق، وله بنون آخرون من حَجُّون بنت أهين، وهم : كيسان وسورج وأميم ولوطان ونافس. هؤلاء بنو إبراهيم.

(٢) وقد ذكر ابن إسحاق: أسماء بني إسماعيل، ولم يذكر بنته، وهي نسمة بنت إسماعيل، وهي امرأة عيصون بن إسحاق وولدت له الروم وفارس ــ فيما ذكر الطبري ــ وقال : أشك في الأشبان هل هي أمهم، أم لا ؟ وهم من ولد عيصو، ويقال فيه أيضاً : عيصا، وذكر في ولد إسماعيل : طيما، وقيده الدارقطني : ظميا بظاء منقوطة بعدها ميم، كأنها تأنيث أظمى، والظمى مقصور : سمرة في الشفتين. وذكر دِمًّا، ورأيت للبكري أن دومة الجندل عرفت بدوما بن إسماعيل وكان نزلها، فلعل دِمًّا مغيَّر منه.

قال ابن هشام : ويقال : مضاض، وجُرهم بن قحطان ــ وقحطان أبو اليمن كلها، وإليه يجتمع نسبها ــ ابن عامر بن شالخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح.

قال ابن إسحاق : جُرْهُم بن يَقْطن بن شالخ، ويَقْطَن هو : قحطان ابن عَيْبر بن شالخ.

عمر إسماعيل وموطن أمه ووفاته : قال ابن إسحاق : وكان عمر إسماعيل ــ فيما يذكرون ــ مائة سنة وثلاثين سنة، ثم مات ــ رحمة الله وبركاته عليه ــ ودفن في الحِجْر[1] مع أمه هاجر[2] ــ رحمهم الله تعالى.

قال ابن هشام : تقول العرب : هاجر وآجر، فيبدلون الألف من الهاء، كما قالوا : هراق الماء، وأراق الماء، وغيره. وهاجر من أهل مصر.

---

(١) الحجر : هو حجر الكعبة وهو ما تركته قريش في بنائها من أساس إبراهيم حينما ضاقت بهم النفقة وحجَّرت على الموضع ليعرف أنه من الكعبة.

(٢) وكانت سرية لإبراهيم، وهبتها له سارة ابنة عمه، وهي سارة بنت تُوبيل بن ناحور، وقيل : بنت هاران بن ناحور، وقيل : هاران بنت تارح.

وكانت هاجر قبل ذلك لملك الأردن، واسمه صادوق ــ فيما ذكر القتبي ــ دفعها إلى سارة حين أخذها من إبراهيم عجبا منه بجمالها، فصُرع مكانه، فقال : ادعى الله أن يطلقني. الحديث، وهو مشهور في الصحاح، فأرسلها، وأخذ معها هاجر، وكانت هاجر قبل ذلك الملك، بنت ملك من ملوك القبط بمصر ذكره الطبري من حديث سيف بن عمر وغيره : أن عمرو بن العاص حين حاصر مصر، قال لأهلها : إن نبينا عليه السلام قد وعدنا بفتحها، وقد أمرنا أن نستوصي بأهلها خيراً، فإن لهم نسباً وصهراً، فقالوا له : هذا نسب لا يحفظ حقه إلا نبي، والنسب أن أم إسماعيل « هاجر » مصرية. والصهر : أن مارية سرية الرسول أم ابنه إبراهيم مصرية أيضا.

حديث الوصاة بأهل مصر وسببها : قال ابن هشام : حدثنا عبدالله بن وهب عن عبدالله بن لَهيعَة، عن عُمر مولى غَفْرَة[1] أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال :

« اللهَ اللهَ في أهل الذمةِ. أهل المدَرَة السوداء، السُّحْم الجِعاد[2]، فإن لهم نسباً وصهراً ».

قال عمر مولى غُفْرَة : نسبُهم : أن أمَّ إسماعيل النبي ــ ﷺ ــ منهم. وصهرُهم أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ تسرَّر فيهم[3].

قال ابن لَهِيعَة : أم إسماعيل : هاجر، من « أم العَرَب » قرية كانت أمام الفَرَما[4] من مصر.

---

(١) غَفْرة : أخت أو بنت بلال رضي الله عنه.

(٢) المدرة : البلدة. والسُّحم : السود. والجعاد : يقال فلان جعد الشعر إذا كان فيه تكسير.

(٣) تسرر الرجل : اتخذ أمة لفراشه.

(٤) الفرما : مدينة كانت تنسب إلى صاحبها الذي بناها، وهو الفرما بن قبلقوس، ويقال فيه : ابن قليس، ومعناه : محب الغرس، ويقال فيه : ابن بليس. ذكره المسعودي. والأول قول الطبري، وهو أخو الإسكندر بن قليس اليوناني. وذكر الطبري أن الإسكندر حين بنى مدينة الإسكندرية قال : أبني مدينة فقيرة إلى الله، غنية عن الناس. وقال الفرما : أبني مدينة فقيرة إلى الناس، غنية عن الله ؛ فسلط الله على مدينة الفرما الخراب سريعا، فذهب رسمها وعفا أثرها، وبقيت مدينة الإسكندر إلى الآن.

وذكر الطبري أن عمرو بن العاص حين افتتح مصر وقف على آثار مدينة الفرما، فسأل عنها، فحُدثَ بهذا الحديث، والله أعلم.

وأم إبراهيم[1] : مارية[2] سُرِّيَّة النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ التي أهداها له المقوقس من حفن[3]، من كورة أنْصِنا[4].

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن عُبَيْد الله بن شهاب الزهري : أن عبد الرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري، ثم السُّلَمي، حدثه : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : « إذا فتحتم مصر[5]، فاستوصُوا بأهلها خيراً ؛ فإن لهم ذِمةً ورحما ». فقلت لمحمد بن مسلم الزهري : ما الرحم التي ذَكر رسول الله ــ ﷺ ــ لهم ؟ فقال : كانت هاجَر أم إسماعيل منهم.

---

(١) هو إبراهيم ابن رسول الله ــ ﷺ ــ.

(٢) مارية ومعناها : البقرة الفتية إذا كان اللفظ مخففا، والملساء إذا كان اللفظ مشدداً واسمها مارية بنت شمعون وأهداها إليه ــ ﷺ ــ المقوقس، واسمه : جُرَيج بن ميناء وكان رسول الله ــ ﷺ ــ قد أرسل إليه حاطب بن أبي بلتعة وجبراً مولى أبي رُهْم الغفاري، فقارب الإسلام وأهدى معهما إلى النبي ــ ﷺ ــ بغلته التي يقال لها دُلْدُل، والدلدل ــ القنفذ العظيم ــ وأهدى إليه أيضاً قدحاً من قوارير، فكان رسول الله ــ ﷺ ــ يشرب فيها. رواه ابن عباس.

(٣) حفن : وأما حفن التي ذكر أنها قرية أم إبراهيم ابن النبي ــ ﷺ ــ فقرية بالصعيد معروفة وهي التي كلم الحسن بن علي ــ رضي الله عنهما ــ معاوية أن يضع الخراج عن أهلها، ففعل معاوية ذلك حفظا لوصية رسول الله ــ ﷺ ــ بهم، ورعاية لحرمة الصهر، ذكره أبو عُبَيْد في كتاب الأموال.

(٤) أنصنا : وهي قرية بالصعيد بمصر يقال : إنها كانت مدينة السَّحَرَة، قال أبو حنيفة الدينوري : ولا ينبت اللبخ إلا بأنصنا، وهي عود تنشر منه ألواح للسفن، وكان يباع اللوح منها بخمسين ديناراً، أو نحوها، وإذا شد لوح منها بلوح، وطرح في الماء سنة التأما، وصارا لوحاً واحداً.

(٥) وقد سميت بمصر بن النبيط، ويقال : ابن قبط بن النبيط من ولد : كوش بن كنعان.

أصل العرب : قال ابن هشام : فالعرب كلُّها من ولد إسماعيل وقحطان، وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل، ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها.

قال ابن إسحاق : عاد بن عَوْص بن إرَم بن سام بن نوح، وثمود وجَديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح، وطَسْم[1] وعِمْلاق وأُمَيم[2] بنو لاوِذ بن سام بن نوح. عربٌ كلُّهم. فولد نابتُ بنُ إسماعيلَ : يشْجُبَ بن نابت، فَولَدَ يشجبُ : يعرُبَ بن يشجب : فولدَ يعرب : تَيْرح بن يعرب، فولد تيرحُ : ناحورَ بن تيرح، فولَدَ ناحور : مُقَوّم بن ناحور، فولد مقوم : أُدَدَ بنَ مقوم، فولد أددُ : عدنانَ بن أُدَد.

قال ابنُ هشامٍ : ويقالُ : عدنانُ بن أُدّ.

---

(١) طسم وجديس : فأما طَسْم وجَديس فأفنى بعضهم بعضاً. قتلت طسم جديساً لسوء ملكتهم إياهم، وجورهم فيهما، فأفلت منهم رجل اسمه : رباح بن مرة، فاستصرخ بتبع، وهو حسان بن تُبان أسعد، وكانت أخته اليمامة، واسمها عنز متزوجة في طسم، وكان هواها معهم، فأنذرتهم، فلم يقبلوا، فصبحتهم جنود تبع فأفنوهم قتلا، وصلبوا اليمامة الزرقاء بباب جوّ، وهي المدينة، فسميت جو باليمامة وذلك في أيام ملوك الطوائف، وبقيت بعد طسم ــ خرابا ــ لا يأكل ثمرها إلا عوافي الطير والسباع، حتى وقع عليها عبيد بن ثعلبة الحنفي، وكان رائداً لقومه في البلاد، فلما أكل الثمر قال : إن هذا لطعام، وحجَّر بعصاه على موضع قصبة اليمامة، فسميت : حجراً، وهي منازل حنيفة.

(٢) وأميم بفتح الهمزة وتشديد الميم مكسورة، ولا نظير له في الكلام، والعرب تضطرب في هذه الأسماء القديمة. قال المعري :

يراه بنو الدهر الأخير بحاله ... كما قد رأته جرهم وأميم

فجاء به على وزن فعيل، وهو الأكثر.

وأميم ــ فيما ذكروا ــ أول من سقف البيوت بالخشب المنشور، وكان ملكا، وكان يسمى : آدم، وهو عند الفُرس : آدم الصغير، وولده : وبار، وهم أمة هلكت في الرمل، هالت الرياح الرمل على فجاجهم ومناهلهم فهلكوا. قال الشاعر :

وكر دهر على وبار ... فأُهْلكت عَنْوَة وبارُ

قال ابن إسحاق : فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم ــ عليهما السلام ــ فولد عدنان رجلين : معدّ بن عدنان، وعَكّ ابن عدنان[1].

قال ابن هشام : فصارت عكّ في دار اليمن، وذلك أن عكا تزوج في الأشعريين، فأقام فيهم ؛ فصارت الدار واللغة واحدة. والأشعريون : بنو أشعر بن نَبْت بن أُدَد بن زيد بن هَمَيْسع بن عمرو بن عريب بن يَشْجُب ابن زَيْد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرب بن قحطان[2]. ويقال:

---

(١) وبعض أهل اليمن يقول فيه : عَكُّ بن عبد الله، بن عُدْثان بالثاء المثلثة، ولا خلاف في الأول أنه بنونين، كما لم يختلف في دَوس بن عدثان، أنه بالثاء، وهي قبيلة من الأزد أيضا، واسم عك : عامر. والديث الذي ذكره هو بالثاء، وقال الزبير : الذيب بالذال والياء، ولعدنان أيضا ابن اسمه : الحارث، وآخر يقال له المَذْهَب، ولذلك قيل في المثل : أجمل من المذهب. وقد ذكر أيضا في بنيه الضحاك، وقيل في الضحاك : إنه ابن معد، لا ابن عدنان، وقيل إن عدنان الذي تعرف به مدينة عدن، وكذلك أبين هما : ابنا عدنان، قاله الطبري. ولعدنان بن أدد أخوان : نبت بن أدد، وعمرو بن أدد. قاله الطبري أيضا.

(٢) أما قحطان فاسمه مِهزم ــ فيما ذكر ابن ماكولا ــ وكانوا أربعة إخوة فيما روي عن ابن منبِّه ؛ قحطان وقاحط ومقحَط وفالغ. وقحطان أول من قيل له : أبيت اللعن وأول من قيل له : عم صباحا واختلف فيه، فقيل : هو ابن عابر بن شالخ، وقيل : هو ابن عبد الله أخو هود، وقيل : هو هود نفسه، فهو على هذا القول من إرم بن سام، ومن جعل العرب كلها من إسماعيل قالوا فيه : هو ابن تَيْمَنَ بن قيذر بن إسماعيل. ويقال، هو ابن الهميسع بن يَمن، وبيمن سميت به اليمن في قول، وقيل : بل سميت بذلك لأنها عن يمين الكعبة. وتفسير الهميسع : الصرَّاع.

وقال ابن هشام : يمن هو : يعرب بن قحطان، سمي بذلك ؛ لأن هودا عليه السلام قال له أنت أيمن ولدى نقيبة في خبر ذكره. قال. وهو أول من قال القريض والرجز. وهو الذي أجلى بني حام إلى بلاد المغرب بعد أن كانوا يأخذون الجزية من ولد قُوطَة بن يافث، قال : وهي أول جزية وخراج أُخذت في بني آدم. وقد احتجوا لهذا القول، أعني : أن قحطان من ولد إسماعيل عليه السلام بقول النبي ــ ﷺ ــ « ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا » قال هذا القول لقوم من أسلم بن أفصى، وأسلم أخو خزاعة وهم =

أشعرُ : نَبْت بن أُدَد. ويقال : أشعر : بنُ مالك، ومالك : مَذْحج بن أُدَد ابن زيد بن هَمَيْسع. ويقال : أشعر : بن سبأ[1] بن يشجُب.

وأنشدني أبو مُحْرِز خَلفٌ الأحمر، وأبو عُبَيْدة، لعباس بن مِرْداس، أحد بني سُلَيْم بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان، يفخر بعك :

وعك بن عدنان الذين تلقَّبوا بغسان حتى طُرِّدوا كلَّ مَطْرِدِ

وهذا البيت في قصيدة له. وغسان : ماء بسد مأرب باليمن، كان شِرْباً لولد مازن بن الأسْد[2] بن الغَوْث، فسُموا به. ويقال : غسان : ماء[3] بالمُشَلَّل قريب من الجُحْفَة، والذين شربوا منه تحزبوا فسُموا به قبائل من ولد مازن بن الأسد، بن الغَوْث، بن نَبْت، بن مالك، بن زَيْد، ابن كَهْلان، بن سبأ، بن يَشْجُب، بن يَعْرُب، بن قَحْطان.

= بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهم من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ولا حجة في هذا الحديث لأهل هذا القول، لأن اليمن لو كانت من إسماعيل ــ مع أن عدنان كلها من إسماعيل بلا شك ــ لم يكن لتخصيص هؤلاء القوم بالنسبة إلى إسماعيل معنى ؛ لأن غيرهم من العرب أيضا أبوهم إسماعيل، ولكن في الحديث دليل ــ والله أعلم ــ على أن خزاعة من بني قَمعة أخي مدركة بن إلياس بن مضر، وكذلك قول أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ « هي أمكم يا بني ماء السماء » يعني : هاجر، يحتمل أن يكون تأول في قحطان ما تأوله غيره، ويحتمل أن يكون نسبهم إلى : ماء السماء على زعمهم، فإنهم ينتسبون إليه، كما ينتسب كثير من قبائل العرب إلى حاضنتهم وإلى رابِّهم، أي : زوج أمهم.

(١) وسبأ اسمه : عبد شمس ــ كما ذكر ــ وكان أول من تزوج من ملوك العرب، وأول من سَبى فسمي سبأ، ولست من هذا الاشتقاق على يقين ؛ لأن سبأ مهموز والسبي غير مهموز (عن الروض الأنف. للسهيلي ــ من تحقيقنا).

(٢) ويقال فيه الأزد أيضاً.

(٣) واشتقاق غسان ــ اسم ذلك الماء ــ من الغس وهو الضعيف وبعد هذا البيت :

يا أخت آل فراس إنني رجل من معشر لهم في المجد بنيان

ذكرُ نسب الأنصار

قال حسانُ بن ثابت الأنصاري، والأنصار بنو الأوس والخزرج[1]، ابنَيْ حارثة، بن ثَعْلبة، بن عمرو[2]، بن عامر[3]، بن حارثة، بن امرئ القيس، بن ثعلبة، بن مازن، بن الأسْد[4]، بن الغوث :

إمَّا سألْتِ فإنا مَعْشرٌ نُجُبٌ الأُسْدُ نسبتُنا والماءُ غسانُ[5]

وهذا البيت في أبيات له.

---

(١) الأوس والخزرج : والأوس : الذئب والعطية أيضاً، والخزرج : الريح الباردة، ولا أحسب الأوس في اللغة إلا العطية خاصة، وهي مصدر أُسته، وأما « أوس » الذي هو الذئب فعلم كاسم الرجل، وهو كقولك : أسامة في اسم الأسد، وليس أوس إذا أردت الذئب، كقولك : ذئب وأسد، ولو كان كذلك يجمع وعُرِّف. قال : كما يفعل بأسماء الأجناس، وقيل في الأنثى : أوْسة كما يقال : ذئبة.

وفي الحديث ما يقوي هذا، وهو قوله عليه السلام : « هذا أُوَيْس يسألكم من أموالكم » فقالوا : « لا تطيب له أنفسنا بشيء » ولم يقل : هذا الأوس فتأمله. وليس أوس على هذا من المسمين بالسباع، ولا منقولا من الأجناس إلا من العطية خاصة. (انظر الروض الأُنف ــ من تحقيقنا).

(٢) وهو مُزَيْقياء، لأنه ــ فيما ذكروا ــ كان يمزق كل يوم حُلة.

(٣) وهو : ماء السماء، بن حارثة الغطريف، بن امرئ القيس، وهو : البُهْلول، بن ثعلبة الصنم، ابن مازن السِّراج، ابن الأسد، ويقال لثعلبة أبيه : الصنم، وكان يقال لثعلبة بن عمرو جد الأوس والخزرج : ثعلبة العَنْقاء، وكأنهم ملوك متوجون، ومات حارثة بن ثعلبة العنقاء والد الأوس والخزرج بالمدينة بعد ظهورهم على الروم بالشام، ومصالحة غسان لملك الروم، وبعد موت حارثة كان ما كان من نكث يهود العهود، حتى ظهرت الأوس والخزرج عليهم بمن استنصروا به من ملوك جَفْنة.

(٤) ويقال في الأسْد : الأزْد ؛ بالسين والزاي، واسمه : الازدراء بن الغوث. قاله وثيمة بن موسى بن الفرات. وقال غيره : سمي أسْداً لكثرة ما أسْدى إلى الناس من الأيادي. ورُفع في النسب إلى كهلان بن سبأ، وكهلان كان ملكاً بعد حمير، وعاش ــ فيما ذكروا ــ ثلاثمائة سنة، ثم تحول الملك إلى أخيه حِمْيَر، ثم في بنيهم وهم : وائل ومالك وعمرو وعامر وسعد وعوف.

(٥) وبعد هذا البيت : =

فقالت اليمن، وبعض عك، وهم الذين بخراسان منهم : عك بن عدنان بن عبدالله بن الأسد بن الغوث. ويقال : عُدْثَان بن الديث بن عبدالله بن الأسْد بن الغَوْث.

قال ابنُ إسحاق : فوَلَدَ معدُّ بن عدنان أربعةَ نفر[1] : نزار بن معد، وقضاعة، بن معد، وكان قضاعة بِكْر معد الذي به يُكْنَى ــ فيما يزعمون ــ وقُنُص بن معد، وإياد بن معد.

فأما قُضاعة فتيامنت إلى حِمْير بن سبأ ــ وكان اسم سبأ : عبد شمس ــ وإنما سُمِّيَ سبأً ؛ لأنه أول من سَبَى في العرب ــ ابن يشجب ابن يَعْرُب بن قحطان.

قال ابن هشام : فقالت اليمن وقضاعة : قضاعة بن مالك بن حِمْير. وقال عمرو بن مرة الجهنى، وجُهَينة بن زيد[2]، بن لَيْث، بن سَوْد، بن

= إمَّــا سألتِ فإنــا مَعشرٌ أنــفٌ الأَسْدُ نسبتُنــا، والمــاءُ غسانُ
يا أختَ آلِ فراسٍ إننــي رجــلٌ من معشرٍ لهم في المجدِ بُنيــان

واشتقاق غسان اسم ذلك الماء من الغس، وهو الضعيف كما قال :

غَس الأمانة صُنبور فصنبور

ويروى غُس، ويقال للهر إذا زُجر : غِسْ بتخفيف السين قاله صاحب العين. والغسيسة من الرطب : التي يبدأها الإرطاب من قِبَل مِعْلاقها، ولا تكون إلا ضعيفة ساقطة.

(١) أما نزار فمتفق على أنه ابن معد، وسائر ولد معد فمختلف فيه، فمنهم جُشَم بن معد، وسِلْهِم بن معد، وجُنادة بن معد، وقُناصة بن معد، وقَنَص بن معد، وسنام بن معد، وعوف وقد انقرض عقبه، وحَيْدانُ، وهم الآن في قضاعة، وأوْد، وهم في مَذْحِج، ومنهم عُبيد الرِّماح، وحَيدة وحيادة، وجُنيد وقحْم، فأما قضاعة فأكثر النسابين يذهبون إلى أن قضاعة هو: ابن معد، وهو مذهب ابن هشام، وقد روي من طريق هشام بن عروة بن عائشة عن النبي ــ ﷺ ــ أنه سئل عن قضاعة، فقال : هو ابن معد، وكان بِكْره. قال أبو عمر : وليس دون هشام بن عروة من يحتج به في هذا الحديث.

(٢) وجهينة : هو ابن زيد بن ليث بن سَوَد بن أسلُم ــ بضم اللام ــ ابن الحاف، بن قضاعة، =

أسلم، بن الحاف، بن قُضاعة :

نحن بنو الشيخ الهِجان الأزْهَرَ قضاعة بن مالك بن حِمْيَرِ
النسب المعروف غير المنْكَر في الحَجَر المنقوش تحتَ المِنْبرِ[1]

قُنُص بن معد ونسب النعمان بن المنذر : قال ابنُ إسحاق : وأما قُنُص بن معد فهلكت بقيتهم[2] ــ فيما يزعمُ نُسَّاب معد ــ وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن عُبَيدالله بن شهاب الزُّهْري : أن النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُص بن معد.

قال ابن هشام : ويُقال : قَنَص.

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخْنَس، عن شيخ من الأنصار من بني زُرَيْق أنه حدثه : أن عمر بن الخطاب ــ

= قال عمرو بن مرة : يا رسول الله، لمن نحن ؟ فقال : أنتم بنو مالك بن حِمْير. وعمرو ابن مُرة، من أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ وله عن رسول الله ــ ﷺ ــ حديثان. أحدهما : في أعلام النبوة، والآخر : « من ولي أمر الناس، فسدَّ بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة، سد الله بابه دون حاجته وخلته ومسكنته يوم القيامة » انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ١ ص ٢٣.

(١) الهجان الكريم. الأزهر : المشهور ويقال : إن هذا الشعر لأفلح بن اليعبوب. ويقال : إن أول هذا الرجز قوله :

يأيها الداعي ادعنا وأبشرْ وكن قضاعيا ولا تنزَّرْ
نحن بنو الشيخ الهجان الأزهرْ قضاعة بن مالك بن حِمْيَرْ

(٢) وكان قُنُص بن معد قد انتشر ولده بالحجاز، فوقعت بينهم وبين أبيهم حرب، وتضايقوا في البلاد، وأجدبت لهم الأرض، فساروا نحو سواد العراق، وذلك أيام ملوك الطوائف، فقاتلهم بعض ملوك الطوائف، وأجلوهم عن السواد، وقتلوهم إلا أشلاء لحقت بقبائل العرب، ودخلوا فيهم وانتسبوا إليهم.

رضي الله عنه ــ حين أُتي بسيف النعمان، بن المنذر[1]، دعا جُبَيْر بن مُطْعِم بن عَدِي بن نَوْفَل بن عبد مناف بن قُصَي ــ وكان جُبَيْر من أنسب قريش لقريش، وللعرب قاطبة، وكان يقول : إنما أخذت النسبَ من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب ــ فسلحه إياه، ثم قال : ممن كان، يا جُبَيْر النعمان بن المنذر ؟ فقال : كان من أشلاء قُنُص بن معدّ.

قال ابن إسحاق : فأما سائر العرب فيزعُمون أنه كان رجلا من لَخْم، من ولد ربيعة بن نصر ــ فالله أعلم أي ذلك كان.

لخم بن عدي : قال ابنُ هشام : لَخْم : بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن هَمَيْسَع بن عمرو بن عَرِيب بن يَشْجُب بن زيد ابن كهلان بن سبأ. ويقال : لَخْم : بن عدي بن عمرو بن سبأ. ويقال :

---

(١) وكان جبير أنسب الناس ــ

وذكر الطبري أن سيف النعمان بن المنذر إنما أُتيَ به عُمر حين افتتحت المدائن، وكانت بها خزائن كسرى وذخائره، فلما غُلب عليها فرّ إلى إصطخر ــ بلد بفارس ــ فأخذت أمواله ونفائس عُدده، وأخذ له خمسة أسياف لم ير مثلها. أحدها : سيف كسرى أبرويز، وسيف كسرى أنو شروان، وسيف النعمان بن المنذر كان استلبه منه، حين قتله غضباً عليه، وألقاه إلى الفيلة فخبطته بأيديها، حتى مات. وقال الطبري : إنه مات في سجنه في الطاعون الذي كان في الفرس، وسيف خاقان ملك الترك، وسيف هرقل، وكان تصيّر إلى كسرى أيام غلبته على الروم في المدة التي ذكرها الله تعالى في قوله : ﴿ **ألم. غُلبت الروم في أدنى الأرض** ﴾ الآية. فهذا كان سبب تَصَيُّر سيف النعمان إلى كسرى أبرويز، ثم إلى كسرى يزدجرد، ثم إلى عمر ــ رضي الله عنه ــ

وزاد الطبري في حديث جبير حين سأله عمر عن نسب النعمان قال : كانت العرب تقول إنه من أشلاء قنص بن معد، وهو ولد عُجم بن قنص، إلا أن الناس لم يدروا ما عجم فجعلوا مكانه لخماً : فقالوا : هو من لخم، ونسبوا إليه. وأبرويز وهو الذي كتب إليه النبي ــ ﷺ ــ فمزق كتابه، فدعا عليهم النبي ــ ﷺ ــ أن يُمَزَّقوا كل ممزق.

لَخْم : بن عدي بن عمرو بن سبأ. ويقال : ربيعة بن نصر[1] بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر، وكان تخلف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن.

أَمْر عَمْرو بن عامر في خروجه من اليمن وقصة سد مأرب

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن، فيما حدثني أبو زَيْد الأنصاري، أنه رأى جُرَذاً يحفر في سد مأْرِب الذين كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم، فعلم أنه لا بقاءَ للسد على ذلك، فاعتزم على النُّقْلة من اليمن، فكاد قومه، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه، أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به، فقال عمرو : لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغرُ ولدي، وعرض أموالَه، فقال أشرافٌ من إشراف اليمن : اغتنموا غضبةَ عَمرو، فاشتروا منه أمواله، وانتقل في ولده وولد ولده. وقال الأزد : لا نتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالَهم، وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلاد عَكٍّ مجتازين يرتادون البلدان. فحاربتهم عَك، فكانت حربهم سِجالاً، ففي ذلك قال عباس بن مرداس

---

(١) وبعضهم يقول فيه : نصر بن ربيعة، وهو في قول نُسَّاب اليمن : ربيعة بن نصر، بن الحارث، بن نمارة بن لخم.

وقال الزبير في هذا النسب : نصر بن مالك بن شَعوذ بن مالك بن عُجْم بن عمرو بن نمارة بن لخم، ولخم أخو جذام، وسمي لخما لأنه لخم أخاه، أي : لطمه، فعضه الآخر في يده فجذمها، فسمي جذاماً.

وقال قطرب : اللخم سمكة في البحر بها سمي الرجل لخما، وأكثر المؤرخين يقولون فيه : نصر بن ربيعة، وهو من ولد ربيعة، وأن لخماً في نسبه تصحيف من عُجم بن قَنص.

البيت الذي كتبنا[1]. ثم ارتحلوا عنهم، فتفرقوا في البلدان، فنزل آل جفنة ابن عمرو بن عامر : الشامَ، ونزلت الأوس والخزرج : يثرب، ونزلت خزاعة : مَرّاً، ونزلت أزدُ السراةَ، السراة، ونزلت أزدُ عُمان : عمان. ثم أرسل الله تعالى على السدِّ السيلَ فهدمه، ففيه أنزل الله ــ تبارك وتعالى ــ على رسوله محمد ــ ﷺ ــ : ﴿ **لقد كان لسبأ في مسكنهم آيةٌ جنتان عن يمينٍ وشمالٍ، كلوا من رزقِ ربِّكم، واشكروا له : بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفور * فأعرضوا فأرسلنا عليهم سَيْلَ العَرِمِ** ﴾.

والعَرِم : السد، واحدته : عَرِمَة، فيما حدثني أبو عُبَيْدة.

قال الأعشى : أعشى بني قيس، ابن ثعلبة، بن عُكابة، بن صَعْب، بن علي، بن بكر، بن وائل بن هِنْب، بن أفْصَى، بن جَديلة، بن أسَد، بن ربيعة، بن نِزار، بن مَعَدّ.

قال ابن هشام : ويقال : أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة، واسم الأعشى : ميمون بن قَيْس، بن جندل، بن شراحيل، بن عوف، بن سعد، بن ضُبَيْعة، بن قيس، بن ثعلبة :

وفي ذاك للمؤتسي أُسوةٌ ... ومأربُ عفَّى عليها العَرِمْ
رُخامٌ بنته لهم حميرٌ ... إذا جاء مَوَّارُه لم يَرِمْ
فأروى الزروعَ وأعنابَها ... على سَعةٍ ماؤهم إذ قُسِمْ
فصاروا أيادِيَ ما يقدِرو ... نَ منه على شُرْبِ طفلٍ فُطِمْ

وهذه الأبيات في قصيدة له.

وقال أميةُ بنُ أبي الصلت الثَّقَفي ــ واسم ثَقيف : قَسِيُّ بنُ مُنَبِّه، بن

---

(١) وهو قوله :

وعكٌّ بنُ عدنانَ الذين تقلَّبوا ... بغسانَ حتى طُرِّدوا كل مطرِدِ

بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عِكرمة، بن خَصَفة، بن قيس، بن عَيْلان، بن مُضَر، بن نِزَار، بن مَعَدّ، بن عدنان :

مِن سبأ الحاضرين مأرب إذ يَبْنون من دونِ سَيْلِه العَرِمَا[1]

---

(١) والعرب تضرب المثل بقولها : تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ، نصباً على الحال، وإن كان معرفة في الظاهر لأن معناه : مثل أيدي سبا والباء ساكنة فيه في موضع النصب، لأنه صار بمنزلة اسمين جُعلا اسما واحداً مثل : معدي كرب، ولم يسكنوها في ثمانِيَ عشرة، لأنها متحركة في ثمانية عشر.

وفي العرم أقوال : قيل : هو المُسنّاةُ أي : السد وهو قول قتادة، وقيل : هو اسم للوادي، وهو قول عطاء، وقيل : هو الجُرَذُ الذي خرق السد، وقيل : هو صفة للسيل من العرامة، وهو معنى رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وقال البخاري : « العرم : ماء أحمر حفر في الأرض حتى ارتفعت عنه الجنتان، فلم يسقهما، حتى يبست، وليس الماء الأحمر من السد، ولكنه كان عذابا أُرسل عليهم » انتهى كلام البخاري.

والعرب تضيف الاسم إلى وصفه، لأنهما اسمان، فتعرف أحدهما بالآخر. وحقيقة إضافة المسمى إلى الاسم الثاني، أي : صاحب هذا الاسم، كما تقول، ذو زيد أي : المسمى بزيد، ومنه سعد ناشِرَة، وعمرو بطة. وقول الأعشى :

ومأرب عفّى عليها العرم

يقوى أنه السيل. ومأرب بسكون الهمزة : اسم لقصر كان لهم، وقيل : هو اسم لكل ملك كان يلي سبأ، كما أن تُبّعاً اسم لكل من ولي اليمن، وحضر موت والسِّحْر. قاله المسعودي. وكان هذا السد من بناء سبإ بن يشجب بن يعرب، وكان ساق إليه سبعين واديا، ومات قبل أن يستتمه. فأتمته ملوك حمير بعده.

وقال المسعودي : بناه لقمان بن عاد، وجعله فرسخا، وجعل له ثلاثين مثقبا.

وقول الأعشى :

إذا جاء مَوَّارهُ لم يَرَمْ

من قوله تعالى : ﴿ **يوم تمور السماء موراً** ﴾فهو مفتوح الميم، وبعضهم يرويه مضموم الميم، والفتح : أصح. ومنه قولهم : دم مائر أي : سائل. وفي الحديث : « أَمِرَّ الدم بما شئت » أي أرسله، ورواه أبو عبيد أَمْر بسكون الميم، جعله من مريت الضرع.

وقوله : « لم يرم »، أي : يمسكه السد حتى يأخذوا منه ما يحتاجون إليه. وقوله : « فأروى الزروع وأعنابها » أي : أعناب تلك البلاد، لأن الزروع لا عنب لها. =

وهذا البيت في قصيدة له، وتروى للنابغة الجَعْدي، واسمه : قيس بن عبدالله، أحد بني جَعْدة، بن كعب، بن ربيعة، بن عامر، بن صَعْصَعة، بن معاوية، بن بكر، بن هَوَازن.

وهو حديث طويل، منعني من استقصائه ما ذكرت من الاختصار.

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه وخبر شق وسطيح الكاهنين

رؤيا ربيعة : قال ابنُ إسحاق : وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضْعَاف ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هالته، وفظع بها، فلم يَدَعْ كاهناً، ولا ساحراً، ولا عائفاً[1]، ولا منجِّما من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتني، وفَظِعْت بها ؛ فأخْبروني بها وبتأويلها، قالوا له : اقصصها علينا نخبرْك بتأويلها، قال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبرِكم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطيحٍ[2] وشِقٍّ[3]، فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

= وأنشد لأمية بن أبي الصلت :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ ... يبنون من دون سيله العرما

وهذا أبين شاهد على أن العرم هو السد.

(١) العائف : من يزجر الطير.

(٢) وسُمي سطيحاً ؛ لأنه كان جسما ملقى لا جوارح له ولا يقدر على الجلوس، إلا إذا غضب انتفخ فجلس. ويذكر أن وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق، ويذكر عن وهب بن منبه أنه قال : قيل لسطيح : أنَّى لك هذا العلم ؟ فقال : لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى موسى ــ عليه السلام ــ فهو يؤدي إليّ من ذلك ما يؤديه. =

واسم سطيح : ربيع بن ربيعة، بن مسعود، بن مازن، بن ذئب، بن عدي، بن مازن غسان، وشق : بن صَعْب، بن يَشْكُر، بن رُهْم، بن أفْرَك، ابن قَسْر، بن عَقْبَر، بن أنمار، بن نزار. وأنمار أبو بجيلة وخثعم.

نسب بجيلة : قال ابن هشام : وقالت اليمن : وبجيلة بنو أنمار، ابن إراش، بن لَحْيان، بن عمرو، بن الغَوْث، بن نَبْت، بن مالك، بن زيد، ابن كهلان، بن سبأ. ويقال : إراش بن عمرو، بن لحْيان، بن الغَوْث. ودار بجيلة وخثعم يمانية.

قال إبن إسحاق: فبعث إليهما، فقدم عليه سَطيح قبلَ شِقٍّ[1]، فقال له: إني رأيت رؤيا هالتني، وفظِعْت بها، فأخبرْني بها، فإنك إن أصبتَها أصبتَ تأويلَها.

قال : أفعلُ. « رأيتَ حُمَمَة، خرجت من ظُلُمة، فوقعت بأرض تَهَمة، فأكلت منها كلُّ ذاتِ جُمْجُمة »[2].

---

(١) وسمي بذلك : لأنه كان شِقَّ إنسان ؛ له يد واحدة، ورجل واحدة وعين واحدة.
وولد سطيح وشق في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة، امرأة عمرو بن عامر، وهي بنت الخير الحميرية، ودعت بسطيح قبل أن تموت ؛ فأُتيت به، فتفلت في فيه، وأخبرت أنه سيخلفها في علمها وكهانتها. ودعت بشق ؛ ففعلت به مثل ما فعلت بسطيح ؛ ثم ماتت، وقبرها « بالْجُحْفَه » ــ كانت الميقات لإحرام أهل مصر والشام قبل أن تهجر، وهي قريبة من رابغ الميقات الحالي.

(٢) نصْب « كُل » أصح في الرواية، وفي المعنى ؛ لأن الحُمة نار، فهي تأكل، ولا تُؤكل، على أن في رواية الشيخ برفع كل، ولها وجه، لكن في حاشية الكتاب كما قال السهيلي : أن في نسخة البرقي التي قرأها على ابن هشام : كلَّ ذات، بنصب اللام.
وقوله : « خرجت من ظُلُمة » أي من ظُلْمة، وذلك أن الحممة قطعة من نار، وخروجها من ظُلُمة يشبه خروج عسكر الحبشة من أرض السودان، والْحُمَمَة : الفحمة، وقد تكون جمرة محرقة، كما في هذا الحديث، فيكون لفظها من الحميم، ومن الحمى أيضاً لحرارتها، وقد تكون منطفئة، فيكون لفظها من الْحُمَّة، وهي السواد، يقال : حَمَّمْتُ =

فقال له الملك : ما أخطأتَ منها شيئا يا سطيحُ ؛ فما عندَك في تأويلها ؟

فقال : أحلف بما بين الحَرَّتَيْن من حَنَش، ليهبِطنَّ أرضَكم الحبش، فليملكن ما بين أبْيَن إلى جُرَش[1]،

فقال له الملك : وأبيك يا سطيح، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن، أفي زماني هذا. أم بعده ؟

قال:لا، بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين.

قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟

قال : لا، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يُقتلون ويخرجون منها هاربين.

= وجهه إذا سودته، وكلا المعنيين حاصل في لفظ الحممة هنا.

وقوله : بين روضة وأكمة ؛ لأنها وقعت بين صنعاء وأحوازها.

وقوله : في أرض تَهِمَة أي : منخفضة، ومنه سُميت تهامة.

وقوله : أكلتْ منها كل ذات جُمْجُمة، ولم يقل كل ذي جمجمة، وهو من باب قوله سبحانه : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى.. وإن تدع مُثْقَلَةٌ إلى حملها لا يُحْمَلْ منه شيء** ﴾. الآية. لأن القصد إلى النفس والنسمة، فهو أعم، ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح، ولو جاء بالتذكير، لكان إما خاصا بالإنسان، أو عاماً في كل شيء حي أو جماد، ومنه قوله ــ ﷺ ــ « كل بائلة تفيخ »، أي : يكون منها إفاخة، وهي الحدث. وقال النحاس : هو تأنيث الصفة والخلفة.

(١) وقوله : ليهبطن أرضكم الحبش، هم بنو حبش بن كوش بن حام بن نوح، وبه سميت الحبشة.

وقوله : ما بين أبْين إلى جُرَش، ذكره سيبويه بكسر الهمزة على مثل إصبع، وجوَّز فيه الفتح، وكذلك تقيد في هذا الكتاب، وقال ابن ماكولا : هو أبين بن زهير بن أيمن بن الهميْسَع من حمير، أو من ابن حمير. سميت به البلدة، وقد تقدم قول الطبري أن أبين وعدن ابنا عدنان. سميت بهما البلدتان وجرش : مدينة باليمن.

قال : ومن يلي ذلك من قتْلِهم وإخراجهم ؟

قال : يليه إرَمُ ذي يَزن[1]، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

قال : أفيدوم ذلك من سلطانه، أم يقطع ؟

قال : لا، بل ينقطع.

قال : ومن يقطعه ؟

قال : نبيٌّ زكيّ، يأتيه الوحي، من قِبَلِ العلي.

قال : وممن هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهْر بن مالك ابن النَّضْر، يكون المُلك في قومه إلى آخر الدهر. قال : وهل للدهر من آخر ؟

قال : نعم، يومٌ يُجْمَع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون.

قال : أحق ما تخبرني ؟

قال : نعم. والشَّفق والغَسق، والفَلَق إذا اتَّسق، إن ما أنبأتك به لحق.

ثم قدم عليه شِقٌّ، فقال له كقوله لسطيح، وكتمه ما قال سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان.

فقال : نعم، رأيت حُمُمة، خرجت من ظُلُمة، فوقعت بين رَوْضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة.

قال : فلما قال له ذلك، عرف أنهما قد اتفقا، وأن قولهما واحد.

---

(١) ذي يزن : المعروف أن اسمه : سيف بن ذي يزن، ولكن جعله «إرما» إما لأن الإرم هو العلم فمدحه بذلك، وإما شبهه بعاد إرم في عظم الخلقة، قال الله تعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد** ﴾.

إلا أن سطيحاً قال : « وقعت بأرض تَهَمة، فأكلت منها كل ذات جُمْجُمة ».

وقال شِق : « وقعت بينَ روضة وأكمة، فأكلتْ منها كلُّ ذات نسمة ».

فقال له الملك : ما أخطأت يا شق منها شيئاً، فما عندك في تأويلها ؟

قال : أحلف بما بين الحَرَّتين من إنسان، لينزلن أرضَكم السودان، فليغلبن على كل طَفْلة البنان[1]، وليملكُن ما بين أبْيَن إلى نَجْران.

فقال له الملك : وأبيك يا شِقُّ، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن ؟ أفي زماني، أم بعده ؟

قال : لا، بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان، ويذيقهم أشد الهوان.

قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال : غلام، ليس بدَنِيّ، ولا مُدَنّ[2]، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟

قال : بل ينقطع برسول مُرْسَل يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل.

قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يومٌ تُجْزَى فيه الولاةُ ويُدْعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويُجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوزُ والخيرات.

---

(١) الطفلة : الناعمة الرخصة. والبنان الإصبع.

(٢) المدن : الذي جمع الضعف مع الدناءة. قاله صاحب العين.

قال : أحق ما تقول ؟

قال : إي وربِّ السماء والأرض، وما بينهما من رَفْعٍ وخَفض، إن ما أنبأتك به لحق، ما فيه أمْض.[1]

قال ابن هشام : أمض. يعني شكّاً : هذا بلغة حمير. وقال أبو عمرو: أمض أي : باطل. فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا، فجهز بنيه، وأهل

---

(١) « لحق ما فيه أمْضٌ » : أي : ما فيه شك ولا مستراب، وقد عُمِّر سطيح زماناً طويلا بعد هذا الحديث، حتى أدرك مولد النبي ــ ﷺ ــ فرأى كسرى أنو شروان بن قُباذ بن فيروز ما رأى من ارتجاس الإيوان وخمود النيران، ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام، سقطت من قصره أربع عشرة شرفة، وأخبره الْمُوبَذان، ومعناه : القاضي، أو المفتي بلغتهم ــ أنه رأى إبلا صعابا، تقود خيلا عِرابا، فانتشرت في بلادهم، وغارت بحيرة ساوة ؛ فأرسل كسرى عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن نُفَيْلة الغساني إلى سطيح، وكان سطيح من أخوال عبد المسيح، ولذلك أرسله كسرى ــ فيما ذكر الطبري ــ إلى سطيح يستخبره علم ذلك، ويستعبره رؤيا الموبذان، فقدم عليه وقد أشفى على الموت، فسلم عليه فلم يحر إليه سطيح جوابا فأنشأ عبد المسيح يقول :

أصَم أم ليسمع غطريف اليمن ... أم فاد فازْلَمَّ به شأو العَنَنْ
يا فاصل الخُطَّه أعيت مَن ومن ... أتاك شيخ الحي من آل سَنَن
وأمه من آل ذئب بن حَجَنْ ... أبيض فَضْفاض الرداء والبدن
رسول قَيْل العُجم يسري للوسن ... لا يرهب الرعد، ولا ريب الزمن
تجوب بي الأرْض عَلَنْدَةٌ شزن ... ترفعني وَجْناً وتهوي بي وجن
حتى أتى عاري الجآجي والْقَطَن ... تلفه في الريح بوغاء الدِّمن
كأنما حُثحث من حِضْنَى ثكن

ثكن : اسم جبل، فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه، فقال : عبد المسيح على جمل مشيح جاء إلى سطيح، حين أوفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلا صعابا، تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادها. يا عبد المسيح : إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وخمدت نار فارس، وغارت بحيرة ساوة، وفاض وادي السَّماوة فليست الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت. ثم قضى سطيح مكانه.

بيته إلى العراق بما يصلهم، وكتب لخم إلى ملك من ملوك فارس يقال له : سابور بن خُرَّزاد فأسكنهم الحيرة[1].

رأي آخر في نسب النعمان بن المنذر : فمن بقية ولد ربيعة ابن نصر : النعمان بن المنذر، فهو في نسب اليمن وعِلْمِهم : النعمانُ بنُ المنذر بن عَمرو بن عَدِي بن ربيعة بن نَصْر، ذلك الملك.

قال ابن هشام : النعمان بن المنذر، بن المنذر، فيما أخبرني خلف الأحمر[2].

---

(١) وقول ابن إسحاق في خبر ربيعة بن نصر، فجهز أهله وبنيه إلى الحيرة، وكتب لهم إلى ملك يقال له : سابور بن خُرزاد.

وأول من ملك الحيرة من الساسانية : سابور بن أزدشير، وهو الذي خرب الحضر. وكانت ملوك الطوائف متعادين، يغير بعضهم على بعض، وقد تحصن كل واحد منهم في حصن، وتحوَّز إلى حيز منهم عرب. ومنهم أشغانيون على دين الفرس، وأكثرهم ينتسبون إلى الفرس من ذرية دارا بن دارا، وكان الذي فرقهم وشتت شملهم، وأدخل بعضهم بين بعض ــ لئلا يستوثق لهم مُلك، ولا يقوم لهم سلطان ــ الإسكندر بن فيلبس اليوناني، حين ظهر على دارا، واستولى على بلاد مملكته، وتزوج بنته روشنك. بوصية أبيها دارا له بذلك حين وجده مثخناً في المعركة، ولم يكن الإسكندر أراد قتله ؛ لأنه كان أخاه لأمه ــ فيما زعموا ــ فوضع الإسكندر رأسه على فخذه ــ فيما ذكروا ــ وقال يا سيد الناس لم أرد قتلك، ولا رضيته، فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم : تزوج ابنتي روشنك، وتقتل من قتلني، ثم قضى دارا، ففعل ذلك الإسكندر، وفرق الفرس، وأدخل بينهم العرب فتحاجزوا، وسُمُّوا : ملوك الطوائف ؛ لأن كل واحد منهم على طائفة من الأرض.

(٢) وربيعة بن نصر : هو أحد ملوك الحيرة، وهم آل المنذر، والمنذر هو : ابن ماء السماء، وهي : أمه، عرف بها، وهي من النَّمِر بن قاسط، وابنه عمرو ابن هند عرف بأمه أيضاً، وهي بنت الحارث آكل المرار جد امرئ القيس الشاعر، ويعرف عمرو بمحرّق لأنه حرَّق مدينة يقال لها : مَلْهَم، وهي عند اليمامة. وقال المبرد والْقُتَبي : سمي محرقاً، لأنه حَرَق مائة من بني تميم، وذكر خبرهم. وولدُ نصر بن ربيعة هو : عدي، وكان كاتبا لجذيمة الأبرش، وابنه : عمرو، وهو ابن أخت جذيمة، ويكنى جذيمة : أبا مالك في قول المسعودي، وهو منادم الفرقدين، واسم أخت جذيمة : رقاش بنت مالك، بن فهم، بن =

استيلاء أبي كرب تبان أسعد على مُلك اليمن

وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق : فلما هلك ربيعة بن نصر، رجع مُلك اليمن كلِّه إلى حسان بن تُبان أسعد[1] أبي كرب ــ وتُبان أسعد هو : تُبَّع الآخر، ابن كَلْكي كرَب بن زيد[2]، وزيد هو تُبَّع الأول بن عمرو ذي الأذعار[3] ابن أبرهة ذي المنار[4] ابن الرَّيْش ــ

= غنم، بن دَوس، وهو الذي اختطفته الجن، وفيه جرى المثل : شب عمرو عن الطوق، وهو قاتل الزَّبَّاء بنت عمرو، واسمها : نائلة في قول الطبري ويعقوب بن السكيت، وميسون في قول دريد.

وأخو عمرو بن هند : النعمان بن المنذر، وهو ابن مامة، وكان ملكه بعد عمرو، وفي مُلك عمرو وُلد رسول الله ــ ﷺ ــ وفي زمن كسرى أنو شروان بن قباذ.

وأسقط ابن إسحاق من هذا النسب رجلين، وهما : النعمان بن امرئ القيس، وملك بعده.

(١) وقوله في نسب حسان : بن تبان أسعد : هو تبان أسعد. اسمان جعلا اسماً واحداً، وإن شئت أضفت كما تضيف معدي كرب، وإن شئت جعلت الإعراب في الاسم الآخر، وتبان من التبانة، وهي : الذكاء والفطنة. يقال : رجل تبن وطبن.

(٢) وكَلْكى كرب : اسم مركب أيضاً، كان مُلك كلكى كرب خمساً وثلاثين سنة.

(٣) وعمرو ذو الأذعار كان على عهد سليمان ــ عليه السلام ــ أو قبله بقليل، وكان أوغر في ديار المغرب، وسبا أمَّة وجوهها في صدورها، فذعر الناس منهم، فسمي : ذا الأذعار. وبعده ملكت بلقيس بنت هُداهد بن شرحبيل صاحبة سليمان ــ عليه السلام.

(٤) وذو المنار بن الصعب : سمي بذلك لأنه رفع نيرانا في جبال ليهتدي بها في إحدى غزواته. ومعنى تبع في لغة اليمن : الملك المتبوع، وقال المسعودي : لا يقال للملك : تبع حتى يغلب اليمن والسِّحْر وحضرموت. وأول التبابعة : الحارث الرائش، وهو ابن همال بن ذي شدد، وسمي : الرائش، لأنه راش الناس بما أوسعهم من العطاء، وقسم من الغنائم، وكان أول من غنم، فيما ذكروا.

قال ابن هشام : ويقال : الرائش.[1]

قال ابن إسحاق : ابن عدي بن صيفي بن سبأ الأصغر، بن كَعْب، كَهْف الظُّلم، ابن زَيْد بن سَهْل، بن عَمرو، بن قَيْس، بن معاوية، بن جُشَم، بن عبد شمس، بن وائل، بن الغَوْث، بن قَطَن، بن عَرِيب، بن زهير، بن أيمن، بن الهَمَيْسَع، بن العَرَنْجَج. والعَرَنْجَج[2] : حِمْيَر بن سبأ الأكبر بن يَعْرُب، بن يَشْجُب، بن قحطان.

قال ابن هشام : يَشْجُب : بن يَعْرُب بن قَحْطان.

قال ابن إسحاق : وتُبان أسعد : أبو كَرِب الذي قدم المدينة، وساق الحَبْرَيْن من يهود المدينة إلى اليمن، وعمَّر البيت الحرام وكساه، وكان مُلكه قبل مُلك ربيعة بن نصر.

قال ابن هشام : وهو الذي يُقال له :

ليت حظي من أبي كَرِب أن يسدَّ خيرُه خبلَهْ[3]

تُبان يغضب على أهل المدينة : قال ابن إسحاق : وكان قد جعل طريقه ــ حين أقبل من المشرق ــ على المدينة وكان قد مَرَّ بها في بدأته، فلم يهج أهلَها، وخلف بين أظهرهم ابناً له، فقُتل غِيلةً، فقدمها،

---

(١) او معنى تبع في لغة اليمن: الملك المتبوع، وقال المسعودي: لا يقال للملك: تبع حتى يغلب اليمن والسِّحْر وحضرموت. وأول التبابعة: الحارث الرائش، وهو ابن همال بن ذي شرد، وسمي: الرائش، لأنه راش الناس بما أوسعهم من العطاء، وقسم من الغنائم، وكان أول من غنم، كما ذكر قريباً.

(٢) والعَرَنْجَجُ الذي ذكره أنه حمير بن سبأ، فمعناه بالحميرية : العتيق، قاله ابن هشام. وهو

(٣) في عهد زمن تبع الأوسط.

و« خبله » ــ التي ذكر في البيت ــ؛ من الخبل وهو الفساد. وقد نسب هذا البيت إلى الأعشى ولكن البرقي نسبه إلى عجوز من بني سالم، قالته حين جاء مالك بن العجلان بخبر تبع. فدخل سراً ؛ فقال لقومه : قد جاء تبع فقالت العجوز البيت.

وهو مُجمع لإخرابها، واستئصال أهلها، وقطع نخلها[1]، فجمع له هذا الحيُّ من الأنصار، ورئيسهم عمرو ابن طَلَّة أخو بني النجار، ثم أحد بني عمرو بن مبذول، واسم مبذول : عامر، بن مالك بن النجار. واسم النجار : تيم الله بن ثعلبة، بن عمرو، بن الخزرج، بن حارثة، بن ثعلبة، ابن عمرو، بن عامر.

عمرو ابن طلة ونسبه : قال ابن هشام : عمرو ابن طَلَّة : عمرو بن معاوية، بن عمرو بن عامر، بن مالك بن النجار، وطَلَّة : أمه : وهي بنت عامر بن زُرَيق، بن عامر بن زُرَيق، بن عبد حارثة بن مالك، بن غَضْب، ابن جُشَم، بن الخزرج.

قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة : قال ابن إسحاق : وقد كان رجل من بني عدي بن النجار يقال له : أحمر، عدا على رجال من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم فقتله. وذلك أنه وجده في عَذْق له يَجُدُّه[2] فضربه بمنجله فقتله، وقال : إنما التمر لمن أبَّره[3]، فزاد ذلك تُبعاً حنقا عليهم، قال : فاقتتلوا، فتزعُم الأنْصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار، ويقرونه بالليل، فيعجبه ذلك منهم، ويقول : والله إن قومَنا لكرام !!.

فبينا تُبع على ذلك من قتالهم ؛ إذا جاءه حَبران من أحبار اليهود، من

---

(١) ذكر القتبي أنه لم يقصد غزوها، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا نزلوا معهم، حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم، فلم يف لهم بذلك يهود واستضاموهم، فاستغاثوا بتبع ؛ فعند ذلك قدمها.

وقد قيل : بل كان هذا الخبر لأبي جبيلة الغساني، وهو الذي استصرخته الأوس والخزرج على يهود. فالله أعلم.

(٢) العذق بفتح العين : النخلة، والعِذق بالكسر : الكباسة بما عليها من التمر. ويَجُدُّه : يقطعه

(٣) أبر النخل : لقحه وأصلحه.

بني قُرَيظة ــ وقريظة والنضير والنَّحَّام وعمرو ــ وهو هَدَل[1] ــ بنو الخزرج بن الصريح بن التَّوْمان[2]، بن السِّبْط[3] بن اليسع، بن سعد، بن لاوي، بن خير، بن النحام، بن تنحوم، بن عازر، عِزرى، بن هارون بن عمران، بن يصهر، بن قاهث، بن لَاويّ بن يعقوب ــ وهو إسرائيل ــ ابن إسحاق ــ بن إبراهيم خليل الرحمن ــ صلى الله عليهم ــ عالمان راسخان في العلم، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له : أيها الملك، لا تفعل، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجلَ العقوبة، فقال لهما : ولم ذلك ؟ فقالا: هي مهاجَر نبيٍّ يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون دارَه وقرارَه، فتناهى عن ذلك، ورأى أن لهما علما، وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة، واتبعهما على دينهما، فقال خالد بن عبد العُزَّى بن غَزِيَّة بن عمرو بن عبد بن عوف بن غُنْم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو ابن طَلَّة :

أصحا أم قد نهى ذُكَرَهْ أم قضى من لذةٍ وطرهْ[4]

---

(١) هَدَل : بفتح الدال والهاء، كأنه مصدر هَدَل هدلا إذا استرخت شفته، وذكره الأمير بن ماكولا عن أبي عبدة النسابة فقال فيه : هَدْل بسكون الدال

(٢) التومان : على وزن فعلان، كأنه من لفظ التُّوَم، وهو الدُّرُّ أو نحوه.

(٣) ابن السبط : بكسر السين، وابن تنحوم بفتح التاء وسكون النون والحاء المهمله، وهو عبراني، وكذلك عازر وعزرى بكسر العين من عزرى. وقاهت، بالتاء المنقوطة باثنتين. وهكذا وقع في نسخة الشيخ أبي بحر. وفي غيرها بالثاء المثلثة، وكلها عبرانية. وكذلك إسرائيل، ومعناه بالعربية ؛ سَرِي الله.

(٤) الذُّكَر : جمع ذكرة. كما تقول : بُكْرة وبُكَر، والمستعمل في هذا المعنى ذكرى بالألف، وقلما يجمع فُعْلَى على فُعَل، وإنما يجمع على فعال، فإن كان أراد في هذا جمع ذكرى، وشبه ألف التأنيث بهاء التأنيث، فله وجه: قد يحملون الشيء على الشيء إذ كان في معناه.

أم تذكرْتَ الشبابَ، وما ... ذِكرُك الشباب أو عُصُرَهْ[1]
إنها حربٌ رَباعِيةٌ ... مثلُها آتى الفتى عِبَره[2]
فاسألا عمرانَ أو أسدا ... إذ أتت عَدْواً مع الزُّهَرَهْ[3]
فَيْلَقٌ فيها أبو كَرِبٍ ... سُبَّغٌ أبدانُها ذَفِرَهْ[4]
ثم قالوا: من نؤم بها ... أبني عوف، أم النَّجرَه؟[5]
بل بني النجار إنَّ لنا ... فيهم قتلى، وإنَّ تِرَهْ[6]

---

(١) أو عُصُرَه، أراد: أو عَصْره، وفي العصُر لغتان. وحرك الصاد بالضم قال ابن جني: ليس شيء على وزن فَعْل بسكون العين، يمتنع فيه فُعُل.

(٢) إنها حرب رباعية. مَثَل، أي: ليست بصغيرة ولا جذعة، بل هي فوق ذلك، وضُرب سن الرباعية مثلا، كما يقال: حرب عوان؛ لأن العوان أقوى من الفتية وأدرب.

(٣) عدواً مع الزُّهَرَة: يريد: صبحهم بغلس: أي ظلمة آخر الليل، قبل مغيب الزُّهَرَة: وهو نجم معروف شديد اللمعان.

(٤) سُبَّغ: كاملة. أبدانها ذفرة، يعني: الدروع. وذَفِرة: من الذفر.. وهي سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة، وأما الدَّفْر، بالدال المهملة، فإنما هو فيما كره من الروائح، ومنه قيل للدنيا: أُمُّ دَفْر، وذكره القالي في الأمالي بتحريك الفاء، وغلط في ذلك. والدَّفْرُ بالسكون أيضا: الدفع.

(٥) النَّجَرة: جمع ناجر، والناجر والنجار: بمعنى واحد، وهذا كما قيل المناذرة في بني المنذر والنجار، وهم: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، وسمي النجار؛ لأنه نجر وجه رجل بقدوم فيما ذكر بعض أهل النسب.

(٦) فيهم قتلى وإنَّ تره. أظهر إن بعد الواو. أراد: أن لها قتلى وترة، والترة: الوتر، فأظهر المضمر، وهذا البيت شاهد على أن حروف العطف يضمر بعدها العامل المتقدم نحو قولك: إن زيدا وعمراً في الدار، فالتقدير: إن زيدا، وإن عمراً في الدار، ودلت الواو على ما أردت، وإن احتجت إلى الإظهار أظهرت؛ كما في هذا البيت، إلا أن تكون الواو الجامعة في نحو اختصم زيد وعمرو، فليس ثَمَّ إضمار لقيام الواو مقام صيغة التثنية، كأنك قلت: اختصم هذان، وعلى هذا تقول: طلع الشمس والقمر، فتغلِّب المذكر، كأنك قلت: طلع هذان النيران، فإن جعلت الواو هي التي تضمر بعدها الفعل، قلت: طلعت الشمس والقمر، وتقول في نفي المسألة الأولى: ما طلع الشمس والقمر، ونفي المسألة الثانية: ما طلعت الشمس ولا القمر؛ تعيد حرف النفي؛ لينتفي به الفعلُ المضمرُ. =

فتلقَّتهم مُسايفة مَدُّها كالغيبةِ النَّثِرهْ[1]
فيهم عَمْرُو ابنُ طَلَّةَ مَلَّى الإلهُ قومَه عُمُرَهْ[2]
سَيِّدٌ سام الملوكَ ومن رام عَمراً لا يكنْ قَدَرَهْ[3]

وهذا الحي من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تُبَّع على هذا الحي من يهود الذين كانوا بين أظهرهم، وإنما أراد هلاكهم، فمنعوهم منه، حتى انصرف عنهم، ولذلك قال في شعره :

حَنقا على سِبْطين حلَّا يثربا أوْلى لهم بعقاب يوم مفسد

قال ابن هشام : الشعر الذي فيه هذا البيت مصنوع، فذلك الذي منعنا من إثباته[4]

= ويتفرع من هذا الأصل في النحو مسائل كثيرة، لا نطوِّل بذكرها ــ انظر الروض الأنف للسهيلي من تحقيقها.

(١) فتلقتهم مسايفة : بكسر الياء أي كتيبة مسايِفة فهو من باب حذف الموصوف استغناء بصفته. ولو فتحت الياء، فقلت : مسايَفة لكان حالا من المصدر التي تكون أحوالا مثل : كلمته مشافهةً، وفي غير هذه النسخة : فتلقتهم مسابقة بالباء والقاف. والْغَبْيَة الدَّفْعة من المطر.

والنَّثرة أي : المنتثرة، وهي التي لا تمسك ماءً.

(٢) مَلَّى الإله : من قولهم : تمليته حيناً، أي عشت معه حيناً وهو مأخوذ من الملاوة والملَوَيْن وفي القاموس : ملَّاك الله حبيبك تملية : متعك به، تملَّى عمره : استمتع فيه، والملا : الصحراء، والملوان : الليل والنهار.

(٣) لا يكن قَدَرَهْ. دعاء عليه : والهاء عائدة على عمرو. أراد لا يكن قدر عليه. دعَاء عليه : والهاء عائدة على عمرو. أراد : لا يكن قدر عليه. وحذف حرف الجر فتعدى الفعل، فنصب، ولا يجوز حذف الجر في كل فعل، وإنما جاز في هذا، لأنه في معنى : استطاعه، أو أطاعه، فحُمل على ما هو معناه، ونظائره كثيرة.

(٤) والشعر الذي زعم ابن هشام أنه مصنوع قد ذكره في كتاب التيجان، وهو قصيد مطول أوله :

ما بال عينك لا تنام، كأنما كُحِلتْ مآقيها بسمِّ الأسود
حنقاً على سبطين حلَّا يثربا أولى لهم بعقاب يوم مفسد

تُبَّع يذهب إلى مكة ويطوف بالكعبة : قال ابن إسحاق : وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجه إلى مكّة، وهي طريقهُ إلى اليمن، حتى إذا كان بين عُسْفان، وأَمَج أتاه نفر من هُذيل بن مُدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ؛ فقالوا له : أيها الملك ألا ندلك على بيت مال دائر، أغفلته الملوك قَبْلك، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى قالوا : بيت بمكة يعبده أهله، ويصلون عنده. وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغَى عنده. فلما أجمع لما قالوا، أرسل إلى الحبرين، فسألهما عن ذلك فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكَك وهلاك جندك. ما نعلم بيتاً لله اتخذه في الأرض لنفسه غيره، ولئن فعلت ما دعوك إليه، لتهلكن وليهلكن من معك جميعا، قال : فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قدمت إليه قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله : تطوف به وتعظمه وتكرِّمه، وتحلق رأسك عنده وتذِل له، حتى تخرج من عنده، قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك، قالا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم، وإنه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حولَه، وبالدماء التي يُهْرقون عنده، وهم نَجِسٌ أهلُ شرك ــ أو كما قالا له ــ فعرف نصحَهما وصدق حديثهما فقرب النفر من هُذيل، فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم مضى حتى قدم مكة، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام ــ فيما يذكرون ــ ينحر بها للناس ويطعم أهلها، ويسقيهم العسل، وأُرِيَ في المنام أن يكسو البيت، فكساه الخَصَف[1] ثم أُرِيَ أن يكسوه

---

(١) الخَصَفَ : جمع : خَصَفَة، وهي شيء يُنسج من الخوص والليف، والخصف أيضاً الثياب الغليظة. والخصف لغة في الخزف في كتاب العين، والخصف بضم الخاء وسكون الصاد هو : الجَوْز. ويروى أن تبعاً لما كسا البيت المسوح والأنطاع. انتفض البيت فزال ذلك عنه، وفعل ذلك حين كساه الخصف، فلما كساه الملأ والوصائل قبلها. وممن ذكر هذا الخبر : قاسم في الدلائل.

أحسنَ من ذلك فكساه المَعافِرَ[1]، ثم أُري أن يكسوه أحسنَ من ذلك فكساه المُلاء والوصائل[2]، فكان تُبع ــ فيما يزعُمون ــ أول من كسا البيت[3]، وأوصى به ولاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دما، ولا مبتة، ولا مئلات ــ وهي المحايض[4] ــ وجعل له باباً ومفتاحاً، وقالت سُبَيْعة بنت الأَحَبِّ[5]، بن زَبينة، بن جذيمة، بن عوف، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عِكرِمة، بن خَصَفة، بن

---

(١) المعافر : ثياب يمنية.

(٢) الملاء : جمع ملاءة، وهي الملحفة. والوصائل : ثياب موصلة من ثياب اليمن.

(٣) قال ابن إسحاق : أول من كسا الكعْبة الديباج، الحجاج، وذكر الدارقطني : أنها نُتَيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب، كانت قد أضلَّت العباس صغيراً، فنذرت : إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته. وقال الزبير النسابة : بل أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير.

(٤) ولا تقربوه بمئلات، وهي المحائض. لم يرد النساء الحيضى؛ لأن حائضاً لا يجمع على محائض، وإنما هي جمع محيضة، وهي خرقة المحيض، ويقال للخرقة أيضا : مئلاة، وجمعها : المآلي. قال الشاعر :

كأن مصفَّحـــــات في ذُراه وأنواحـــاً عليهـــن المآلـــي

وهي هنا خرق تمسكهن النواحات بأيديهن، فكأن المئلات كل خرقة دنسة لحيض كانت أو لغيره، وزنها مِفْعَلة من أَلْوْتُ : إذا قصَّرت وضيعت، وجعلها صاحب العين في باب الإلية والأَلِيَّة، فلامُ الفعل عنده ياء على هذا، والله أعلم.

(٥) بنت الأَحَبّ بالحاء المهملة ابن زبينة : بالزاي والباء والنون : فعليلة من الزبن « الدفع »، والنسب إليه زَبَانيٌّ على غير قياس. ولو سمي به رجل لقيل في النسب إليه: زَبَنيٌّ على غير القياس. قال سيبويه : الأحب بالحاء المهملة. يقوله أهل النسب، وأبو عبيدة بقوله بالجيم، وإنما قالت بنت الأحب هذا الشعر في حرب كانت بين بني السَّبَّاق بن عبد الدار، وبين بني علي بن سعد بن تميم حتى تفانوا. ولحقت طائفة من بني السبَّاق بعك. فهم فيهم. قال : وهو أول بَغْيٍ كان في قريش. وقد قيل : أول بغي كان في قريش بغي الأقايش، وهم بنو أقيش من بني سهم، بغى بعضهم على بعض، فلما كثر بغيهم على الناس أرسل الله عليهم فأرة تَحمل فتيلة، فأحرقت الدار التي كانت فيها مساكنهم، فلم يبق لهم عَقِب ــ والله أعلم.

قيس، بن عيلان، وكانت عند عبد مناف بن كعب، بن سعد، بن تَيْم، بن مُرة، بن كعب، بن لُؤَي، بن غالب، بن فِهْر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، لابن لها منه يقال له : خالد : تعظِّم عليه حرمة مكة، تنهاه عن البغي فيها، وتذكر تُبَّعا وتذلله له، وما صنع بها :

أبُنَـيَّ : لا تَظْلِـم بمكـة ... لا الصغيـرَ ولا الكبيـرْ
واحفـظْ محارمَهـا بُنَـ ... ـيَّ ولا يغـرَّنْك الغَـرورْ
أَبُنَـيَّ : من يَظلـم بمـ ... ـكـةَ يُلـقَ أطـرافَ الشرورْ
أبُنَـيَّ : يُضْرب وجهُـه ... وَيلُـحْ بخديْـه السعيـرْ
أُبنـي : قد جربتُهـا ... فوجـدتُ ظالمهـا يبـورْ[1]
اللهُ أمَّنهـا، ومـا ... بُنـيت بعرْصَتهـا قصورْ
واللهُ آمـنَ طيرَهـا ... والـعُصْم تأمـن في ثَبيـرْ[2]
ولقـد غزاهـا تُبَّـعٌ ... فكسا بنيتَهـا الحبيـرْ[3]
وأذلَّ ربـي مُلكَـهُ ... فيهـا فأوفـى بالنُّـذورْ
يمشي إليهـا حافيـاً ... بفنائِهـا ألفَـا بعيـرْ
ويظـل يُطْعِـمُ أهلَهـا ... لحـمَ المهـاري والجَـزُور[4]
يسقيهـم الـعسلَ الـمصـ ... ـفَّى والرَّحيضَ من الشعيـرْ[5]
والفيـلُ أُهـلك جيشُه ... يرمـون فيهـا بالصخـورْ
والمـلْكُ في أقصى البـلاد ... وفـي الأعاجِـم والخَزِيـر[6]
فاسمـعْ إذا حُدِّثت، وافـ ... ـهمْ كيـف عاقبـةُ الأمـورْ

---

(١) يبور : يهلك.

(٢) العُصم : الوعول تعتصم في الجبال وقوله : ثبير : جبل بمكة.

(٣) بنيتها : الكعبة وقوله الحبير : نوع موشَّى من ثياب اليمن.

(٤) المهارى : الإبل النجيبة.

(٥) الرحيض : المنقَّى والمصفى.

(٦) الخزير : يريد الخزر وهم أمة من العجم.

قال ابن هشام : يوقف على قوافيها لا تعرب.

أصل اليهودية باليمن : ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحَبْرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأَبَوْا عليه، حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.

قال ابن إسحاق : حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القُرظي، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث : أن تُبعاً لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حِمْيَر بينه وبين ذلك وقالوا : لا تدخلها علينا، وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه وقال : « إنه خير من دينكم »، فقالوا : فحاكمنا إلى النار قال : نعم.

قال : وكانت باليمن ــ فيما يزعم أهل اليمن ــ نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقرَّبون به في دينهم، وخرج الحَبْران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار إليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فذَمَرهم[1] من حضرهم من الناس، وأمروهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم، فأكلت الأوثان وما قربوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حمير، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرّهما، فأصفقَتْ عند ذلك حمير على دينه، فمن هنالك، وعن ذلك، كان أصل اليهودية باليمن.

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محدِّث أن الحَبْرين، ومن خرج من حمير، إنما اتبعوا النار ليردوها، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق، فدنا

---

(١) ذمرهم : شجعهم وحضهم ليجدّوا.

منها رجال من حِمْير بأوثانهم ليردوها، فدنت منهم لتأكلهم، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها، ودنا منها الحبران بعد ذلك، وجعلا يتلوان التوراة وتنكص عنهما، حتى ردَّاها إلى مخرجها الذي خرجت منه، فأصفَقَتْ[1] عند ذلك حمير على دينهما. والله أعلم أي ذلك كان.

هدم البيت المسمى رئام[2] : **قال ابن إسحاق** : وكان رئام بيتاً لهم يعظمونه، وينحرون عنده، ويُكَلَّمون منه، إذ كانوا على شركهم، فقال الحبران لتُبع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخلِّ بيننا وبينه، فاستخرجا منه ــ فيما يزعم أهل اليمن ــ كلبا أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت، فبقاياه اليوم ــ كما ذكر لي ــ بها آثار الدماء التي كانت تهراق عليه.

مُلك حسان بن تبان وقتله على يد أخيه عمرو

فلما ملك ابنه حسان بن تُبان أسعد أبي كَرِب، سار بأهل اليمن، يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق

ــ **قال ابن هشام** : بالبحرين، فيما ذكر لي بعض أهل العلم ــ

---

(١) أصفقت : اجتمعت.

(٢) رئام : وهو فِعال من رَئِمت الأنثى ولدَها تَرْأمه رِئما ورِئاماً : إذا عطفت عليه ورحمته. فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التي كانوا يلتمسون في عبادته، والله أعلم.
وفي رواية يونس عن ابن إسحاق أن رئاما كان فيه شيطان، وكانوا يملئون له حياضا من دماء القربان، فيخرج فيصيب منها ويكلمهم، وكانوا يعبدونه، فلما جاء الحبران مع تبع نشرا التوراة عنده، وجعلا يقرآنها ؛ فطار ذلك الشيطان حتى وقع في البحر.

كرهت حِمْير وقبائل اليمن المسير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم، فكلموا أخاً له يقال له عمرو، وكان معه في جيشه، فقالوا له اقتل أخاك حسان، ونُملِّكْكَ علينا، وترجعْ بنا إلى بلادنا، فأجابهم، فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعَيْن الحِمْيري فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه. فقال ذو رُعَيْن[1] :

ألا من يشتري سهراً بنـــوم سعيدٌ من يبيتُ قريرَ عينِ[2]
فإما حِمْير غدرتْ، وخـــانت فمعذرةُ الإلـــه لذي رُعَيْـــنِ

ثم كتبهما في رقعة، وختم عليها، ثم أتى بها عَمراً، فقال له : ضع لي هذا الكتاب عندك ففعل ثم قَتل عمرو أخاه حسان، ورجع بمن معه إلى اليمن. فقال رجل من حِمْير :

لاهِ عينا الذي رأى مثلي حسان قتيـلاً فـي سالـف الأحقـابِ[3]

---

(١) وذو رُعَيْن تصغير رَعْن، والرَّعْنُ : أنف الجبل، ورعين : جبل باليمن قاله صاحب العين، وإليه ينسب ذو رعين.

(٢) أمن يشتري، وحسن حذف ألف الاستفهام ههنا لتقدم همزة ألا. كما حسن في قول امرئ القيس :

أحارِ ترى برقا أريك وميضه

أراد : أترى. وفي البيت حذف تقديره : بل من يبيت قرير عين هو السعيد. فحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه. وفي كتاب ابن دريد : سعيد أمْ يبيت، بحذف من، وهذا من باب حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه ؛ لأن « من » هنا نكرة موصوفة.

(٣) « لاه من رأى مثل حسان » أراد لله وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل، وهذا حذف كثير. ولكنه جاز في هذا الاسم خاصة لكثرة دوره على الألسنة. مثل قول الفراء :

لِهَنَّك من برق عليَّ كريم

أراد : والله إنك. وقال بعضهم : أراد لأنك وأبدل الهمزة هاء. وهذا بعيد، لأن اللام لا تجمع مع إن، إلا أن تؤخر اللام إلى الخبر، لأنهما حرفان مؤكدان، وليس انقلاب الهمزة هاء بمزيل العلة المانعة من اجتماعهما.

قتلتـه مقـاولٌ خشيـةَ الحـبس غـداةَ قالـوا: لَبَـاب لَبَـابِ[1]
ميتُكـم خيرُنـا وحيُّكـم ربٌّ علينـا، وكلُّكـم أربابـي

قال ابن إسحاق : وقوله : لَبَابِ لَبَابِ : لا بأس لا بأس بلغة حِمْير.

قال ابن هشام : ويروى : لِبابِ لِباب.

هلاك عمرو وتفرق حِمير : قال ابن إسحاق : فلما نزل عمرو ابن تُبان اليمن مُنع منه النوم، وسُلط عليه السهر، فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحُزاة[2] من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم : إنه ما قتل رجل قط أخاه، أو ذا رَحمه بغياً على مثل ما قَتلت أخاك عليه، إلا ذهب نومه، وسُلط عليه السهر، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن، حتى خلص إلى ذي رُعَيْن، فقال له ذو رُعَيْن : إن لي عندك براءة، فقال وما هي ؟ قال : الكتاب الذي دفعتُ إليك، فأخرجه فإذا البيتان، فتركه، ورأى أنه قد نصحه وهلك عمرو، فمرج[3] أمْر حمير عند ذلك وتفرقوا.

---

(١) المقاول : يريد الأقيال، وهم الذين دون التبابعة. واحدهم : قيل وأصله قيِّل مثل سيد، ثم خفف واستعمل بالياء في إفراده وجمعه، وإن كان أصله الواو، لأن معناه : الذي يقول يُسمع قوله، ولكنهم كرهوا أن يقولوا : أقوال، فيلتبس بجمع قَوْل : كما قالوا : عيد وأعياد، وإن كان من عاد يعود، لكن أماتوا الواو فيه إماتة، كي لا يشبه جمع العود، وإذا أرادوا إحياء الواو في جمع قيل، قالوا : مَقاول كأنه جمع مِقْول، أو جمع : مقال ومقالة، فلم يبعدوا من معنى القول، وأمنوا اللبس، وقد قالوا : محاسن ومذاكر لا واحد لها من لفظها، وكأنهم ذهبوا أيضاً في مقاول مذهب المرازب، وهم ملوك العجم، والله أعلم.

(٢) الحزاة : أي المنجمين.

(٣) فمرج أي : اختلط.

خبر لَحْنيعة وذي نواس

فوثب عليهم رجل من حِمْير لم يكن من بيوت المملكة، يقال له : لَحْنيعة[1] ينوف ذو شَنَاتر[2]، فقتل خيارهم، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم، فقال قائل من حمير للَحْنيعة :

تُقَتِّل أَبنَاها وتنفي سَرَاتَها ... وتبني بأيديها لها الذلَّ حميرُ
تُدَمِّر دنياها بطيشِ حلومِها ... وما ضَيَّعَتْ من دينها فَهْوَ أكثرُ
كذاك القرونُ قبلَ ذاك بظلمِها ... وإسرافِها تأتي الشرورَ فتخسَرُ

فسوق لخنيعة : وكان لَحْنيعة امرءاً فاسقاً يعمل عمل قوم لوط، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك، فيقع عليه في مَشْرَبة له قد صنعها لذلك. لئلا يُمَلَّك بعدَ ذلك، ثم يَطْلُع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده، قد أخذ مِسواكا، فجعله في فيه، أي : فيعلمهم أنه قد فرغ منه، حتى بعث إلى زُرْعة ذي نُواس[3] بن تُبان أسعد أخي حسان، وكان صبيا صغيرا حين قُتل حسان، ثم شب غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل، فلما أتاه رسوله، عرف ما يريد منه، فأخذ سكينا حديداً لطيفاً، فخبأه بين قدمه ونعله، ثم أتاه، فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نُواس، فوجأه[4] حتى قتله، ثم حزَّ رأسه، فوضعه في الكُوَّة التي كان يُشرف منها، ووضع مسواكه في فيه، ثم خرج على الناس، فقالوا له : ذا نواس

---

(١) وقال فيه ابن دريد : لخنيعة وقال : هو من اللَّخَع، وهو استرخاء في الجسم.

(٢) الشناتر : الأصابع بلغة حمير، واحدها : شُنْتُرة.

(٣) وذو نواس اسمه : زُرْعَه، وهو من قولهم للغلام : زرعك الله، أيَ أنبتك. وسُمي ذا نواس بغديرتين كانتا له تَنُوسان، أي ضفيرتان من شعر، والنَّوْسُ : الحركة والاضطراب فيما كان متعلقاً.

(٤) وجأه : ضربه.

أرطْبٌ أم يَباس[1] فقال : « سَلْ نَحْماس[2] اسْترطُبان ذو نواس اسْترطُبان[3] لا باس ».

قال ابن هشام : هذا كلام حمير. ونحماس : الرأس. فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لخنيعة مقطوع، فخرجوا في إثر ذي نواس حتى أدركوه، فقالوا : ما ينبغي أن يملكنا غيرك، إذ أرحتنا من هذا الخبيث.

ملك ذي نواس : فملَّكوه، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن، فكان آخر ملوك حمير، وهو صاحب الأخدود، وتسمى : يوسف، فأقام في ملكه زماناً.

سبب وجود النصرانية بنجران : وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل. أهل فضل واستقامة من أهل دينهم، لهم رأس يقال له : عبدالله بن الثامر.

وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها، وذلك أن

---

(١) أرطب أم يباس، واليباس واليبيس : مثل الكبار والكبير.

(٢) فقال لهم : سل نحماس، والنحماس في لغتهم هو الرأس كما ذكر، ووقع في نسخة أبي بحر التي قيدها علي أبو الوليد الوقشي : نخماس بنون وخاء منقوطة، ولعل هذا هو الصحيح إذ يحتمل أن يكون النخماس في لغتهم هو : الرأس، ثم صحف وقيده كراع بالتاء المنقوطة باثنتين من فوق وبالحاء المهملة.

(٣) استرطُبان إلى آخر الكلام : مشكل يفسره ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني قال : كان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة، وقد لاط به قطعوا مشافر ناقته وذنبها : وصاحوا به : أرطب أم يباس، فلما خرج ذو نواس من عنده، وركب ناقة له يقال لها : السراب ؛ قالوا : ذا نواس أرطب أم يباس، فقال : « ستعلم الأحراس اسْتَ ذي نواس است رطبان أم يباس » فهذا اللفظ مفهوم. والذي وقع في الأصل هذا معناه، ولفظه قريب من هذا، ولعله تغيير في اللفظ ــ والله أعلم ــ.

رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له : فَيْمِيون، وقع بين أظهرهم، فحملهم عليه، فدانوا به.

حديث فَيْمِيون[1]: قال ابن إسحاق : حدثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس، عن وهب بن مُنَبِّه اليماني أنه حدثهم : أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فَيْمِيون، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا، مُجاب الدعوة، وكان سائحا ينزل بين القرى، لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرف بها، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه، وكان بنَّاء يعمل الطين، وكان يعظم الأحد، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا. وخرج إلى فلاة من الأرض يصلي بها حتى يمسي. قال : وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له : صالح، فأحبه صالح حُبّاً لم يحبه شيئاً كان قبله. فكان يتبعه حيث ذهب، ولا يفطن له فَيْميون، حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض ــ كما كان يصنع ــ وقد أتبعه صالح، وفَيْمِيون لا يدري ؛ فجلس صالح منه منظرَ العين مستخفيا منه، لا يحب أن يُعلم بمكانه، وقام فيميون يصلي فبينما هو يصلي إذ أقبل نحوه التنين ــ الحية ذات الرءوس السبعة[2] ــ فلما رآها فَيْمِيون دعا عليها فماتت، ورآها صالح ولم يدر ما أصابها، فخافها عليه، فَعِيل عَوْلَه ؛ فصرخ : يا فَيْمِيون ! التنين قد أقبل

---

(١) قال الطبري فيه : قيمئون بالقاف، وشك فيه، وقال القتبي فيه : رجل من آل جفنة من غسان جاءهم من الشام، فحملهم على دين عيسى ــ عليه السلام ــ ولم يسمه. وقال فيه النقاش اسمه يحيى، وكان أبوه ملكا فتوفي، وأراد قومه أن يملكوه بعد أبيه، ففر من الملك، ولزم السياحة. وقال عنه السهيلي في الروض الأنف : فيمئون. وقال يحتمل أنهم سموه : يحيى، وهو الاسم الذي تقدم ذكره، وما قاله النقاش والقتيبي.

(٢) الرءوس السبعة : أي القرون السبعة.

نحوك، فلم يلتفت إليه، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها، وأمسى، فانصرف، وعرف أنه قد عُرف، وعَرف صالح أنه قد رأى مكانه، فقال له : يا فَيْمِيون ! تعلَّم والله ما أحببت شيئاً قطُّ حبَّك وقد أردت صحبتك، والكينونة معك حيث كنت، فقال : ما شئتُ، أمري كما ترى، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم، فلزمه صالح، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه، وكان إذا فاجأه العبد به الضرُّ دعا له فشفي، وإذا دُعي إلى أحد به ضر لم يأته، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فسأل عن شأن فَيْمِيون، فقيل له : إنه لا يأتي أحداً دعاه، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأَجْر، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك، فوضعه في حجرته، وألقى عليه ثوباً ثم جاءه فقال له : يا فيميون، إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملا، فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه فأُشارطك عليه، فانطلق معه حتى دخل حجرته، ثم قال له : ما تريد أن تعمل في بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا، ثم انتشط الرجلُ الثوبَ عن الصبي[1]، ثم قال له : يا فَيْمِيون، عبدٌ من عباد الله أصابه ما ترى، فادعُ الله له ؛ فدعا له فَيْمِيون ؛ فقام الصبي ليس به بأس.

وعَرف فيميون أنه قد عُرِف، فخرج من القرية، واتبعه صالح، فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل، فقال : يا فَيْمِيون ! قال نعم. قال : ما زلت أنظرك، وأقول : متى هو جاء ؟ حتى سمعت صوتك، فعرفت أنك هو، لا تبرحْ حتى تقوم عليَّ فإني ميت الآن. قال : فمات، وقام عليه حتى واراه، ثم انصرف، وتبعه صالح، حتى وطئا بعض أرض العرب، فعدُوا عليهما، فاختطفتهما سَيَّارةٌ من بعض العرب، فخرجوا بهما، حتى باعوهما بنجران[2]، وأهل نجران يومئذ على

(١) انتشط الثوب : أي رفعه بسرعة.

(٢) ونجران اسم رجل كان أول من نزلها، فسُميت به، وهو نجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان ؛ قاله البكري.

دين العرب، يعبدون نخلةً طويلة بين أظهرِهم لها عيد في كل سنة، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه، وحُليَّ النساء، ثم خرجوا إليها، فعكفوا عليها يوماً.

فابتاع فَيْمِيونَ رجلٌ من أشرافهم، وابتاع صالحاً آخرُ، فكان فَيمِيون إذا قام من الليل ــ يتهجد في بيت له أسكنه إياه سيده ــ يصلي، استسرج له البيتُ نوراً حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيده، فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه فأخبره به، وقال له فيميون : إنما أنتم في باطل، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع، ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبده، لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له، قال : فقال له سيده : فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك، وتركنا ما نحن عليه. قال فقام فَيْمِيون، فتطهر وصلى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله عليها ريحاً فَجَعَفَتْها[1] من أصلها فألقتها، فاتَّبعه عند ذلك أهل نجران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب.

قال ابن إسحاق : فهذا حديث وهب بن مُنَبِّه عن أهل نجران.

---

(١) جعفتها : أي اسقطتها وذهبت بها.

خبر عبدالله بن الثامر

عبدالله بن الثامر والاسم الأعظم : قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران ــ ونجران : القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد ــ ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها فَيْمِيون ــ ولم يسموه لي باسمه الذي سماه به وهب بن منبِّه، قالوا : رجل نزلها ــ ابتنى خيمة بين نجران، وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر، يعلمهم السحر، فبعث إليه الثامرُ ابنَه عبدَ الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه، ويسمع منه حتى أسلم، فوحَّد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه، جعل يسأله عن الاسم الأعظم ــ وكان يعْلمُه ــ فكتمه إياه وقال له : يا ابن أخي ! إنك لن تحملَه، أخشى عليك ضعفَك عنه. والثامر أبو عبدالله لا يظن إلا أن ابنَه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمانُ، فلما رأى عبدُ الله أن صاحبَه قد ضَنَّ به عنه، وتخوَّف ضَعْفَه فيه، عمد إلى قِداح[1] فجمعها، ثم لم يُبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه في قِدْح، لكلِّ اسم قِدْح، حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً، ثم جعل يقذفها فيها قِدْحاً قِدْحاً، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بِقدْحه، فوثب القِدْح حتى خرج منها لم تضره شيئاً، فأخذه ثم أتى صاحبه، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذي كتمه، فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع، قال : أي ابنَ

---

(١) القداح : السهام.

أخي ! قد أصبته فأمسكْ على نفسِك، وما أظنُّ أن تفعلَ[1].

عبد الله بن الثامر يدعو إلى التوحيد : فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال : يا عبد الله، أتوحِّدُ الله، وتدخل في ديني، وأدعو الله، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم، فيوحد الله ويُسْلم، ويدعو له فيُشْفَى، حتى لم يبق بنجران أحد به ضُر إلا أتاه فاتَّبعه على أمره، ودعا له فعوفِيَ، حتى رفع شأنه إلى مَلك نجران، فدعاه فقال له : أفسدت عليَّ أهل قريتي، وخالفت ديني ودين آبائي، لأمثلنَّ بك. قال : لا تقدر على ذلك. قال : فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل، فيُطرَح على رأسه، فيقع إلى الأرض ليس به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران، بحورٍ لا يقع فيها شيء إلا هلك، فيُلْقَى فيها،

---

(١) التفاضل بين أسماء الله الحسنى : وذكر فيه الاسم الأعظم، وقول الراهب له : إنك لن تطيقه. أي : لن تطيق شروطه، والانتهاض بما يجب من حقه، وقد قيل في قول الله تعالى : ﴿ **وقال الذي عنده علم من الكتاب** ﴾ إنه أُوتي الاسم الأعظم الذي إذا دُعي الله به أجاب، وهو : آصف بن برخيا في قول أكثرهم، وقيل غير ذلك. وأعجب ما قيل فيه : إنه ضبة بن أد بن طابخة قال النقاش، ولا يصح.

وهي مسألة اختلف فيها العلماء، فذهبت طائفة إلى ترك التفضيل بين أسماء الله تعالى، وقالوا : لا يجوز أن يكون اسم من أسمائه أعظم من الاسم الآخر، ومما احتجوا به : أن رسول الله ــ ﷺ ــ لم يكن ليحرم العلم بهذا الاسم، وقد علمه من هو دونه من ليس بنبي ؛ ولم يكن ليدعو حين اجتهد في الدعاء لأمته ألا يجعل بأسهم بينهم، وهو رءوف بهم، عزيز عليه عَنَتهُم إلا بالاسم الأعظم، ليستجاب له فيه، فلما مُنع ذلك علمنا أنه ليس اسم من أسماء الله إلا وهو كسائر الأسماء في الحكم والفضيلة، ليستجيب الله إذا دعي ببعضها إن شاء، ويمنع إذا شاء، وقال الله سبحانه : ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعو، فله الأسماء الحسنى** ﴾.

وظاهر هذا الكلام : التسوية بين أسمائه الحسنى. وكذلك ذهب هؤلاء وغيرهم من العلماء إلى أنه ليس شيء من كلام الله تعالى أفضل من شيء، لأنه كلام واحد من رب واحد، فيستحيل التفاضل فيه. انظر هذا الموضوع مفصلا من « الروض الأنف » بتحقيقنا جـ١ ص ٤٧ ــ ٥٢.

فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه، قال له عبد الله بن الثامر : إنك والله لن تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنتُ به، فإنك إن فعلت ذلك، سُلِّطْتَ عليَّ فقتلتني، قال : فوحَّد الله تعالى ذلك الملك، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر، ثم ضربه بعصا في يده، فشجه شجة غير كبيرة، فقتله ثم هلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحُكمه، ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران ــ والله أعلم بذلك.

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القُرَظيّ، وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر ــ والله أعلم أي ذلك كان.

ذو نواس يدعو أهل نجران إلى اليهودية : فسار إليهم ذو نواس بجنوده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتل، فخدَّ لهم الأُخدود[1]، فحرق من حرق بالنار، وقتل من قتل بالسيف، ومثَّل بهم، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً، ففي ذي نُواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ــ ﷺ : ﴿ **قُتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود. وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾.

تفسير الأخدود : قال ابن هشام : الأخدود : الحَفْر المستطيل في الأرض، كالخندق والجدول ونحوه، وجمعه : أخاديد. قال ذو الرمة ــ واسمه : غَيْلان بن عُقبة، أحد بني عَدِيِّ بن عبد مناف بن أد بن

(١) روى ابن سنجر عن جُبَيْر بن نفيل قال : الذين خدوا الأخدود ثلاثة : تُبَّع صاحب اليمن، وقسطنطين ابن هلاني ــ وهي أمه ــ حين صرف النصارى عن التوحيد ودين المسيح إلى عبادة الصليب، وبختنصر من أهل بابل حين أمر الناس أن يسجدوا له، فامتنع دانيال وأصحابه، فألقاهم في النار، فكان برداً وسلاماً عليهم.

طابخة بن إلياس بن مُضر :

من العراقِيَّةِ اللاتـي يُحيـلُ لهـا بين الفَلَاةِ وبينَ النخلِ أخدودُ

يعني : جدولا. وهذا البيت في قصيدة له. قال : ويقال لأثر السيف والسكين في الجلد، وأثر السوط ونحوه : أخدود، وجمعه أخاديد.

نهاية عبد الله بن الثامر : قال ابن إسحاق : ويقال : كان فيمن قَتَلَ ذو نواس، عبدَ الله بن الثامر رأسهم وإمامهم.

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو ابن حزم أنه حُدث : أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ حفرَ خَرِبةً من خَرِب نجران لبعض حاجته، فوجدوا عبدَ الله بن الثامر تحت دَفْنٍ منها قاعداً، واضعاً يده على ضربة في رأسه، مُمسكا عليها بيده، فإن أُخِّرت يدَه عنها تنبعث دما، وإذا أُرسلت يده ردَّها عليها، فأمسكت دمَها، وفي يده خاتم مكتوب فيه : « ربي الله » فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبر بأمره فكتب إليهم عمرُ رضي الله عنه : أن أقروه على حاله وردوا عليه الدَّفْن الذي كان عليه، ففعلوا[1].

---

(١) يصدق ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء..** ﴾ وما وُجد من شهداء أحد وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيروا بعد الدهور الطويلة، كحمزة بن عبد المطلب ــ رضي الله عنه ــ فإنه وُجد حين حفر معاوية العين صحيحاً لم يتغير وأصابت الفأس أصبعه، فدميت : وكذلك أبو جابر عبد الله بن حرام، وعمرو بن الجموح. وطلحة بن عبيد الله، استخرجته بنته عائشة من قبره حين أمرها في المنام بنقله فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنة لم يتغير. وقد قال ــ عليه السلام ــ « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ». خرَّجه سليمان بن الأشعث. وفي المسند من طريق أنس ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ « الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم ». وفي الصحيح : أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : « مررت بموسى ــ عليه =

فرار دوس ذي ثعلبان من ذي نواس واستنجاده بقيصر

قال ابن إسحاق : وأفلت منهم رجل من سبأ. يقال له دَوْس[1] ذو ثَعْلبان على فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك، حتى أتى قيصر[2] ملك الروم، فاستنصره على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له : بعدت بلادك منا، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين، وهو أقرب إلى بلادك، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره.

النجاشي ينصر دوسا : فقدم دوسٌ على النجاشي بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمَّر عليهم رجلا منهم يقال له : أرياط ــ ومعه في جنده أَبْرَهة الأشرم ــ فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن، ومعه دَوْس ذو ثَعْلبان.

نهاية ذي نواس : وسار إليه ذو نُواس في حِمْير، ومن أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه، وجه فرسه في البحر، ثم ضربه، فدخل به فخاض به ضَحْضَاح[3] البحر، حتى أفضى به إلى غَمْرِه[4]، فأدخله فيه، وكان آخر العهد به. ودخل أرياط اليمن، فملكها[5].

= السلام ــ وهو يصلي في قبره ــ وحدثني من لا أشك في قوله أنه رأى الكثير من شهداء حرب فلسطين لم يتغيروا بعد السنين الطويلة.

(١) دوس : هو ابن تبع الذي قتله أخوه.

(٢) قيصر : اسم علم لكل من ولي الروم وتفسيره بلسانهم : البقير الذي بقر بطن أمه عنه، وكان أول من تسمى به بُقَيْراً، فلما ملك وعرف به: تسمى به كل من ملك بعده.

(٣) قوله الضحضاح من الماء : الذي يظهر قعره.

(٤) الغمر : الماء الكثير.

(٥) هذا ما ذكره ابن إسحاق، وهنا رواية أخرى : أن ذا نواس أدخل الحبشة صنعاء اليمن، =

فقال رجل من أهل اليمن ــ وهو يذكر ما ساق إليهم دوس من أمر الحبشة :

« لا كَدَوْس ولا كأعلاقِ رَحْله »[1]

قول ذي جدن الحميري في هذه القصة : وقال ذو جدن الحميري :

هونكِ[2] ليس يردُّ الدمعَ ما فاتا لا تهلكي أسفاً في إثْر من ماتَا
أبعدَ بَيْنون لا عينٌ ولا أثرٌ وبعدَ سَلْحِين يبني الناسُ أبياتَا ؟!

بينون وسلحين وغمدان : من حصون اليمن التي هدمها أرياط، ولم يكن في الناس مثلُها. وقال ذو جدن أيضاً :

= حين رأى أنه لا قبل له بهم، بعد أن استنفر جميع المَقَاوِل، ليكونوا معه يداً واحدة عليهم، فأبوا إلا أن يحمي كل واحد منهم حوزته على حدته، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله، على أن يسالموه ومن معه، ولا يقتلوا أحداً، فكتبوا إلى النجاشي بذلك، فأمرهم أن يقبلوا ذلك منهم، فدخلوا صنعاء ودفع إليهم المفاتيح، وأمرهم أن يقبضوا ما في بلاده من خزائن أمواله، ثم كتب هو إلى كل موضع من أرضه : أن اقتلوا كل ثور أسود، فقُتِلَ أكثر الحبشة، فلما بلغ ذلك النجاشي وجه جيشاً إلى أبرهة، وعليهم أرياط وأمره أن يقتل ذا نواس، ويخرب ثلث بلاده، ويقتل ثلث الرجال، ويسبي ثلث النساء والذرية، ففعل ذلك أبرهة. واقتحم ذو نواس البحر، فهلك، وقام بأمره من بعده ذو جدن، واسمه : عَلَس بن الحارث أخو سبيع بن الحارث، وأن ذا جدن حارب الحبشة بعد ذي نواس فكسروا جنده، وغلبوه على أمره، ففر إلى البحر كما فعل ذو نواس، فهلك فيه، واستبد أبرهة بنفسه فبلغ النجاشي، ولم يرسل إليه من جباية اليمن شيئاً، فوجه أرياطاً إلى خلعه.

(١) الأعلاق : النفائس.

(٢) هونكِ : ترفقي، وقد روي عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام : هونكما لن يرد. وهو من باب قول العرب للواحد : افعلا. كما فعل امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

دعيني ــ لا أبا لكِ ــ لن تطيقي [1] لحاكِ اللهُ! قد أنزفْتِ ريقي [2]
لَدَى عَزفِ القيانِ إذ انتشينا وإذْ نُسقى من الخمرِ الرحيق [3]
وشُرْبُ الخمر ليس عليَّ عاراً إذا لم يَشْكُني فيها رفيقي
فإن الموتَ لا ينهاه ناهٍ ولو شَرِبَ الشفاءَ مع النَّشوقِ [4]
ولا متـرهِّب في أُسْطوان يناطحُ جُدره بَيض الأنوق [5]
وغُمْدان [6] الذي حُدِّثت عنه بنوه مُسَمَّكا في رأسِ نِيق [7]
بمَنْهَمَةٍ، وأسفلُهُ جُرون وحُر الموْحَلِ اللثق الزليق [8]

---

(١) أي لن تطيقي صرفي بالعذل عن شأني.

(٢) أي أيبست ريقي في فمي، وقلة الريق من الحصر، وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش.

(٣) الرحيق : الخالص.

(٤) أي لو شرب كل دواء يستشفَى به، وتنشَّق كل نشوق يجعل في الأنف للتداوي به، ما نهى ذلك الموت عنه

(٥) ولا مُتَرَهِّبٌ : يجوز أن يكون رفعه عطفاً على (ناه) : أي : لا يرد الموت ناه، ولا مترهب. أي : دعاء مترهب يدعو لك، ويجوز أن يكون مترهب رفعاً، على معنى : ولا ينجو منه مترهب.

والأسْطُوانُ : على وزن أفعوال. والنون أصلية ؛ لأن جمعه : أساطين، وليس في الكلام أفاعين، والأُسطوان جمع أسطوانة، وهي السارية ويقصد هنا المكان الذي يختلي فيه الراهب.

جُدره : جمع جدار، وهو مخفف من جدر، وفي التنزيل ﴿ **أو من وراء جُدر** ﴾ هكذا تقيد بضم الجيم، والجدار أيضا بفتح الجيم : الحائط، ولكن الرواية في الكتاب كما ذكرنا.

والأنوق : الذكر من الرخم وهو لا يبيض، وهذا أشبه بالمعنى ؛ لأن الذكر لا يبيض، فمن أراد بيض الأنوق، فقد أراد المُحال.

(٦) غُمدان : هو الحصن الذي كان لهوذة بن علي ملك اليمامة

(٧) مسمَّكا : مرفَّعاً. من قوله سمك السماء، والنيق : أعلى الجبل.

(٨) بِمَنْهَمَة : هو موضع الرهبان. والراهب يقال له : التَّهامِيّ ويقال للنجار أيضاً : نهامي، فتكون المنهمة أيضاً على هذا موضع نجر.

وأسفله جُرون : جمع جَرون، وهو النقير من جرن الثوب : إذ لان. ورواية أبي الوليد =

مصابيح السَّليطِ تلوح فيه ... إذا يُمْسي كَتَوْماضِ البُروقِ [1]
ونخلتُه التي غُرِسَت إليه ... يكاد البُسْرُ يَهْصِر بالعذوق [2]
فأصبح بعد جِدَّته رماداً ... وغيَّر حسنَه لهبُ الحريقِ
وأسلَمَ ذو نُواس مُسْتَكينا [3] ... وحذَّر قومَه ضَنْك المضيق

قول ربيعة ابن الذئبة الثقفي في هذه القصة : وقال عبدالله ابن الذئبة [4] الثقفي في ذلك ــ **قال ابن هشام** : الذئبة أمه، واسمه : ربيعة ابن عَبْد ياليل بن سالم بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَسِيّ.

لَعَمْرك ما للفتى من مقر ... مع الموت يلحقه والكِبَرْ
لعَمرك ما للفتى صُحْرة ... لعمرك ما إنْ له من وزَر [5]
أبعْدَ قبائلَ مِنْ حِمْيَرٍ ... أُبيدوا صباحاً بذات العَبَر [6]

= الوَقْشِي : جروب بالباء، وكذلك ذكره الطبري بالباء أيضاً. وفي حاشية كتاب الوقشي : الجروب : حجارة سود. فإن صح هذا في اللغة وإلا فالْجُروب : جمع جريب على حذف الياء من جريب، فقد يجمع الاسم على حذف الزوائد، كما جمعوا صاحباً على أصحاب.
وحر : الخالص من كل شيء.
والموحل : بفتح الحاء وفسر المرجل، بالحجارة المُلس لينة، والذي أذهب إليه أن الموجل ههنا واحد المواجل، وهي مناهل الماء، وفتحت الجيم، لأن الأصل : مأجل، كذلك قال أبو عُبيد هي : المآجل، وواحدها : مأجل.
واللثق من اللثق هو أن يخلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق، والزليق الذي يزلق فيه. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ٥٨.

(١) السليط : الدهن.
(٢) يهصر : يميل. العذوق : جمع عذق بفتح العين وهي النخلة.
(٣) وأسلم ذو نواس مستكينا. أي : خاضعا ذليلا.
(٤) واسمه : ربيعة بن عبد ياليل.
(٥) الصُّحرة : المتسع، أُخذ من لفظ الصحراء. والوزر : الملجأ، ومنه اشتق الوزير لأن الملك يلجأ إلى رأيه. وقد قيل من الوزر ؛ لأنه يحمل عن الملك أثقالا، لأن الوزر : الثقل.
(٦) ذات العَبَر: أي ذات الحزن، يقال: عَبَر الرجل إذا حزن، ويقال: لأمه العبر، كما يقال: لأمه الثُّكل.

بألـــفِ ألـــوفٍ وحُرَّابـــة كمثلِ السماء قُبَيْلِ المطر[1]
يُصِمُّ صياحُهـــم المقْربَـــات وينفـون من قاتلـوا بالدَّفـــرْ[2]
سَعَالِيَ مثـــلُ عديـــد التـــرا ب تَيْبس منهم رطابُ الشجرْ[3]

قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي في هذه القصة : وقال عمرو بن مَعْدي كرب الزُّبيْدي[4] في شيء كان بينه وبين قيس بن مكشوح المرَاديّ[5]، فبلغه أنه يتوعده، فقال يذكر حِمْير وعزها، وما زال من ملكها عنها :

أتُوعِدنـــي كأنك ذو رُعَيْـــن ـــ بأفضل عِيشةٍ ـــ أو ذو نُوَاس
وكائـن كان قبـلَك من نعيـمٍ ومُلكٍ ثابتٍ في النـاس راسي

---

(١) الحُرَّابة : ذوو الحراب. وقوله كمثل السماء أي كسحاب لاسوداد السحاب وظلمته قبيل المطر.

(٢) المقربات. الخيل العتاق التي لا تسرح في المراعي ولكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو. والدَّفر : الرائحة الشديدة، أي ينفون من قاتلوا بريحهم وأنفاسهم، وهذا إفراط في وصفهم بالكثرة وقيل غير ذلك. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ٦٠.

(٣) سعالِيَ : الجن، والمفرد سِعْلاة ويقال : بل هي الساحرة من الجن.

(٤) عمرو بن معدي كرب ـــ رضي الله عنه ـــ صحابي، يكنى : أبا ثور تُضرب الأمثال بفروسيته وبسالته. ومعدي كرب بالحميرية : وجه الفَلَّاح، المعدي هو : الوجه بلغتهم، والكرب هو : الفلاح.

(٥) قيس بن مكشوح المرادي، إنما هو حليف لها، واسم مراد : يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج، ونسبُه في بجيلة ثم في بني أحمس، وأبوه مكشوح اسمه : هبيرة بن هلال. ويقال : عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحمس ابن الغوث بن أنمار، وأنمار هو : والد بجيلة وخثعم، وسُمي أبوه مكشوحا، لأنه ضُرب بسيف على كَشْحه « وهو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف »، ويكنى قيس : أبا شداد، وهو قاتل الأسود العنسي الكذاب هو وذَاذَوَيه وفيروز، وكان قيس بطلا شجاعاً، ـــ قُتل مع علي ـــ رضي الله عنه ـــ يوم صفين، وله في ذلك اليوم مواقف لم يُسمع بمثلها، وكذلك له في حروب الشام مع الروم وقائع ومواقف لم يسمع بمثلها عن أحد بعد خالد بن الوليد.

قديمٍ عهده من عهد عاد عظيم قاهر الجبروت قاسي
فأمسى أهلُه بادوا، وأمسى يُحوَّل من أناسٍ في أناسِ

نسب زبيد ومراد : قال ابن هشام : زُبَيْد بن سلمة بن مازن بن مُنَبِّه بن صعب بن سعد العشيرة بن مَذْحِج. ويقال : زُبيد بن منبِّه بن صعب بن سعد العشيرة، ويقال : زُبيد بن صعب بن سعد. ومراد : يُحابِر بن مُذْحج.

لماذا قال عمرو بن معدي كرب هذا الشعر : قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة قال : كتب عُمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ إلى سلْمان بن ربيعة الباهلي[1]، وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس ابن عيلان. وهو بأرْمينية يأمره أن يفضل أصحاب الخيل العِراب على أصحاب الخيل المقارف[2] في العطاء فعرض الخيل، فمر به فرس عمرو ابن معدي كرب، فقال له سلمان : فرسك هذا مُقْرف، فغضب عمرو، وقال : هجين عرف هجيناً مثله، فوثب إليه قيس فتوعده، فقال عمرو هذه الأبيات.

تصديق قول شق وسطيح : قال ابن هشام : فهذا الذي عنى سطيح الكاهن بقوله : « ليهبطن أَرْضَكُم الحبش، فليملُكُنَّ ما بين أَبْيَن إلى جُرَش » والذي عنى شق الكاهن بقوله: « لينزلن أرضكم السودان، فليغلُبنَّ على كل طَفلة البنان وليملُكن ما بين أَبْيَن إلى نجران ».

---

(١) ونسبه إلى باهلة بن أعْصَر، وكذلك هو عند أهل النسب : باهلي، ثم أحد بني قُتَيبة بن مَعْن، وباهلة : أمهم وهي بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج، وأبوهم يعصُر وهو : منبه بن سعد بن قيس بن عيلان، ويقال له : أعصر ويعصر.

(٢) المقارف : جمع مقرف الذي دانى الهجنة، وهو الذي أمه عربية وأبوه ليس بعربي فالإقراف من جهة الأب والهجنة من جهة الأم. انظر ذلك مفصلا في الصحاح للجوهري مادة قرف.

النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط

قال ابن إسحاق : فأقام أَرْيَاط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي، حتى تفرقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كلٍّ واحد منهما طائفة منهم، ثم سار أحدُهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسل أبرهةُ إلى أرياطَ : إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض، حتى تفنيها شيئاً، فابرز إليَّ، وأبرز إليك، فأينا أصاب صاحبَه انصرف إليه جندُه، فأرسل إليه أرياط : أنصفتَ ؛ فخرج إليه أبرهة ــ وكان رجلا قصيراً لحيما، وكان ذا دين في النصرانية ــ وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا، وفي يده حربة له وخلف أبرهة غلام له، يقال له : عَتْوَدَة[1]، يمنع ظهره، فرفع أرياطُ الحربة، فضرب أبرهة يريد يأفوخه، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته[2]، فبذلك سُمي : أبرهة الأشرم، وحمل عَتْوَدة على أرياط من خلف أبرهة فقتله، وانصرف جندُ أرياط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، وَوَدَى[3] أبرهةُ أرياطَ.

غضب النجاشي على أبرهة : فلما بلغ النجاشي غضب غضباً شديداً وقال : عدا على أميري فقتله بغير أمري، ثم حلف : لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده، ويجزّ ناصيته. فحلق أبرهة رأسَه وملأ جراباً من تراب اليمن، ثم بعث به إلى النجاشي، ثم كتب إليه :

« أيها الملك، إنما كان أَرْياطُ عبدَك، وأنا عبدُك، فاختلفنا في أمرِك،

---

(١) العتودة : الشدة في الحرب.

(٢) شرم أنفه وشفته أي : شقهما.

(٣) وداه : تحمل ديته.

وكلٌّ طاعتُه لك، إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة، وأضبط لها، وأسوس منه، وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضي، ليضعه تحت قدميه، فيبرّ قسمَه فيَّ ».

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضي عنه، وكتب إليه : أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري، فأقام أبرهة باليمن.

« **القُلَّيْس** » **أو كنيسة أبرهة** : ثم إن أبرهة بنى القُلَّيْسَ[1] بصنعاء، فبنى كنيسة لم يُر مثلُها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشي : أني قد بنيت لك أيها الملك كنيسةً لم يُبْنَ مثلُها لملك كان قبلك، ولست بمنتهٍ حتى أصرفَ إليها حج العرب، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي، غضب رجل من النَّسأة، أحد بني فُقَيْم بن عديّ بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مضر.

---

(١) وهي الكنيسة التي أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها وسميت بهذا الاسم لارتفاع بنائها وعلوها، ومنه أخذت القلانس لأنها تعلو الرأس، ويقال : تقلنس الرجل إذا لبس القلنسوة، وقلس طعاماً أي : ارتفع من معدته إلى فيه، وكان أبرهة قد استذلّ أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة وجشَّمهم أنواعاً من السخر، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان ــ عليه السلام ــ وكان من موضع الكنيسة على فراسخ وكان فيه بقايا من آثار مُلكها، وكان أراد أن يرفع في بنائها حتى يَشْرُف منها على عدن، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس. وكان حكمه في العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ في عمله أن يقطع يده، فنام رجل منهم ذات يوم، حتى طلعت الشمس، فجاءت معه أمه، وهي امرأة عجوز، فتضرعت إليه تستشفع لابنها، فأبى إلا أن يقطع يده، فقالت : اضرب بمعولك اليوم، فاليوم لك، وغداً لغيرك. انظر قصة هذه الكنيسة مفصلة في الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ٦٣.

النساة : والنسأة : الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية، فيحلُّون الشهر من الأشهر الحرم، ويحرمون مكانَه الشهرَ من أشهرِ الحل، ليواطئوا عدةَ ما حرَّم اللهُ. ويؤخرون ذلك الشهر، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **إنما النسيء زيادةٌ في الكفرِ يُضَلُّ به الذين كفروا يحلُّونه عاما، ويحرمونه عاما، ليواطئوا عدَّة ما حرم اللهُ** ﴾.

قال ابن هشام : ليوافقوا، والمواطأة : الموافقة، تقول العرب : واطأتُك على هذا الأمر، أي وافقتك عليه، والإيطاء في الشعر : الموافقة، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد، نحو قول العَجَّاج ــ واسم العَجَّاج[1] : عبد الله بن رُؤبة أحد بني سعد بن زيد مَناة بن تميم ابن مُر بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار ــ :

في أُثْعبــان المَنْجَنــون المــرسَل[2]

ثم قال : مدّ الخليجِ في الخليجِ[3] المرْسَل

وهذان البيتان في أرجوزة له.

أول من ابتدع النسيء : قال ابن إسحاق : وكان أول من نسأ الشهور على العرب، فأحلَّت منها ما أحلّ، وحرمت منها ما حرم القَلَمَّس[4]، وهو حُذَيفة بن عبد بن فُقَيْم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزَيمة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبَّاد

---

(١) وكنيته : أبو الشعثاء وسُمي العجاج بقوله : * حتى يعج عندها من عججا *

(٢) الأثعبان : ما يندفع من الماء من مثعبه، والمثعب : المجرى. والمنجنون : أداة السانية ــ الدلو العظيمة وأداتها ــ والميم في المنجنون أصلية في قول سيبويه، وكذلك النون، لأنه يقال فيه : منجنين مثل عرطليل ــ الضخم ــ وقد ذكر سيبويه أيضا في موضع آخر من كتابه أن النون زائدة، وقيل مَنْحنون بالحاء. والمنجنون : الدولاب التي يستقى عليها.

(٣) مد الخليج : الخليج : الجبل، والخليج أيضاً : خليج الماء.

(٤) وسمي القلمس لجوده ؛ إذ أنه من أسماء البحر.

ابن حذيفة، ثم قام بعد عباد: قَلَع بن عبَّاد، ثم قام بعد قَلَع : أمية بن قلع، ثم قام بعد أمية : عَوف بن أمية، ثم قام بعد عَوْف : أبو ثُمامة، جُنَادة بن عَوْف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام[1]، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه، فحرم الأشهر الحرم الأربعة : رجبا، وذا القعدة، وذا الحجة، والمحرم. فإذا أراد أن يحل شيئاً أحلَّ المحرم فأحلُّوه وحرم مكانه صفر فحرَّموه ؛ ليواطئوا عدَّةَ الأربعة الأشهر الحُرُم. فإذا أرادوا الصَّدَر[2] قام فيهم فقال : « اللهم إني قد أحللت لك أحد الصَّفَرَيْن، الصفر الأول، ونسأت الآخرَ للعام المقبل[3] » فقال في ذلك عُمَيْر بن قَيْس، جِذْل الطَّعان[4]، أحدُ بني فراس بن غَنْم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، يفخر بالنَّسأة على العرب :

---

(١) وجد السهيلي خبراً عن إسلام أبي ثمامة فقد حضر الحج في زمن عمر، فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى : أيها الناس، إني قد أجرته منكم فخفقه عمر بالدرة وقال : ويحك، إن الله أبطل أمر الجاهلية.

(٢) الصَّدَر هنا : الرجوع من الحج.

(٣) وذكر أبو علي القالي في الأمالي : أن الذي نسأ الشهور منهم : نُعَيْم بن ثعلبة، وليس هذا بمعروف، وأما نَسَؤُهُم للشهر، فكان على ضربين. أحدهما : ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات. والثاني : تأخيرهم الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية، فكانوا يؤخرونه في كل عام أحد عشر يوماً أو أكثر قليلا، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة، فيعود إلى وقته، ولذلك قال عليه السلام في حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السمواتِ والأرض » وكانت حجة الوداع في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته، ولم يحج رسولَ الله ــ ﷺ ــ من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته، ولطوافهم بالبيت عراة ــ والله أعلم ــ إذ كانت مكة بحكمهم، حتى فتحها الله على نبيه ــ ﷺ ــ

(٤) وكان عُمير من أطول الناس، وسمي جذل الطعان لثباته في الحرب كأنه جذل شجرة واقف، وقيل : لأنه كان يُسْتَشْفَى برأيه، ويُستَراح إليه، كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل « وهو عود ينصب للبُهم الجرباء لتحتك به ».

لقد علمتْ مَعَدٌّ أن قومي كرامُ الناسِ أنّ لهم كِرَامَا[1]
فأيّ الناسِ فاتونا بوِتْرٍ وأيّ الناسِ لم نُعْلِكْ لجاما[2]
أَلَسْنا النَّاسئين على مَعَدٍّ شهورَ الحِلِّ نجعلها حَراما ؟

قال ابن هشام : أول الأشهر الحرم : المحرَّم.[3]

الكناني يحدث في القليس : قال ابن إسحاق : فخرج الكنانيُّ حتى أتى القُلَّيْس فقعد[4] فيها ــ

قال ابن هشام : يعني أحدث فيها ــ

قال ابن إسحاق : ثم خرج فلحق بأرضه، فأُخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العربُ إليه بمكة لما سمع قولك : « أصرف إليها حج العرب » غضب فجاء، فقعد فيها، أي أنها ليست لذلك بأَهْل.

خروج أبرهة لهدم الكعبة : فغضب عند ذلك أبرهة وحلف : ليسيرنَّ إلى البيت حتى يهدمَه، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهَّزت، ثم سار

---

(١) أي : آباءً كراماً وأخلاقاً كراماً.

(٢) أي : لم نقدعهم ونكفهم، كما يقدع الفرس باللجام. تقول : أعلكت الفرس لجامه : إذا رددته عن تنزعه، فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه، فهو مقدوع.

(٣) وقال غير ابن هشام : إن أولها ذو القعدة لأن رسول الله ــ ﷺ ــ بدأ به حين ذكر الأشهر الحُرم، ومن قال المحرم أولها، احتج بأنه أول السنة. وتظهر فائدة هذا الخلاف فيمن نذر صيام الأشهر الحرم. فيقال له على الأول : ابدأ بالمحرم، ثم رجب، ثم ذي القعدة، وذي الحجة. وعلى القول الآخر : يبدأ بذي القعدة حتى يكون آخر صيامه في رجب من العام الثاني.

(٤) قعد : أي أحدث فيها ــ وهذا شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء في تفسير القعود على المقابر المنهي عنه.

وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفَظِعوا به، ورأوا جهاده حقًّا عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام.

أشراف اليمن يدافعون عن البيت : فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفْر، فدعا قومه، ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله الحرام، وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض له فقاتله، فَهُزم ذو نَفْر وأصحابه، وأخذ له ذو نَفْر، فأُتي به أسيراً، فلما أراد قتله، قال له ذو نَفْر : أيها الملك، لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي، فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلا حليماً.

خثعم تجاهد أبرهة : ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم[1] عَرَض له نُفَيْل بن حبيب الخَثْعمي في قَبيلَيْ خَثْعَم : شَهْران ونَاهِس[2]، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نُفَيْل أسيراً، فأُتي به، فلما همَّ بقتله قال له نُفَيْل : أيها الملك، لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلي خَثْعم : شَهْران وناهس بالسمع والطاعة، فخلى سبيلَه.

وخرج به معه يدلُّه، حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب ابن مالك بن كعب بن عَمرو بن سعد بن عَوْف بن ثَقيف في رجال ثقيف.

نسب ثقيف[3] : واسم ثَقِيف : قَسِيُّ بنُ النَّبيت بن منبِّه بن منصور

---

(١) خثعم : اسم جبل سمي به بنو عِفرس بن خلف بن أفتل بن أنمار، لأنهم نزلوا عنده، وقيل : إنهم تخثعموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم أي تلطخوا.

(٢) يقال إن خثعم ثلاث : شهران وناهس وأكلب غير أن أكلب عند أهل النسب هو : ابن ربيعة بن نزار، ولكنهم دخلوا في خثعم، وانتسبوا إليهم.

(٣) اختلف النسابون في نسب ثقيف فبعضهم ينسبهم إلى إياد، والبعض إلى قيس وقد نسبوهم =

ابن يَقْدُم بن أفْصَى بن دُعْميّ بن إياد[1] بن نزار بن معدّ بن عدنان.

قال أمية بن أبي الصَّلْت الثقفي[2] :

قومي إيادٌ لو أنهمْ أَمَم ... أو : لو أقاموا فتُهْزَل النَّعَمُ[3]
قومٌ لهم ساحةُ العراقِ إذا ... ساروا جميعاً والقطّ والقَلم[4]

وقال أُمية بن أبي الصَّلْت أيضاً :

فإمَّا تَسْألي عني ــ لُبَيْنَى ... وعن نسبي ــ أُخَبِّرْك اليقينا
فإنا للنَّبيتِ أبي قَسِيٍّ ... لمنصورِ بنِ يَقْدُمَ الاقدمينا

قال ابن هشام : ثقيف : قَسِيُّ بن مُنبِّه بن بكر بن هَوازن بن منصور ابن عِكرمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان، والبيتان الأوَّلان والآخران في قصيدتين لأمية.

ثقيف تهادن أبرهة: قال ابن إسحاق ، فقالوا له : أيها الملك، إنما نحن عبيدُك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس

= إلى ثمود أيضا. وفي حديث رواه معمر بن راشد في جامعه: « أن أبا رغال من ثمود ». انظر الروض الأنف من تحقيقنا جـ١ ص ٦٦، ٦٧.

(١) إياد : في اللغة التراب الذي يضم إلى الخباء ليقيه من السيل ونحوه، وهو مأخوذ من الأيد وهي القوة، لأن فيه قوة للخباء، وهو بين النُّؤي والخباء، والنؤي يشتق من النائي، لأنه حفير ينأى به المطر، أي يبعد عن الخباء.

(٢) واسم أبي الصلت : ربيعة بن وهب.

(٣) الأمم : القريب. أو لو أقاموا: أي بالحجاز لأنهم انتقلوا عنها حين ضاقت عن مسارحهم فصاروا إلى ريف العراق.

(٤) القط : ما قُط من الكاغد والرق ــ الكاغد : القرطاس، والرق : جلد رقيق يُكتب فيه. وما قط : أي ما قطع ــ ونحوه ؛ وذلك أن الكتابة كانت في تلك البلاد التي ساروا إليها وقد قيل لقريش : ممن تعلمتم القط ؟ فقالوا : تعلمناه من أهل الحيرة، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار ــ وانظر تاريخ الخط العربي ــ ط مكتبة الكليات الأزهرية.

بيتنا هذا البيت الذي تريد ــ يعنون اللات ــ إنما نريد البيت الذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه، فتجاوز عنهم.

اللات : واللات : بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة.

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة النحوي لضرار بن الخطاب الفِهْرِي :

وفَرَّت ثقيفٌ إلى لاتِها بمُنْقَلَب الخائبِ الخاسِرِ

وهذا البيت في أبيات له.

أبو رغال ورجم قبره : قال ابن إسحاق : فبعثوا معه أبا رغال يدلُّه على الطريق إلى مكة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المُغَمِّس[1]، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فرجمت قبرَه العربُ، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمِّس.

---

(١) المغمس : هكذا ألفيته في نسخة الشيخ أبي بحر المقيدة على أبي الوليد القاضي بفتح الميم الآخرة من المغَمَّس. وذكر البكري في كتاب المعجم أنه المُغَمِّس بكسر الميم الآخرة، وأنه أصح ما قيل فيه، وذكر أيضا أنه يُرْوَى بالفتح، فعلى رواية الكسر هو : مغمِّس مفَعِّل من غمست، كأنه اشتق من الغميس وهو الغمير، وهو النبات الأخضر الذي ينبت في الخريف تحت اليابس، يقال : غمس المكان وغمر إذا نبت فيه ذلك، وأما على رواية الفتح، فكأنه من غمست الشيء. إذا غطيته، وذلك أنه مكان مستور إما بهضاب وإما بعضاه ــ كل شجر له شوك ــ وإنما قلنا هذا ؛ لأن رسول الله ــ ﷺ ــ « إذا كان بمكة، كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمس » ــ وهو على ثلث فرسخ من مكة، وفي السنن لأبي داود أن رسول الله ــ ﷺ ــ « كان إذا أراد البراز أبعد » ولم يبين مقدار البُعد. وانظر الروض الأنف للسهيلي من تحقيقنا ــ أيضا : انظر كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري.

الأسْود بن مقصود يهاجم مكة : فلما نزل أبرهة المغَمَّس، بعث رجلا من الحبشة يقال له : الأسْوَد بن مقصود[1] على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموالَ تِهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمت قريش وكنانة وهُذَيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

رسول أبرهة إلى مكة : وبعث أبرهة حُناطة الحميريّ إلى مكة، وقال له : سَلْ عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له : إن الملك يقول لك : إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تتعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يُرِدْ حربي فأتني به ؛ فلما دخل حُناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم، فجاءه. فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم ــ عليه السلام ــ أو كما قال ــ فإن يمنعه منه، فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه، فوالله ما عندنا دَفْع عنه. فقال له حُناطة : فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

أُنَيْس يشفع لعبد المطلب : فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نَفْر، وكان له صديقا، حتى دخل عليه وهو في محبسه، فقال له: يا ذا نَفْر هل عندك من غَناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نَفْر : وما غَناء رجل أسير بيدَيْ ملك ينتظر أن يقتله

---

(١) وهو الأسود بن مقصود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة. ويقال فيه : عُلَة على وزن عمر ــ ابن خالد بن مذحج بعثه النجاشي مع الفيلة والجيش، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلا هلكت كلها إلا « محمود » فيل النجاشي لامتناعه عن التوجه إلى الكعبة ــ والله أعلم.

غُدوّاً أو عشياً ؟! ما عندنا غَناء في شيء مما نزل بك، إلا أن أُنَيْسا سائس الفيل صديق لي، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأُعْظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. فقال : حسبي. فبعث ذو نَفْر إلى أُنَيْس، فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب عِير مكة، يطعم الناس بالسَّهل، والوحوش في رءوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتيْ بعير، فاستأذن عليه، وانفعه عنده بما استطعت، فقال : أفعل.

فكلّم أُنَيْس أبرهةَ، فقال له : أيها الملك : هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة، وهو يُطعم الناس في السهل، والوحوش في رءوس الجبال، فأذنْ له عليك فيكلمْك في حاجته، قال : فأذن له أبرهة.

الإبل لي والبيت له رب يحميه : قال : وكان عبد المطلب أوسمَ[1] الناسِ وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجلَّه وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحتَه، وكره أن تراه الحبشةُ يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهةُ عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان. فقال :

---

(١) وروي : أوسم الناس وأجمله : ذكر سيبويه هذا الكلام محكيا عن العرب، ووجهه عندهم أنه محمول على المعنى، فكأنك قلت : أحسن رجل وأجمله، فأفرد لاسم المضمر التفاتا إلى هذا المعنى، وهو عندي محمول على الجنس، كأنه حين ذكر الناس قال : هو أجمل هذا الجنس من الخلق، وإنما عدلنا عن ذلك التقدير الأول، لأن في الحديث الصحيح : « خير نساء ركبن الإبل صوالح نساء قريش : أحناه على ولده في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده ». ولا يستقيم ههنا حمله على الإفراد، لأن المفرد ههنا امرأة، فلو نظر إلى واحد النساء لقال : أحناها على ولده، فإذاً التقدير : أحنى هذا الجنس الذي هو النساء، وهذا الصنف، ونحو هذا. ــ عن الروض الأنف من تحقيقنا.

حاجتي أن يرد عليَّ الملك مائتيْ بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهةُ لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتني حين رأيتُك، ثم زهدتُ فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتيْ بعير أصبتُها لك، وتترك بيتاً هو دينُك ودينُ آبائك قد جئتُ لهدمه، لا تكلمني فيه ؟! قال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربّاً سيمنعه، قال : ما كان ليمتنع مني، قال : أنت وذاك.

الوفد المرافق لعبد المطلب : وكان ــ فيما يزعمُ بعضُ أهل العلم ــ قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة، حين بعث إليه حُناطة، يَعْمَر بنُ نُفاثة بن عدي بن الدُّئل بن بكر بن مناة بن كنانة ــ وهو يومئذ سيد بني بكر ــ وخُوَيلد بن واثلة الهذلي ــ وهو يومئذ سيد هذيل ــ فعرضوا على أبرهة ثلثَ أموالِ تهامة، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم. والله أعلم أكان ذلك، أم لا. فردَّ أبرهةُ على عبد المطلب الإبلَ التي أصاب له.

قريش تستنصر الله على أبرهة : فلما انصرفوا عنه، انصرف عبد المطلب الى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرُّز[1] في شَعَفِ الجبال[2] والشِّعاب[3] تخوفا عليهم من مَعَرَّة[4] الجيش، ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلْقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنِده، فقال عبد المطلب وهو آخذٌ بحلقة باب الكعبة :

---

(١) التحرز : التمنع.

(٢) شعف الجبال : رءوسها.

(٣) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال.

(٤) معرة الجيش : شدته.

لاهُـمَّ إن العبـــدَ يمْـــــ ـنعُ رحلَـه فامنـــعْ حلالَكْ[1]
لا يَغْلِبَـــــنَّ صليبُهـــــم ومِحَالُهـــم غَدْواً مِحَـالَكْ[2]
إن كنتَ تاركَهـــم وقِبـــ ـلتنـــا فأمْـــرٌ مَا بَدَا لَكْ[3]

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها.

عكرمة بن عامر يدعو على الأسود : قال ابنُ إسحاق : وقال عِكْرمة بنُ عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَي :

لاهُـمَّ أخزِ الأسوَدَ بنَ مقصودْ الآخذَ الهجْمةَ فيها التقليـد[4]
بيـنَ حِراءَ وثبيـرٍ فالْبِيـــدْ يَحْبِسها وهي أُولاتُ التَّطْرِيدْ[5]
فضَمَّها إلـى طماطِـمٍ سودْ أَخْفِرْه يا ربِّ وأنت محمود[6]

---

(١) لاهمّ : أصلها : اللهم. والعرب تحذف منها الألف واللام. وكذلك تقول في : والله إنك : « لاهنك » وذلك لكثرة دوران هذا الاسم على الألسنة. بل قد قالوا فيما هو دونه في الاستعمال. « أجنك » أي « من أجل أنك ». والحلال في هذا البيت : الحلول في المكان والحلال مركب من مراكب النساء والحلال أيضا : متاع البيت وجائز أن يستعيره ههنا.

(٢) غدواً : غدا، والمحال : القوة والشدة.

(٣) روى السهيلي بعد هذا البيت بيتاً آخر هو :

وانصر علـى آلِ الصلـيبِ وعابديـــه اليـــومَ آلك

(٤) الهجمة : هو ما بين التسعين إلى المائة من الإبل، والمائة منها : هُنَيْد، والمائتان : هِند. والثلاثمائة أمامة. وأنشدوا :

تبيَّن رويدا ما أُمامة من هند

وكان اشتقاق الهجمة من الهجيمة، وهو الثخين من اللبن، لأنه لما كثر لبنها لكثرتها، لم يمزج بماء، وشُرب صرفا ثخينا، ويقال للقدح الذي يحلب فيه إذا كان كبيرا : هجْم. والتقليد : أي أن القلائد في أعناقها.

(٥) حراء وثبير : جبلان بالحجاز.

(٦) أَخْفِرْه : أي انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه، يقال : أخفرت الرجل، إذا نقضت عهده، وخفرته أُخْفره : إذا أجرته، فينبغي أن لا يضبط هذا إلا بقطع الهمزة وفتحها، لئلا يصير الدعاء عليه دعاء له.

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها، والطماطم : الأعلاج[1].

قال ابن إسحاق. ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال فتحرَّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

أبرهة يهاجم الكعبة : فلما أصبح أبرهة تهيَّأ لدخول مكة، وهيأ فيلَه، وعبَّى[2] جيشَه ــ وكان اسمُ الفيل محموداً ــ وأبرهة مُجْمِع لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجهوا الفيل إلى مكة، أقبل نُفَيل بن حبيب[3] حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذه بأذنه، فقال : ابركْ[4] محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه. فبرك الفيل، وخرج نُفَيْل بن حبيب يشتد حتى أَصْعَد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بالطَّبْرزين[5] ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجَن[6] لهم في مَرَاقِّه[7] فبزغوه[8] بها ليقوم فأبى،

---

(١) طماطم سود: يعني العلوج. ويقال لكل أعجمي كافر طمطمان، والأعلاج : جمع علج.

(٢) يقال : عبّى الجيش بغير همزة وعبَّأ المتاع بالهمزة، وقد حكي عبأت الجيش بالهمز وهو قليل.

(٣) وقيل هو نفيل بن عبد الله بن جَزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن جلف بن أفتل، وهو : خثعم، كذلك نسبه البرقي. ونفيل من المسمين بالنبات وهو تصغير نفل وهو نبت منبسط على الأرض. انظر كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري.

(٤) فبرك الفيل : فيه نظر ؛ لأن الفيل لا يبرك، فيحتمل أن يكون بروكه : سقوطه إلى الأرض، لما جاءه من أمر الله سبحانه، ويحتمل أن يكون فَعَل فِعْل البارك الذي يلزم موضعه، ولا يبرح، فعبر بالبروك عن ذلك، وقد سمعت من يقول : إن في الفيلة صنفاً منها يبرك كما يبرك الجمل، فإن صح وإلا فتأويله ما قدمناه. عن الروض الأنف من تحقيقنا.

(٥) الطبرزين : آلة من الحديد.

(٦) المحاجن : جمع محجن ــ عصا معوجَّة.

(٧) المراق : أسفل البطن.

(٨) بزغوه : أدموه.

فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك.

عقاب الله لأبرهة وجنده : فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبَلَسان [1] : مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعَدَس [2] لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، ــ وليس كلهم أصابت ــ وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نُفَيْل بن حَبيب، ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفَيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أين المفرُّ والإلــهُ الطــالبُ والأشرمُ المغلوبُ ليس الغالب

قال ابن هشام : قوله : « ليس الغالب » عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق : وقال نفيل أيضاً :

ألا حُيِّــيتِ عنــا يا رُدَيْنَــا نعمناكم مع الإصباحِ عينَــا [3]
رُدَيْنةُ لو رأيتِ ــ ولا تَرَيْه لذي جَنْب المُحصَّبِ ما رأينا
إذاً لعذرتِني وحمدْتِ أمري ولم تأسَيْ على ما فات بَيْنا [4]

---

(١) الخطاطيف والبلسان : نوعان من الطيور. وذكر النقاش أن الطير كانت أنيابها كأنياب السبع، وأكفها كأكف الكلاب.

(٢) في الشكل فقط وليس في المقدار إذ ذكر البرقي أن ابن عباس قال : أصغر الحجارة كرأس الإنسان، وكبارها كالإبل. وهذا الذي ذكره البرقي ذكره ابن إسحاق في رواية يونس عنه، وكانت قصة الفيل أول محرم من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين. عن الروض الأنف بتحقيقنا، الجزء الأول صحيفة ٧٣.

(٣) ردينا : اسم امرأة، كأنها سميت بتصغير ردنة وهي القطعة من الردن « الحرير » نعمناكم : أن نعمنا بكم.

(٤) فات بمعنى : فارق وبان. كأنه قال على ما فات فوتاً، أو بان بيناً.

حَمِدْتُ الله إذ أبصرتُ طيراً وخِفْتُ حجارةً تُلْقَى علينا
وكلّ القوم يسأل عن نُفَيل كأن عَلَيَّ للحُبْشانِ دَيْنا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلِكون بكلِّ مَهْلِك على كل مَنْهل، وأُصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أُنْملة أُنْملة[1] : كلما سقطت أُنْملة، أتْبعتها منه مِدَّة تَمُثُّ[2] قيحاً ودماً، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فَرْخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدرهُ عن قلبه، فيما يزعُمون.

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عُتبة أنه حُدِّث : أن أولَ ما رُؤيت الحصبةُ والجُدَرِي بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رُؤي بها مرائر الشجر[3] : الحرمل والحنظل والعُشَر[4] ذلك العام.

الله ــ جل جلاله ــ يذكر حادثة الفيل ويمتن على قريش :

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تعالى محمداً ــ ﷺ ــ كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدَهم في تضليل. وأرسلَ عليهم طيراً أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصفٍ مأكول** ﴾. وقال : ﴿ **لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا ربَّ هذا**

---

(١) الأنملة : طرف الإصبع، ولكن قد يعبر بها عن طرف غير الإصبع، أي ينتثر جسمه قطعة قطعة.

(٢) تَمُثُّ : تَمُث، وتَمِث بالكسر والضم ومعهما ترشح أو تسيل، يقال : فلان يمث كما يمث الزق.

(٣) مرائر الشجر : يقال شجرة مرة، ثم تجمع على مرائر.

(٤) العُشر : وهو شجر مر يحمل ثمراً كالأُتْرُجِّ، وليس فيه منتفع، ولبن العُشَر تعالج به الجلود قبل المدبغة.

البيت. الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف ». أي لئلا يغير شيئاً من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه.

تفسير مفردات سورتي الفيل وقريش : قال ابن هشام : الأبابيل الجماعات، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه[1] وأما السِّجِّيل، فأخبرني يونس النحوي وأبو عُبَيْدة أنه عند العرب : الشديد الصلب، قال رُؤْبة بن العَجَّاج :

ومسَّهم ما مسَّ أصحابَ الفيلْ ترميهمُ حجارةٌ من سِجِّيلْ
ولعبتْ طيرٌ بهم أبابيلْ

وهذه الأبيات في أرجوزة له.

ذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية، جعلتهما العرب كلمة واحدة، وإنما هو سَنْج وجِلّ يعني بالسنج : الحجر، وبالجل : الطين، يعني الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين. والعَصْف : ورق الزرع الذي لم يُقَصَّب، وواحدته عَصْفَة. قال : وأخبرني أبو عُبَيدة النحوي أنه يقال له العُصافة والعَصيفة. وأنشدني لعَلْقَمة بن عَبَدَة أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :

تَسقي مَذانبَ قد مالت عَصيفتُها حَدُورُها من أَتِيِّ الماءِ مَطْمومُ[2]

وهذا البيت في قصيدة له. وقال الراجز :

فَصُيِّروا مثلَ كعصْف مأكول

---

(١) ذكر ابن هشام أنها لا واحد لها من لفظها : وقال غيره : واحدها : إبالة، وأبول : وزاد ابن عزيز : وإبِّيل.

(٢) مذانب : مسايل، حدورها : ما انحدر منها، ويروى جدورها : أي الحواجز التي تحبس الماء. والأتي : الماء يأتي من بعيد. والمطموم : الماء المرتفع.

قال ابن هشام : ولهذا البيت تفسير في النحو[1].

وإيلاف قريش[2] : إلفهم الخروج إلى الشام في تجارتهم، وكانت لهم خَرْجتان : خَرْجة في الشتاء، وخَرْجة في الصيف. أخبرني أبو زيد الأنصاري : أن العرب تقول : ألفت الشيء إلْفا، وآلفته إيلافا، في معنى واحد : وأنشدني لذي الرُّمَّة :

من المؤْلِفات الرملَ أدماءُ حُرَّةٌ شُعاعُ الضُّحَى في لونِها يتوضَّحُ

وهذا البيت في قصيدة له. وقال مطرود بن كعب الخُزاعي :

المُنْعَمين إذا النجومُ تغيَّرت والظاعنين لرحلةِ الإيلاف

وهذا البيت في أبيات له، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى. والإيلاف أيضاً : أن يكون للإنسان ألفٌ من الإبل ؛ أو البقر، أو الغنم، أو غير ذلك. يقال : آلف فلان إيلافا. قال الكُمَيْت بن زيد، أحد بني أسد ابن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ :

---

(١) تفسيره : أن الكاف تكون حرف جر، وتكون اسماً بمعنى : مثل، وبذلك أنها حرف : وقوعها صلة للذي ؛ لأنك تقول : رأيت كزيد، ولو قلت : الذي مثل زيد لم يحسن، ويدلك أنها تكون اسما : دخول حرف الجر عليها. كقوله :

* ورحنا بكابن الماء بنفض رأسه *

ودخول الكاف عليها وأنشدوا :

وصاليات ككما يُؤَثْفَين

وإذا دخلت على مِثل، كقوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ فهي إذاً حرف، إذ لا يستقيم أن يقال : مثلُ مثلِه، وكذلك هي حرف في بيت رؤبة : « مثل كعصف » لكنها مقحمة لتأكيد التشبيه.

(٢) هو مصدر ألِفْتُ الشيء وآلَفْتُه فجعله من الإلف للشيء، وفيه تفسير آخر أليق، لأن السفر قطعة من العذاب، ولا تألفه النفس، إنما تألف الدعة والكينونة مع الأهل. انظر ذلك مفصلا في الروض الأنف للسهيلي بتحقيقنا جـ١ ص ٧٦.

بعـــامِ يقـــول له المؤْلِفـــو نَ هذا المُعيم لنـا المُرْجـــلُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له. والإيلاف أيضاً : أن يصير القوم ألفا، يقال : آلف القوم إيلافا. قال الكُمَيْت بن زيد :

وآل مُزيْقيـــاء غَدَاةَ لاقَـــوْا بنـي سَعْـدِ بْنِ ضَبَّـةَ مُؤْلفينـا

وهذا البيت في قصيدة له. والإيلاف أيضاً : أن تؤلف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلزمه، يقال : آلفته إياه إيلافا. والإيلاف أيضاً : أن تصيِّر ما دون الألف ألفاً، يقال : آلفته إيلافا.

مصير قائد الفيل وسائسه : قال ابنُ إسحاق : حدثني عبد الله ابن أبي بكر، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة، عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : « لقد رأيت قائد الفيل وسائسَه بمكة أعميين مُقْعَدَيْن يستطعمان الناس ».

ما قيل في قصة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق : فلما رد الله الحبشة عن مكة، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة، أعظمت العرب قريشا، وقالوا : هم أهل الله، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونةَ عدوِّهم، فقالوا في ذلك أشعاراً يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشةِ، وما ردَّ عن قريش من كيدِهم.

شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى : فقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى بن عدي بن

---

(١) المؤْلِفون : جمع مؤلف. والمؤلف صاحب الألف من الإبل والمُعِم بالميم : من العيمة أي : تجعل تلك السنة صاحب الألف من الإبل يعام « يشتاق ويشتهي » إلى اللبن. وتُرْجله : فيمشي راجلا، لعجف الدواب وهُزَالها.

قيس بن عدي بن سعيد[1] بن سهم بن عَمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤي بن غالب بن فِهْر :

تنكَّلوا عن بطنِ مكةَ إنهـا كانت قديما لا يُرامُ حريمُهـا
لم تخلق الشِّعْرى لَيَاليَ حُرِّمَتْ[2] إذ لا عزيزَ من الأنامِ يرومُها
سائلْ أميرَ الجيشِ عنها ما رأى ولسوفَ يُنْبِي الجاهلين عليمُها
ستونَ ألفا لم يَئُوبوا أرضَهم ولم يعشْ بعدَ الإياب سقيمُها
كانت بها عادٌ وجُرْهمُ قبلَهم واللهُ من فوقِ العبادِ يقيمُها

قال ابنُ إسحاق : يعني ابن الزِّبَعْرَى بقوله :

... بعد الإيابِ سقيمُها[3]

أبرهة، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه، حتى مات بصنعاء.

شعر ابن الأسْلَت : وقال أبو قَيْس بن الأَسْلَت الأنصاري ثم الْخَطميّ، واسمه : صَيْفيٌّ **قال ابن هشام** : أبو قيس : صَيْفيُّ بنُ الأَسْلَت

---

(١) نسب ابن إسحاق عبد الله بن الزِّبَعْري إلى عدي بن سُعيد بن سهم. وهو خطأ، والصواب، سَعْد بن سهم، وإنما سُعيد : أخو سعد، وهو في نسب عمرو بن العاص بن وائل.

(٢) إن كان ابن الزِّبَعْرى قال هذا في الإسلام فهو منتزع من قول النبي ــ ﷺ ــ « إن الله حرَّم مكة، ولم يحرمها الناس ». وإن كان ابن الزِّبَعْرى قال هذا في الجاهلية، فإنما أخذه ــ والله أعلم ــ من الكتاب الذي وجدوه في الحجر بالخط المسند ــ خط حمير ــ حين بنوا الكعبة.

(٣) وقوله : « ولم يعش بعد الإياب سقيمها » هكذا في النسخة المقيدة على أبي الوليد المقابلة بالأصلين اللذين كانا عنده، وقابلها أبو بحر ــ رحمه الله ــ بهما مرتين، وحسب بعضهم أنه كسر في البيت، فزاد من قبل نفسه فقال : بل لم يعيش فأفسد المعنى، وإنما هو خرم ــ من مصطلحات علماء العروض ــ في أول القسم من عجز البيت كما كان في الصدر من أول بيت منها عن الروض الأنف للسهيلي.

ابن جُشَم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عامر بن مُرة بن مالك بن الأوس :

ومن صُنْعِه يومَ فيلِ الحبُو ش إذ كلما بعثوه رَزَمْ[1]
محاجنُهم تحتَ أقرابِه وقد شَرَّموا أنفَه فانخرَمْ[2]
وقد جعلوا سَوْطَه مِغْوَلاً إذا يمَّمُوهُ قَفاه كُلِم[3]
فولَّى وأدبرَ أدراجَه وقد باءَ بالظلمِ من كان ثَمْ
فأرسلَ من فوقِهم حاصباً فلفَّهُمُ مثلَ لفِّ القُزُمْ[4]
تحُضُّ على الصبرِ أحبارُهم وقد ثأجُوا كثُؤَاجِ الغَنَمْ[5]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له. والقصيدة أيضاً تروى لأُمية بن أبي الصَّلْت[6].

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس بن الأسلت :

فقوموا فصلُّوا ربَّكم، وتمسَّحُوا بأركانِ هذا البيتِ بينَ الأَخاشبِ[7]
فعندكمُ منه بلاءٌ مُصَدَّقٌ غَدَاةَ أبى يَكْسُومَ هادى الكتائبِ
كتيبتُه بالسهلِ تُمْسى وَرَجْلُه على القاذفاتِ في رءوسِ المناقبِ[8]

---

(١) رَزَمَ : ثبت في مكانه ولزمه لا يبرحه.
(٢) المحاجن : جمع محجن. عصا معوجَّة. والأقراب : جمع قرب. الخصر : شرموا أنفه : شقوه.
(٣) المِغْول : سكين كبير. وكلم : جرح.
(٤) القُزُم : صغار الغنم، ويقال : رذال المال.
(٥) ثأج : صاح. وثؤاج الغنم : صوتها.
(٦) واسمه : ربيعة بن وهب بن علاج.
(٧) صلوا : ادعوا. والأخاشب : جبال مكة.
(٨) القاذفات : أعالي الجبال. والمناقب : الطرق في رءوس الجبال.

فلما أتاكم نصرُ ذي العرشِ ردَّهـمْ جنودُ المليكِ بينَ سافٍ وحاصبِ[1]
فولَّـوْا سراعـا هاربيـن ولـــم يؤبْ إلى أهْلِه مِلْحِـبْشِ غيـرُ عصائبِ[2]

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد الأنصاري قوله :

على القاذفاتِ في رءوسِ المناقبِ

وهذه الأبيات في قصيدة لأبي قيس، سأذكرها في موضعها إن شاء الله. وقوله : « غداةَ أبي يَكْسوم » يعني : أبرهة، كان يُكْنَى أبا يكسوم.

شعر طالب بن أبي طالب : قال ابن إسحاق : وقال طالب[3] بن أبي طالب بن عبد المطلب :

ألم تعلموا ما كان في حربِ داحسٍ وجيشِ أبي يَكْسُومَ إذ مَلئوا الشِّعْبا[4]
فلـولا دفـــاعُ اللهِ لا شيءَ غيـــرُه لأصبحتمْ لا تَمنعـون لكـم سَرَبـا[5]

قال ابن هشام. وهذان البيتان في قصيدة له في يوم بدر، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

شعر أبي الصلت الثقفي : قال ابن إسحاق : وقال أبو الصَّلْت[6] ابن أبي ربيعة الثَّقفي في شأن الفيل، ويذكر الحنِيفيَّة دينَ إبراهيم عليه السلام.

---

(١) ساف : الذي غطاه التراب. والحاصب : الذي أصيب بالحجارة.

(٢) ملحبش: أي من الحبش. والعصائب : الجماعات.

(٣) أكبر أولاد أبي طالب وهو أسن من عقيل بعشرة أعوام، وعقيل أسن من جعفر بعشرة أعوام وجعفر أسن من علي ــ رضي الله عنه ــ بعشرة أعوام. ولم يُذكر أنه أسلم.

(٤) داحس : الفرس الشهيرة التي كانت حرب داحس والغبراء بسببها. والشعب : الطريق في الجبل.

(٥) السَّرَب بفتح السين : المال الراعي، وبالكسر : القطيع من البقر والظِّباء، ومن النساء أيضا.

(٦) واسم أبي الصلت : ربيعة بن وهب بن علاج. كما تقدم ذكره.

قال ابن هشام : تروى لأمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي :

إن آياتِ ربِّنا ثَاقباتٌ لا يُمارِي فيهن إلا الكفورُ
خلقَ الليلَ والنهارَ فكلٌّ مستبينٌ حسابُه مقدورُ
ثم يجلو النهارَ ربٌّ رحيم بمَهاةٍ شُعاعُها منشورُ[1]
حُبِس الفيلُ بالمُغمَّس، حتى ظلَّ يحبو كأنه معقورُ
لازماً حَلْقةَ الجِرانِ كما قُطِّـ ـر من صخر كَبْكَب محدور[2]
حوله من ملوك كِندةَ أبطا لٌ ملاوِيث في الحروبِ صُقور
خَلَّفوه ثم ابذعَرُّوا جميعاً كلُّهم عظمُ ساقِه مكسورُ[3]
كلُّ دينٍ يومَ القيامةِ عندَ اللـ ـهِ إلا دينَ الحنيفةِ بورُ[4]

شعر الفرزدق : **قال ابن هشام** : وقال الفرزدق ــ واسمه همَّام ابن غالب أحد بني مُجَاشع بن دَارم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم ــ يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ويهجو الحجاجَ ابن يوسف، ويذكر الفيلَ وجيشه :

فلما طغى الحجاجُ حين طغى به غِنى قال: إني مُرْتقٌ في السلالمِ[5]

---

(١) المهاة : الشمس، سميت بذلك لصفائها، والمها من الأجسام : الصافي الذي يُرى باطنُه من ظاهره. والمها : البلّورة. والمهاة : الظبية. ومن أسماء الشمس : الغزالة إذا ارتفعت، فهذا في معنى المهاة. ومن أسمائها : البُتَيْراءُ، ومن أسمائها : حَناذِ، وبراح، والضّح، وذُكاء، والجارية، والبيضاء، وبُوح، ويقال : يوح بالياء، والشَّرق، والسراج.

(٢) الجران : العنق، يريد ألقى بجرانه إلى الأرض. وقُطِّر : رمى على قطره وهو الجانب. وكَبْكَب : اسم جبل. والمحدور : الحجر الذي حُدر من جبل حتى بلغ الأرض.

(٣) ابذعرُّوا : تفرقوا من ذُعر، وهي كلمة منحوتة من أصلين من البذر والذعر.

(٤) الحنيفة : الأمة الحنيفة، أي : المسلمة التي على دين إبراهيم الحنيف ــ ﷺ ــ وذلك أنه حنف عن اليهودية والنصرانية، أي : عدل عنهما. فسمي حنيفاً. أو حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه.

(٥) غِنَى : أي استغناء.

فكان كما قال ابنُ نوح: سأرتقي إلى جبلٍ من خَشْيةِ الماءِ عاصمِ[1]
رمى اللهُ في جثمانِه مثلَ ما رمى عن القبلةِ البيضاءِ ذاتِ المحارمِ
جنوداً تسوق الفيلَ حتى أعادهم هَباءً، وكانوا مُطْرَخِمي الطَّراخم[2]
نُصِرْتَ كنصرِ البيتِ إذ ساق فيلَه إليه عظيمُ المشركين الأعاجم

وهذه الأبيات في قصيدة له.

شعر ابن قيس الرقيات[3] : **قال ابن هشام** : وقال عبدُ الله بن قَيْس الرقيَّات. أحدُ بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر أبرهةَ ــ وهو الأشرم ــ والفيل :

كاده الأشرمُ الذي جاء بالفيـ ـلِ فولَّى وجيشُه مهزومُ
واستَهلَّتْ عليهمُ الطيرَ بالجَنْـ ـدَلِ حتى كأنه مَرْجومُ[4]
ذاك من يَغْزُهُ من الناسِ يَرجعْ، وهو فَلٌّ من الجيوشِ ذميمُ[5]

---

(١) ابن نوح : واسمه : يام. وقيل كنعان.

(٢) المطرخم : الممتلئ كبراً أو غضباً. والطرخم جمع : مُطِرخم على قياس الجمع، فإن المطرخم اسم من ستة أحرف، فيحذف منه في الجمع والتصغير ما فيه من الزوائد، يقال في تصغير مطرخم : طُريخِم وفي جمعه : طراخم.

(٣) اختلف في تلقيبه : قيس الرقيات، فقيل : كان له ثلاث جدات كلهن : رقية، فمن قال فيه : ابن الرقيات، فإنه نسبه إلى جداته، ومن قال : قيس الرقيات دون ذكر ابن، فإنه نِسبة، وقيل : بل شبب بثلاث نسوة كلهن تسمى : رقية، وقيل : بل ببيت قاله وهو :

* رقية ما رقية ما رقيه أيها الرجل *

(٤) قوله : « حتى كأنه مرجوم » وهو قد رُجم، فكيف شبهه بالمرجوم وهو مرجوم بالحجارة، وهل يجوز أن يقال في مقتول : كأنه مقتول ؟ فنقول : لما ذكر استهلال الطير، وجعلها كالسحاب يستهل بالمطر، والمطر ليس برجم، وإنما الرجم بالأكف ونحوها، شبه بالمرجوم الذي يرجمه الآدميون، أو من يعقل ويتعمد الرجم من عدو ونحوه، فعند ذلك يكون المقتول بالحجارة مرجوما على الحقيقة، ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك، وإنما أمطروا حجارة فمن ثم قال : كأنه مرجوم. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ٨١.

(٥) الفَلُّ : المنهزم.

وهذه الأبيات في قصيدة له.

ولدا أبرهة : قال ابن إسحاق : فلما هلك أبرهة، ملك الحبشَةَ ابنُهُ يكسومُ بنُ أبرهة، وبه كان يُكْنَى، فلما هلك يكسومُ بن أبرهة، ملك اليمَن في الحبشة أخوه مسروقُ بن أبرهة.

خروج سيف بن ذي يزن ومُلك وهرز على اليمن

سيف يشكو لقيصر : فلما طال البلاءُ على أهل اليمن، خرج سيفُ بن ذي يَزن الحميريُّ[1] وكان يُكْنَى بأبي مُرَّة، حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأله أن يخرجهم عنه، وَيلِيَهم هو، ويبعث إليهم من شاء من الروم، فيكون له ملك اليمن، فلم يُشْكِه.[2]

النعمان يتشفع لسيف عند كسرى : فخرج حتى أتى النعمانَ بنَ المنذِر[3] وهو عامل كسرى[4] على الحِيرة، وما يليها من أرض العراق ــ فشكا إليه أمر الحبشة، فقال له النعمان : إن لي على كسرى وِفادةً في كلِّ عام، فأقمْ حتى يكونَ ذلك، ففعل، ثم خرج معه فأدخله على كسرى، وكان كسرى يجلس في إيوان مجلِسه الذي فيه تاجُه، وكان

---

(١) وهو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن ابن الهميسع بن العرنجج وهو : حِمْير بن سبأ.

(٢) أي لم يُزِلْ شكواه

(٣) النعمان : اسم منقول من النعمان الذي هو الدم.

(٤) وكسرى هذا هو : أنو شروان بن هباذ، ومعناه مُجدد الملك، لأنه جمع مُلك فارس بعد شتات.

تاجه مثل الْقَنْقَل العظيم[1] ــ فيما يزعمُون ــ يُضرَبُ فيه الياقوتُ واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة، معلقا بسلسلةٍ من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك، وكانت عنقُه لا تحمل تاجَه، إنما يُستَر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك، ثم يُدْخِل رأسَه في تاجِه، فإذا استوى في مجلسه كُشفت عنه الثيابُ، فلا يراه رجلٌ لم يره قبلَ ذلك، إلا برك هَيبةً له، فلما دخل عليه سيفُ بن ذي يزن برك.

معاونة كسرى لسيف : قال ابن هشام : حدثني أبو عُبيدة : أن سيفا لما دخل عليه طأطأ رأسه، فقال الملك : إن هذا الأحمقُ يدخل عليَّ من هذا الباب الطويل، ثم يطأطئ رأسه ؟! فقيل ذلك لسيف، فقال : إنما فعلت هذا لهمِّي، لأنه يضيقُ عنه كلُّ شيء.

قال ابن إسحاق : ثم قال له : أيها الملك، غَلَبَتْنا على بلادِنا الأغربةُ. فقال له كسرى : أي الأغربة : الحبشة أم السند ؟ فقال : بل الحبشة، فجئتك لتنصرني، ويكون مُلك بلادي لك، قال : بَعُدَتْ بلادُك مع قلة خيرِها، فلم أكن لأورِّط جيشا من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وافٍ، وكساه كسوةً حسنة، فلما

---

(١) القَنْقَل الذي شبه به التاج هو مكيال عظيم. قال الراجز يصف الكمأة :

ما لك لا تجرفهـــا بالقنقـــل لا خير في الكمأة إن لم تفعـــل

وفي الغريبين للهروي : القنقل : مكيال يسع ثلاثة وثلاثين مَنّاً، والمنّ وزن رطلين، وهذا التاج قد أُتي به عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ حين استلب من يزدجرد بن شهريار، تصيَّر إليه من قبل جده أنوشروان المذكور، فلما أُتي به عمر ــ رضي الله عنه ــ دعا سراقة بن مالك المُدْلِجي، فحلَّاه بأسورة كسرى، وجعل التاج على رأسه، وقال له : « قل : الحمد لله الذي نزع تاج كسرى، ملك الأملاك من رأسه، ووضعه في رأس أعرابي من بني مُدْلج، وذلك بعز الإسلام وبركته لا بقوتنا » وإنما خص عُمر سُراقة بهذا ؛ لأن رسول الله ــ ﷺ ــ كان قال له : « يا سراقُ كيف بك إذا وضع تاج كسرى على رأسك وإسواره في يديك » أو كما قال : ــ ﷺ.

قبض ذلك منه سيف خرج ؛ فجعل ينثر ذلك الوَرِقَ للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال : إن لهذا لشأنا، ثم بعث إليه، فقال : عمدت إلى حباء الملك تَنثُره للناس، فقال : وما أصنعُ بهذا ؟ ما جبالُ أرضي التي جئتُ منها إلا ذهبٌ وفضةٌ ــ يرغِّبه فيها ــ فجمع كسرى مَرَازِبته[1]، فقال لهم : ماذا تَرَوْن في أمر هذا الرجل، وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك، إن في سجونك رجالا قد حبستَهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يَهْلِكوا كان ذلك الذي أردت بهم، وإن ظفروا كان مُلكاً ازدَدْتُه، فبعث معه كسرى من كان في سجونه، وكانوا ثمانمائةَ رجلٍ.

انتصار سيف : واستعمل عليهم رجلا يقال له وَهْرِز، وكان ذا سِنٍّ فيهم، وأفضلهم حسبا وبيتا، فخرجوا في ثمانِ سفائن، فغرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل عدن ستُّ سفائن[2]، فجمع سيف إلى وَهْرِز من استطاع من قومه، وقال له : رِجْلي مع رِجْلك حتى نموت جميعاً، أو نظفر جميعاً. قال له وَهْرِز : أنصفتَ. وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن، وجمع إليه جنده، فأرسل إليهم وَهْرِز ابنا له ؛ ليقاتلهم، فيختبر قتالهم، فقُتل ابنُ وَهْرِز ؛ فزاده ذلك حنقاً عليهم، فلما توافق الناس على مَصَافِّهم، قال وَهْرِز : أروني ملكَهم، فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقداً تاجَه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء ؟ قال : نعم، قالوا : ذاك مَلِكُهم، فقال : اتركوه، قال : فوقفوا طويلا، ثم قال : علامَ هو ؟ قالوا : قد تحول على الفرس، قال : اتركوه. فوقفوا طويلا، ثم قال : علامَ هو ؟ قالوا : قد تحول على البغلة. قال وهرز : بنتُ الحمار ؟! ذُلَّ وذُلَّ مُلْكُه، إني سأرميه، فإن رأيتم أصحابَه لم يتحركوا، فاثبتوا حتى

---

(١) مرازبته : وزراؤه.

(٢) ذكر قدوم سيف مع وهرز على صنعاء في ستمائة، وقد قدمنا قول ابن قتيبة أنهم كانوا سبعة آلاف وخمسمائة، وانضافت إليهم قبائل من العرب.

أوذِنَكم، فإني قد أخطأت الرجلَ، وإن رأيتم القومَ قد استداروا ولاثوا به، فقد أصبتُ الرجل، فاحملوا عليهم. ثم وتَّرَ قوْسَه، وكانت فيما يزعمون لا يُوترها غيرُه من شدتها، وأمر بحاجبيه، فعُصبا له، ثم رماه، فصك الياقوتةَ التي بين عينيه، فتغلغلت النُشَّابةُ في رأسه حتى خرجت من قفاه، ونُكِس عن دابته، واستدارت الحبشةُ ولاثتْ به، وحملت عليهم الفرسُ، وانهزموا، فقُتلوا وهَربوا في كل وجهٍ، وأقبل وَهْرِز، ليدخل صنعاء[1]، حتى إذا أتى بابها، قال : لا تدخل رايتي منكسة أبداً، اهدموا البابَ، فهُدم، ثم دخلها ناصبا رايته.

شعر سيف بن ذي يزن في هذه القصة : فقال سيف بن ذي يزن الحميري :

---

(١) وإنما كانت تسمى قبل ذلك أوال بفتح الهمزة وكسرها.

قال ابن الكلبي : وسميت : صنعاء لقول وهرز حين دخلها. صنْعَة صنعة، يريد أن الحبشة أحكمت صنعها، قال ابن مقبل يذكر أوال :

عهد الحداة بها لعارض قرية ... وكأنها سفن بسيف أوال

والعارضة هنا : ما اعترض في الأفق من سحاب.

وقال جرير :

وشبهت الحدوج غداة قوٍّ ... سفين الهند روح من أوالا

والحدوج : هنا بمعنى مراكب للنساء كالمحفة وقوّ : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة، ويقال إنها واد بين اليمامة وهجر.

وقال الأخطل :

خوص كأن شكيمهن معلَّق ... بقنا ردينة، أو جذوع أوال

والخوص هنا بمعنى الخيول الغائرة العيون من طول السفر، والشكيم : جمع شكيمة : حديدة اللجام المعترضة من فم الفرس. قنا : رماح. وردينة : قرية تصنع فيها الرماح.

وقد قيل إن صنعاء اسم الذي بناها، وهو : صنعاء بن أوال بن عيبر بن عابر بن شالخ، فكانت تعرف تارة بأوال، وتارة بصنعاء.

يظـــنُّ النـــاسُ بالْمَلكيـــْ ـنِ أنهمـــا قد التأمـــا[1]

ومـــن يسمـــعْ بلأمهمـــا فإن الخـــطبَ قد فقمـــا[2]

قتلنـــا القَيْـــل مسروقـــاً وروَّينـــا الكثـــيبَ دَمَـــا[3]

وإن القَيْـــل قَيْـــل النـــا س وَهْـــرِزَ مُقْسِمٌ قَسَمَـــا

يذوق مُشَعْشَعـــاً حتـــى يُفـــيء السبـــيُ والنَّعَمـــا[4]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في أبيات له. وأنشدني خلاد بن قُرة السَّدُوسي آخرَها بيتاً لأعْشَى بني قَيْس بن ثعلبة في قصيدة له، وغيرُه من أهل العلم بالشعر يُنْكِرها له.

شعر أبي الصلت : قال ابن إسحاق، وقال أبو الصَّلْت بن أبي ربيعة الثَّقفيُّ :

قال ابن هشام : وتُروى لأميَّة بْن أبي الصَّلْت.

ليطلب الوِتْر أمثالُ ابن ذي يزن رَيَّمَ في البحر للأعداءِ أحوالَا[5]

---

(١) التأما : اصطلحا.

(٢) فقم : ازداد واشتدّ.

(٣) القَيْل : الملك.

(٤) المشعشع : الخمر الممزوجة بالماء.

(٥) ريَّم في البحر : أي : أقام فيه، ومنه الروايم، وهي الأثافي، كذلك وجدته في حاشية الشيخ التي عارضها بكتابي « أبي الوليد الوقشي »، وهو عندي غلط، لأن الروايم من رأمت إذا عطفت، وريم ليس من رأم، وإنما هو من الريم، وهو الدرج، أو من الريم الذي هو الزيادة والفضل، أو من رأم يريم إذا برح، كأنه يريد : غاب زمانا وأحوالا، ثم رجع للأعداء، وارتقى في درجات المجد أحوالا إن كان من الريم الذي هو الدرج، ووجدته في غير هذا الكتاب : خيم مكان ريم، فهذا معناه : أقام. عن الروض الأنف بتحقيقنا جـ١، ص ٨٤.

يمَّمَ قَيْصَرَ لمـــا حان رحلتـــهُ فلم يجدْ عندَه بعضَ الذي سالَا
ثم انثنى نحوَ كِسرى بعدَ عاشرةٍ من السنين يُهين النفسَ والمالَا
حتى أتى ببني الأحرارِ يحملهم إنَّك عَمْرِي لقد أسرعتَ قِلْقَالَا[1]
للهِ دَرُّهُـمُ من عُصبـةٍ خرجـوا ما إن أرى لهم في الناسِ أمثالاَ
بِيضاً مَرَازِبـــةً، غُلْبـــاً أساورةً أُسداً تُربِّب في الغَيْضاتِ أشبالَا[2]
يَرمون عن شُدُفٍ كأنها غُبُـطٌ بِزَمْخَر يُعْجل المرمِيَّ إعجالا[3]
أرْسَلْتَ أُسْداً على سودِ الكلاب فقد أضحَى شريدُهُمُ في الأرضِ فُلَّالَا
فاشربْ هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً في رأس غُمدَانَ داراً منك مِحْلالاَ[4]
واشربْ هنيئا فقد شالتْ نعامتُهم وأسبِل اليومَ في بُرْسَيْكَ إسْبالاَ[5]
تلك المكارمُ لا قَعْبان من لبنٍ شِيبـا بمـاءٍ فعـادَا بعـدُ أبـوالَا

---

(١) عمري. أراد : لعمري وقد قال الطائي :

عمـري لقـد نصح الزمـانُ، وإنـــه لمـــن العجـــائب ناصح لا يشفـــق

وقوله : أسرعت قلقالا بفتح القاف وكسرها، وكقول الآخر : « وقلقل يبغي العز كل مقلقل » وهي شدة الحركة.

(٢) غُلْباً : شداداً. والأساورة : الرماة، والغيضات : جمع غيضة الشجر الكثير الملتف.

(٣) « يرمون عن شدف كأنها غبط » الشُّدَف : الشخص، ويجمع على شُدُف، ولم يرد هنا إلا القسي، وليس شدف جمعاً لشدف، وإنما هو جمع شدوف، وهو النشيط المرح يقال : شدف فهو شدف، ثم تقول : شدوف، كما نقول مروح، وقد يستعار المرح والنشاط للقسي لحسن تأتيها وجودة رميها وإصابتها، فيرمون عن شدف أي : يدفعون عنها بالرمي، ويكون الزمخر : القسي، أو النبل، والغبط : الهوادج، والزمخر : القصب الفارسي.

(٤) غمدان أسسه : يعرب بن قحطان، وأكمله بعده، واحتله : وائل بن حمير بن سبأ، وكان ملكا متوجا كأبيه وجده.

(٥) شالت نعامتهم : أي هلكوا، والنعامة : باطن القدم، وشالت : ارتفعت، ومن هلك ارتفعت رجلاه، وانتكس رأسه، فظهرت نعامة قدمه تقول العرب : تنعمت إذا مشيت حافياً، قال الشاعر :

تنعـمت لمـا جاءنـــي سوء فعلهـــم ألا إنمـــا البـــأساء للمتنعـــم =

قال ابن هشام : هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها، إلا آخرها بيتاً قوله :

تلك المكارمُ لا قَعْبانَ من لبن

فإنه للنابغة الجعدي. واسمه : حِبَّان بن عبد الله بن قَيْس[1]، أحد بني جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بَكر بن هوازن، في قصيدة له.

شعر عدي بن زيد : قال ابن إسحاق : وقال عدي بن زيد الحيري، وكان أحد بني تميم. **قال ابن هشام** : ثم أحد بني امرئ القيس بن زَيد مناة بن تميم، ويقال : عدَي من العباد من أهل الحيرة[2] :

ما بعدَ صنعاءَ كان يَعْمُرها ولاةُ مُلك جَزْلٍ مواهبُها
رفَّعها مَنْ بَنَى لدى قَزَع المُزْ نِ وتَنْدَى مِسْكا مَحاربُها[3]

= والنعامة أيضاً : الظلمة، والنعامة : الدِّعامة التي تكون عليها البكرة، والنعامة : الجماعة من الناس، وابن النعامة : عرق في بطن القدم.

(١) ويروى أن اسمه : قيس بن عبد الله، وقيل إن اسمه : حبان بن قيس بن عبد الله بن وحوح، والوحوح في اللغة : وسط الوادي، قاله أبو عبيد وأبو حنيفة الدينوري، وهو أحد النوابغ وهم ثمانية ذكرهم البكري. والنابغة شاعر معمر عاش مائتين وأربعين سنة أكثرها في الجاهلية وقدومه على رسول الله ــ ﷺ ــ وإنشاده إياه، ودعاء النبي ــ ﷺ ــ ألا يفض الله فاه، مشهور.

(٢) العبادي، نُسب إلى العباد، وهم من عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة، قيل : إنهم انتسلوا من أربعة : عبد المسيح، وعبد كُلال، وعبدالله، وعبد ياليل، وكذلك سائرهم في اسم كل واحد منهم : عبد، وكانوا قدموا على ملك فتسموا له، فقال : أنتم العِبَاد فسُموا بذلك، وقد قيل غير هذا. وفي الحديث المسند : أبعد الناس عن الإسلام الروم والعباد، وأحسبهم هؤلاء ؛ لأنهم تنصروا، وهم من ربيعة، ثم من بني عبد القيس، والله أعلم. والذي ذكره الطبري في نسب عدي بن زيد أنه ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عُصَيَة بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم. وقد دخل بنو امرئ القيس بن زيد مناة في العباد. فلذلك ينسب عدي إليهم.

(٣) قزع المزن : السحاب المتفرق.

مَحفوفةٌ بالجبالِ دونَ عُرَى الْـ ـكائدِ ما تُرْتَقى غواربُها[1]
يأنسُ فيها صوتُ النُّهامِ إذا جاوبَها بالعشيِّ قاصِبُها[2]
ساقت إليه الأسبابُ جندَ بني الـ ـأحرارِ فرسانُها مواكبُها
وفُوِّزت بالبغالِ تُوسَقُ بالـ ـحَتْفِ وتَسْعَى بها توالبُها[3]
حتى رآها الأقْوالُ من طرفِ المَنْـ ـقَلِ مُخْضَرَّة كتائبُها[4]
يوم يُنادون آل بَرْبر والْيَكْسوم لا يُفْلَحنَّ هاربُها[5]
وكان يوم باقي الحديث وزا لت إمَّةٌ ثابت مراتبُها[6]
وبُدِّل الفَيْج بالزرافةِ والأيـ ـم جُونٌ جَمٌّ عجائبُها[7]
بعدَ بني تُبَّع نَخاوِرة قد اطمأنَّت بها مرازُبها[8]

---

(١) دون عرى الكائد، يريد : عرى السماء وأسبابها، ووقع في نسخة الشيخ : عرى بفتح العين، وهي الناحية، وأضافها إلى الكائد، وهو الذي كادهم، والباري ــ سبحانه وتعالى ــ كيده متين (وانظر الروض الأنف من تحقيقنا)

(٢) قوله : صوت النهام، يريد ذكر البوم، وقاصبها : الذي يزمر في القصب.

(٣) فَوّزَت بالبغال أي : ركبت المفاوز ــ الصحارى ــ. تُوسق بالحتف، أي : أوسق البغال الحتوف، وتوالبها : جمع تولب، وهو ولد الحمار، والتاء في تولب بدل من واو ، كما هي في تَوْءم وتَوْلج وفي توراة على أحد القولين، لأن اشتقاق التولب من الوالبة، وهي ما يولده الزرع، وجمعه : أوالب.

(٤) من طرف المَنْقَل : أي : أي من من أعالي حصونها، والمنقال : الخِرْج ينقل إلى الملوك من قرية إلى قرية، فكأن المنقل من هذا، والله أعلم. وقوله : مخضرة كتائبها. يعني من الحديد، ومنه الكتيبة الخضراء. ذلك أن الحديد عندما يصدأ يظهر فيه شبه الخضار.

(٥) ينادون آل بربر ؛ لأن البربر والحبشة من ولد حام. وقد قيل إنهم من ولد جالوت من العماليق. وقد قيل في جالوت إنه من الخزر، وإن أفريقس لما خرج من أرض كنعان سمع لهم بربرة، وهي اختلاط الأصوات، فقال: ما أكثر بربرتهم ! فسُمُّوا بذلك، وقيل غير هذا.

(٦) الإمة : النعمة.

(٧) الفيج : وهو المنفرد في مشيته، والزرافة : الجماعة من الناس وقيل في الزرافة التي هي الحيوان.

(٨) النخاورة : وهم الكرام. والمرازبة : الوزراء.

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له، وأنشدني أبو زيد الأنصاري، ورواه لي عن المفضَّل الضبي، قوله :

يوم ينادون آل بربر واليكسوم.. الخ.

وهذا الذي عنى سَطيح بقوله : « يليه إرم ذي يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحداً منهم باليمن ». والذي عنى شق بقوله : « غلام ليس بِدَنيٍّ ولا مُدَنْ، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَنْ ».

ذكر ما انتهى إليه أمر الفُرس باليمن

مدة مكث الحبشة باليمن : قال ابن إسحاق : فأقام وَهْرِز والفرس باليمن، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس : الأبناء الذين باليمن اليوم. وكان مُلْك الحبشة باليمن، فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت من الحبشة، اثنتين وسبعين سنة، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط، ثم أبرهة، ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة.

أمراء الفرس باليمن : قال ابن هشام : ثم مات وَهْرِز، فأمَّر كسرى[1] ابنه المرْزُبان بن وهرز على اليمن، ثم مات المرْزُبان، فأمَّر

(١) كسرى هذا هو : أبرويز بن هرمز بن أنو شروان، ومعنى أبرويز بالعربية : المظفَّر، وهو الذي غلب الروم حين أنزل الله : ﴿ **ألم. غُلبت الروم في أدنى الأرض** ﴾ وهو الذي عُرض على الله في المنام، فقال له : سلِّم ما في يديك إلى صاحب الهراوة، فلم يزل مذعوراً من تلك، حتى كتب إليه النعمان بن المنذر بظهور النبي ــ ﷺ ــ بتهامة ؛ فعلم أن الأمر سيصير إليه حتى كان من أمره ما كان، وهو الذي كتب إليه النبي ــ ﷺ ــ وحفيده : يزدجرد بن شهريار بن أبرويز، وهو آخر ملوك الفرس، وكان سُلب ملكه، وهُدم سلطانه على يديْ عمر بن الخطاب، ثم قُتل هو في أول خلافة عثمان، وجد مستخفياً في رحى فقتل وطرح في قناة الرحى، وذلك بمرو من أرض فارس.

كسرى ابنه التَّيْنُجان بن المرزبان على اليمن، ثم مات التَّيْنُجان، فأمَّر كسرى بن التينجان على اليمن، ثم عزله وأمَّر باذان، فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمداً النبي ــ ﷺ.

محمد (ﷺ) يتنبأ بموت كسرى : فبلغني عن الزهري أنه قال :

كتب كسرى إلى باذان : أنه بلغني أن رجلا من قُريش خرج بمكة، يزعُم أنه نبي. فَسِرْ إليه فَاسْتَتِبْهُ، فإن تاب، وإلا فابعث إليَّ برأسه، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله ــ ﷺ ــ فكتب إليه رسول الله ــ ﷺ : « إن الله قد وعدني أن يُقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا »[1] فلما أتى باذانَ الكتابُ توقف لينظر، وقال : إن كان نبياً، فسيكون ما قال، فقتلَ اللهُ كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام : قُتل على يدَيْ ابنه شَيْرَويه، وقال خالد بن حِقٍّ الشيبانيُّ :

وكسرى إذ تَقَسَّمــه بنـــوه بأسيافٍ كما اقتُسِم اللَّحامُ[2]

---

(١) وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة، وأسلم باذان باليمن في سنة عشر، وفيها بعث رسول الله ــ ﷺ ــ إلى أبناء الفرس الذين استوطنوا اليمن يدعوهم إلى الإسلام، فمن الأبناء : وهب بن مُنَبِّه بن سَيْج ابن ذُكبار، وطاووس وذادَوَيْه وفيروز اللذان قتلا الأسود العنسي الكذاب، وقد قيل في طاووس : إنه ليس من الأبناء، وإنه من حمير، وقد قيل : من فارس، واسمه : ذكوان بن كيسان، وهو مولى بحير بن ريسان ؛ وقد قيل : مولَى الجَعْد، وكان يقال له طاووس القُراء لجماله.

(٢) وقول ابن حق الشيباني : وكسرى إذ تقسمه بنوه. وإنما كان قتله على يد ابنه شيرويه، لكن ذكر بنيه لأن بدء الشر بينه وبينهم أن ابنه فرخان رأى في النوم : أنه قاعد على سرير الملك في موضع أبيه، فبلغ أباه ذلك، فكتب إلى ابنه شهريار ــ وكان والياً له على بعض البلاد : أن اقتل أخاك فرخان، فأخفى شهريار الكتاب من أخيه، فكتب إليه مرة أخرى، =

تمخضتِ المنـــونُ له بيـــومٍ أنـى، ولكـلِّ حاملـــةٍ تمـــام[1]

إسلام باذان : قال الزهري : فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه، وإسلام من معه من الفُرس إلى رسول الله ــ ﷺ ــ فقالت الرسلُ من الفرس لرسول الله ــ ﷺ ــ إلى من نحن يا رسول الله ؟ قال : « أنتم منا وإلينا أهلَ البيت ».

قال ابن هشام : فبلغني عن الزهريِّ أنه قال : فمن ثَمَّ قال رسول الله ــ ﷺ : « سَلْمانُ منا أهل البيت ».

قال ابن هشام : فهو الذي عنى سطيح بقوله : « نبيّ زكي، يأتيه الوحي من قبل العليّ »، والذي عنى شق بقوله : « بل ينقطع برسول مُرْسَل، يأتي بالحق والعدل، من أهل الدين والفضل، يكون المُلك في قومه إلى يوم الفصْل ».

كتاب الحجر الذي في اليمن : قال ابن إسحاق : وكان في حَجَر باليمن ــ فيما يزعُمون ــ كتاب بالزَّبور كُتب في الزمان الأول :

= فأبى من ذلك، فعزله وولى فرخان، وأمره بقتل شهريار، فعزم على ذلك، فآراه شهريار الكتاب الذي كتب له أبوه فيه. فتواطئا عند ذلك على القيام على أبيهما، وأرسلا إلى ملك الروم يستعينان به في خبر طويل، فكان هذا بدء الشر، ثم إن الفرس خلعت كسرى لأحداث أحدثها، وولت ابنه شيرويه، فكان كسرى أبرويز ربما أشار برأي من محبسه، فقالت المرازبة لشيرويه : لا يستقيم لك الملك إلا أن تقتل أباك، فأرسل إليه من يقتله.

(١) وتمخضت أي : حملت، والمخاض : الحمل، ووزنه : فَعال، ومخاضة الماء. ومخاضة وزنه : مفعل من الخوض.

والمنون : المنية، وهو أيضا من أسماء الدهر، وهو من مننت الحبل إذا قطعته.

وأنَى : أي حان. وقد قلبوه، فقالوا : آن يئين، والدليل على أن آن يئين مقلوب من : أنى يَأْنِي قوله : آناء الليل. انظر الروض الأنف من تحقيقنا جـ١، ص ٨٩.

« لمن مُلك ذِمَار[1] ؟ لِحمْير الأخيار[2]، ولمن ملك ذِمار ؟ للحبشة الأشرار[3]، لمن ملك ذِمار ؟ لفارس الأحرار[4]، لمن ملك ذِمار ؟ لقريش التجَّار ».

وذِمار : اليمن أو صنعاء.

قال ابن هشام. ذَمار : بالفتح، فيما أخبرني يونس.

الأعشى يذكر نبوءة شق وسطيح : قال ابن إسحاق : وقال الأعشى ــ أعشى بني قيس بن ثعلبة في وقوع ما قال سطيح وصاحبه :

ما نظرتْ ذاتُ أشفارٍ[5] كنظرتها حقًّا كما صدقَ الذئبيُّ إذ سجعا

---

(١) حكى ابن هشام عن يونس ذَمار بفتح الذال، فدل على أن رواية ابن إسحاق بالكسر، فإذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف ؛ لأنه اسم لمدينة، والغالب عليه التأنيث، ويجوز صرفه أيضاً ؛ لأنه اسم بلد، وإذا فتحت الذال، فهو مبني مثل : رَقاش وحَذام... وذمار : من ذمرت الرجل إذا حَرَّضْتُه على الحرب.

(٢) وقوله : لحمير الأخيار ؛ لأنهم كانوا أهل دين، كما تقدم في حديث فيميون وابن الثامر.

(٣) وأما قوله للحبشة الأشرار : فلما أحدثوا في اليمن من العيث والفساد وإخراب البلاد، حتى هموا بهدم بيت الله الحرام، وسيهدمونه في آخر الزمان إذا رَفع القرآن ؛ وذهب من الصدور الإيمان. يشير بذلك إلى حديث : « اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة ». وقد رواه أبو داود بسند ضعيف. وانظر فهارس فتح الباري المسماة مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري من تحقيقنا.

(٤) وقوله : لفارس الأحرار ؛ فلأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت في زعمهم إلى أن جاء الإسلام، لم يدينوا لملك من غيرهم، ولا أدوا الإتاوة لذي سلطان.

(٥) يريد : زرقاء اليمامة، وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام، وقبل البيت :

قالت : أرى رجلاً في كفِّه كَتِف أو يخصف النعل لهفي أيّة صنعا
فكذبوها بما قالت، فصبَّحهم ذو آل حسان يُزجِي الموتَ والسَّلعا

وفي البيتين : يخصف النعل : يصلحها. والسلع : شجر مر ينبت باليمن.

وكان جيش حسان هذا قد أُمروا أن يُخيِّلوا عليها بأن يمسك كل واحد منهم نعلا كأنه يخصفها، وكتفاً كأنه يأكلها، وأن يجعلوا على اكتافهم أغصان الشجر، فلما أبصرتهم، قالت لقومها : قد جاءتكم الشجر، أو قد غزتكم حمير، فكذبوها.

وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبي ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب.

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له.

قصة ملك الحضر

قال ابن هشام : وحدثني خلادُ بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسي عن جَنَّاد، أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب : أنه يقال : إن النعمان بن المنذر من ولد سَاطِرون[1] ملك الحَضْر. والحَضْر : حصن عظيم كالمدينة، كان على شاطئ الفرات، وهو الذي ذكر عَدي بن زيد في قوله :

وأخو الحَضْر إذ بناه وإذ دِجْلة يُجْبَى إليه والخابورْ
شاده مرمراً وجلَّله كِلْسا فللطَّيْرِ في ذُراه وُكورْ
لم يَهَبْه ريبُ المنون فبان الْمُلْكُ عنه فبابُه مهجورْ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له.

والذي ذكره أبو دواد الإياديُّ[2] في قوله :

وأرى الموتَ قد تدلى من الحَضْـ ـر على ربِّ أهله السَّاطُرون[3]

---

(١) الساطرون بالسريانية : هو الملك، واسم السَّاطرون : الضَّيْزَن بن معاوية. قال الطبري : هو جُرْمُقاني، وقال ابن الكلبي : هو قُضَاعي من العرب الذين تنخُوا بالسواد، فُسموا : تنوخ، أي : أقاموا بها، وهم قبائل شتى، ونسبه ابن الكلبي، فقال : هو ابن معاوية بن عبيد، ووجدته بخط أبي بحر : عُبَيْد بضم العين بن أَجْرَم من بني سَليح بن حُلْوان بن الحاف بن قضاعة، وأمه : جَيْهَلَة، وبها كان يُعرف، وهي أيضا قضاعية من بني تزيد الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية. عن الروض الأنف.

(٢) واسم أبي داود : جارية بن حجاج، وقيل : حنظلة بن شَرقي.

(٣) وبعد هذا البيت : =

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال : إنها لخلَف الأحمر، ويقال : لحماد الرَّاوية.

سابور يستولي على الحضر : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطِرون ملكَ الحَضْر، فحصره سنتين، فأشرفت بنت ساطِرون[1] يوما، فنظرت إلى سابور، وعليه ثياب ديباج، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلا، فدست إليه، أتتزوجني إن فتحت لك باب الحَضْر ؟ فقال : نعم. فلما أمسى ساطِرون شرب حتى سكر، وكان لا يبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيح باب الحَضْر من تحتِ رأسه، فبعثت بها مع مولَى لها ففتح الباب، فدخل سابور، فقتل ساطِرون، واستباح الحَضْر وخرَّبه[2]، وسار بها معه فتزوجها ؛ فبينا هي

= صرعتـــــه الأيـــــامُ من مُلك ونعيـــم وجوهـــر مكنـــون

وكان الضيزن من ملوك الطوائف، وكان يقدمهم إذا اجتمعوا لحرب عدو من غيرهم.

(١) كان للضيزن بنت اسمها : النضيرة وفيها قيل :

أقفـر الـحضرَ من نضيـرة فالـ ـمرباع منهـا فجـانب الثرثـار

والمرباع : الوادي ينبت في أول الربيع ؟ والثرثار : نهر.

(٢) وكانت سُنَّتهم في الجارية إذا عركت أي : حاضت، أخرجوها إلى ربض المدينة ــ ما حولها ــ، فعركت النضيرة، فأخرجت إلى ربض الحضر، فأشرفت ذات يوم فأبصرت سابور ــ وكان أجمل الناس ــ فهويته فأرسلت إليه أن يتزوجها، وتفتح له الحضر، واشترطت عليه، والتزم لها ما أرادت، ثم اختلف في السبب الذي دلت عليه، فقال ابن إسحاق ما في الكتاب.

وقال المسعودي : دلته على نهر واسع كان يدخل منه الماء إلى الحَضْر، فقطع لهم الماء، ودخلوا منه.

وقال الطبري : دلته على طلسم كان في الحَضْر، وكان في علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء، وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء، ثم ترسل الحمامة، فتنزل على سور الحضر، فيقع الطلسم، فيفتح الحَضْر، ففعل سابور ذلك، فاستباح الحَضْر، وأباد قبائل من قضاعة كانوا فيه، منهم : بنو عبيد رهط الضيزن، لم يبق منهم عقب، وحرق خزائن الضيزن، واكتسح ما فيها، ثم قفل بنضيرة معه.

نائمة على فراشها ليلا إذا جعلت تتململ لا تنام، فدعا لها بشمْع، ففتش فراشَها، فوجد عليه ورقة آس ؛ فقال لها سابور : أهذا الذي أسهرَك ؟! قالت : نعم، قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لي الديباج، ويلبسني الحريرَ، ويطعمني المخَّ، ويسقيني الخمر، قال : أفكان جزاءُ أبيك ما صنعتِ به ؟! أنت إليَّ بذلك أسرعُ، ثم أمر بها، فرُبطت قرون رأسها بذنَبِ فرس، ثم ركض الفرس، حتى قتلها[1]، ففيه يقول أعشى بني قَيس بن ثَعْلبة :

قول أعشى قيس في قصة الحضر :

ألـم ترَ للـحَضْر إذ أهلُـه ... بنُعْمَـى، وهَـل خالـدٌ مَـنْ نعـمْ
أقـام به شاهبـورُ الجنـو ... دَ حولين تضرب فيه القُدُم[2]
فلمـا دعـا ربَّـه دعـوةً ... أنـاب إليـه فلـم ينتقـمْ

وهذه الأبيات في قصيدة له.

قول عدي بن زيد : وقال عدي بن زيد في ذلك :

والـحَضْر صابت عليه داهيـةٌ ... من فوقِـه أيِّـدٌ مناكبهـا[3]
رَبِيَّـة لم تُوَقِّ والدَهـا ... لحَيْنهـا إذ أضاع راقبهـا[4]

---

(١) قال ابن إسحاق: المستبيح للحضر سابور ذو الأكتاف، وجعله غيره سابور بن أزدشير بن بابك، وقد تقدم أن أزدشير هو أول من جمع ملك فارس، وأذل ملوك الطوائف، حتى دان الملك له، والضَّيزن : كان من ملوك الطوائف ؛ فيبعد أن تكون هذه القصة لسابور ذي الأكتاف، وهو سابور هرمز، وهو ذو الأكتاف، لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل، وبينهم ملوك مَسمَّوْن في كتب التاريخ، وهم : هرمز بن سابور ؛ وبهرام بن هرمز، وبهرام بن بهرام، وبهرام الثالث، ونرسي بن بهرام، وبعده كان ابنه سابور ذو الأكتاف والله أعلم.

(٢) شاهبور : معناه ابن الملك.

(٣) أيِّدٌ : شديدة.

(٤) رَبِيَّة لم تُوَقِّ والدَها : يحتمل أن تكون فعيلة من ربيت، إلا أن القياس في فعيلة بمعنى =

إذ غَبَقَتْـــه صَهْبـــاءَ صافيـــةً والخمرُ وَهْلٌ يَهيم شاربُها[1]
فأسْلـــمتْ أهلَهـــا بليلتِهـــا تظـــنُّ أن الرئـــيسَ خاطبُهـــا
فكان حَظُّ العَروسِ إذ جَشَر الصُّـ ـبْحُ دماءً تجـــري سَبَائِبهـــا[2]
وخُرِّب الحَضْر، واستبيحَ، وقدْ أُحْرِق في خدرِها مشاجبُها[3]

وهذه الأبيات في قصيدة له.

= مفعولة أن تكون بغير هاء، ويحتمل أنه أراد معنى الربو والنماء، لأنها ربت في نعمة فتكون بمعنى فاعلة، ويكون البناء موافقا للقياس، وأصح من هذين الوجهين أن يكون أراد : ربيئة بالهمز، وسهل الهمزة فصارت ياء، وجعلها ربيئة، لأنها كانت طليعة حيث اطَّلعت، حيث رأت سابور وجنوده، ويقال للطليعة ذكراً كان أو أنثى : ربيئة، ويقال له : رباء على وزن فِعال وأنشدوا :

رِباء شماء لا يأوي لقلتها ـــ البيت

وقوله : أضاع راقبها : أي أضاع المربأة الذي يرقبها ويحرسها، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أي : أضاعها حافظها.

(١) والخمر وهْل. يقال : وهل الرجل وهْلاً وَوهَلاً إذا أراد شيئاً، فذهب وهمه إلى غيره. ويقال فيه : وهَم أيضا بفتح الهاء، وأما وهم بالكسر، فمعناه : غلط وأوهم بالألف معناه : أسقط.

وقوله : سبائبها. السبائب جمع : سبيبة، وهي كالعمامة أو نحوها، ومنه السَّب، وهو : الخمار.

(٢) جشر : ظهر ووضح.

(٣) في خدرها مشاجبها. المشاجب : جمع مشجب، وهو ما تعلَّق منه الثياب، ومنه قول جابر : وإن ثيابي لعلي المشجب. وكان يسمون القربة : شَجْباً ؛ لأنها جلد ماء قد شجب أي : عطب. وكان لا يمسكون القربة وهي الشجب إلا معلقة، فالعود الذي به هو المشجب حقيقة، ثم اتسعوا، فسموا ما تعلق به الثياب مشجباً تشبيها به.

ذكر ولد نِزار بن معد

قال ابن إسحاق : فولد نِزارُ بن معد ثلاثةَ نفر : مُضر[1] بن نِزار، وربيعةَ بن نِزار، وأنمار بن نِزار.

قال ابن هشام : وإياد بن نزار. قال الحارث بن دَوْس الإيادي، ويروى لأبي دُواد الإيادي، واسمه : جارية بن الحجَّاج :

وفُتُوٌّ حسنٌ أوجُهُهم ... من إياد بن نِزار بن معد

وهذا البيت في أبيات له.

فأم مضر وإياد : سَوْدَة بنتُ عَكّ بن عدنان. وأم ربيعة وأنمار : شُقَيْقَة بنت عَك بن عدنان، ويقال : جُمْعَة بنت عك بن عدنان.

أولاد أنمار : قال ابن إسحاق : فأنمار[2] أبو خَثْعَم وبجيلة، قال

---

(١) فأما مضر فقد تقدم ذكره في عمود نسب النبي ــ ﷺ ــ وذكرنا أنه أول من سن حداء الإبل، وسببه ــ فيما ذكروا ــ أنه سقط عن بعير، فوثبت يده، وكان أحسن الناس صوتاً، فكان يمشي خلف الإبل، ويقول : وايدياه، يترنم بذلك فأعنقت الإبل، وذهب كلالها ؛ فكان ذاك أصل الحداء عند العرب،وذلك أنها تنشط بحدائها الإبل، فتسرع.

(٢) أنمار بن نزار، وهو أبو بجيلة وخثعم فسمي : بالأنمار جمع نَمِر، كما سموا بسباع وكلاب، وأم بنيه : بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ولد له من غيرها أفتل وهو : خثعم، وولدت له عبقر في خمسة عشر، سماهم أبو الفرج، عنهم تناسلت قبائل بجيلة وهم : وداعة وخزيمة وصهيبة والحارث ومالك وشيبة وطريفة وفَهْم والغَوْث وسهل وعبقر وأشهل كلهم بنو أنمار، ويقال : إن بجيلة حبشية حضنت أولاد أنمار الذين سَمَّينا، ولم تحضن أفتل، وهو : خثعم. فلم ينسب إليها. روى الترمذي من طريق فروة بن مُسَيْك « أنه لما أنزل الله في سبأ ما أنزل، قال رجل : يا رسول الله ما سبأ : امرأة أم أرض ؟ قال ليس بامرأة ولا أرض، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، فتيامن منهم ستة ــ أي رحل إلى اليمن وعاش فيها ــ وتشاءم أربعة أي رحل إلى الشام وعاش فيها ــ فأما الذين تشاءموا، فلخم وجذام وعاملة وغسان، وأما الذين تيامنوا : فالأزد والأشعرون وحمير ومذحج وكندة وأنمار، قال الرجل : ومَن أنمار ؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة ».

جرير بن عبدالله البَجَليّ وكان سيدَ بَجيلة، وهو الذي يقول له القائل :

لولا جريـرٌ هلـكت بَجيلـه نعم الفتى، وبئست القبيلـهْ !![1]

وهو ينافر[2] الفُرافِصة[3] الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي :

يا أقرعَ بن حابس يا أقـرعُ إنك إن تَصْرعْ أخـاك تُصرع[4]

قال :

ابْنَـيْ نزارٍ انصُرا أخاكمـا إن أبـي وجدْتُـه أباكمـا

لن يُغلبَ اليومَ أخٌ وَالاكُما

وقد تيامنت، فلحقت باليمن.

قال ابن هشام : قالت اليمن : وبَجيلة : أنمار بن إراش بن لِحْيان بن عمرو بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. ويقال : إراش بن عمرو بن لِحْيان بن الغوث. ودار بجيلة وخَثْعَم : يمانية.

ولدا مضر : قال ابن إسحاق : فولد مضر بن نزار رجلين : إلياس

---

(١) قال لما سمع هذا : ما مُدح رجل هُجي قومه : وجرير هذا هو : ابن عبد الله بن جابر، وهو، الشليل بن مالك بن نضر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن جذيمة.

(٢) ينافر : أي يحاكم. قال قاسم بن ثابت : لفظ المنافرة مأخوذ من النَّفر، وكانوا إذا تنازع الرجلان، وادعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه، تحاكموا إلى العلَّامة، فمن فضَّل منهما قيل : نفره عليه أي : فضل نفره على نفرِ الآخر. فمن هذا أُخذت المنافرة. وقال زهير :

فإن الحـقَّ مقطعُـه ثلاثٌ يميـن أو نفـار أو جلاء

(٣) الفُرافصة بالضم : اسم أسد، والفتح اسم الرجل، وقد قيل : كل فرافصة في العرب بالضم إلا الفرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفتح.

(٤) الأشهر في الرواية : « إن يُصرعْ أخوك »، وإنما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب الشرط لأنه في نية التقديم عند سيبويه، وهو على إضمار الفاء عند المبرد.

ابن مُضَر، وعَيْلان[1] بن مضر. قال ابن هشام : وأمهما جرهمية[2].

أولاد إلياس : قال ابن إسحاق : فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر : مُدْرِكة بن إلياس، وطابخة بن إلياس، وقَمَعَة بن إلياس، وأمهم : خِنْدف[3]، امرأة من اليمن.

قال ابن هشام : خِنْدف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة.

قال ابن إسحاق : وكان اسم مُدركة عامراً، واسم طابخة عَمْراً، وزعموا أنهما كانا في إبل لهما يرعيانها، فاقتنصا صيداً، فقعدا عليه يطبخانه ؟ وعَدَتْ عادية على إبلهما، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ، فلحق عامر بالإبل فجاء بها، فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما، فقال لعامر : أنت مُدْرِكة، وقال لعمرو : وأنت طابخةٌ[4].

---

(١) وأما عَيْلان أخو الياس، فقد قيل : إنه قيس نفسه لا أبوه، وسمي بفرس له اسمه : عيلان، وكان يجاوره قيس كُبَّة من بجيلة عرف بكبة اسم فرسه، فُرق بينهما بهذه الإضافة، وقيل : عيلان اسم كلب له.

(٢) وذكر ابن إسحاق أم إلياس، وقال فيها : امرأة من جرهم، ولم يسمها، وليست من جرهم، وإنما هي الرباب بنت حَيْدة بن معد بن عدنان ــ فيما ذكر الطبري وقد قدمنا ذلك في نسب النبي ــ ﷺ.

(٣) وخِنْدف التي عُرف بها بنو إلياس. وهي التي ضُربت الأمثال بحزنها على إلياس، وذلك أنها تركت بنيها، وساحت في الأرض تبكيه : حتى ماتت كمداً، وكان مات يوم خميس، وكانت إذا جاء الخميس بكت من أول النهار إلى آخره. فعمل الخميس للأموات في بعض البلاد بدعة جاهلية.

وكانوا يسمون الخميس : مؤنساً. قال الزبير : وإنما نسب بنو إلياس لأمهم ؛ لأنها حين تركتهم شغلا لحزنها على أبيهم، رحمهم الناس، فقالوا : هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم، وهم صغار أيتام، حتى عُرفوا ببني خندف. وأما عوانة بنت سعد بن قيس عيلان فسميت : العوانة، وهي الناقة الطويلة.

(٤) وفي الخبر زيادة ؛ وهو أن إلياس قال لأمهم ــ واسمها ليلى وأمها : ضَرِيَّة بنت ربيعة =

وأما قَمَعَة فيزعم نُساب مضر : أن خزاعة من ولد عَمرو بن لُحَيّ بن قَمَعة بن إلياس.

حديث عمرو بن لحيّ وذكر أصنام العرب

عمرو بن لحيّ يجر قصبه في النار : قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم عن أبيه قال :

حُدِّثتُ أن رسولَ الله ــ ﷺ ــ قال : « رأيت عَمْرو بن لُحَيٍّ يجرُّ قُصْبه[1] في النار فسألته عمن بيني وبينه من الناس، فقال : هلكوا ».

قال ابن إسحاق. وحدثني محمد بن إبراهيم الحارث التَّيْمِي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة. **قال ابن هشام** : واسم أبي هريرة: عبدالله بن عامر، ويقال اسمه : عبد الرحمن بن صخر ــ يقول :

سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لأَكْثَم بن الجَوْن الخُزاعي : « يا أَكْثَمُ، رأيت عمرو بن لُحَيّ بن قَمَعة ابن خِنْدِف يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به، ولا بك منه. فقال أكثم : عسى أن يضرني

= ابن نزار التي ينسب إليها : حمى ضرية ؛ وقد أقبلت تُخَندف في مشيتها : ــ ما لك تخندفين ؟ فسميت : خندف، والخندفة : سرعة في مشي، وقال لمدركة :

وأنت قد أدركْتَ ما طلبتا

وقال لطابخة :

وأنت قد أنضجت ما طبختا

وقال لقَمَعَة وهو عُمَيْر :

وأنت قد قعدت فانقمعتا

(١) قَصَبُهُ : أمعاؤه.

شبهه يا رسولَ الله ؟ قال : لا، إنك مؤمنٌ وهو كافر، إنه كان أول من غيَّر دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبَحَر البحِيرة[1] وسيَّبَ السائبة، ووصل الوَصِيلة، وحمى الحَامِي ».

أصل عبادة الأصنام في أرض العرب : قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن عَمرو بن لُحَيّ خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مآبَ من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق ــ وهم ولد عِمْلاق. ويقال : عِمْليق بن لَاوذ بن سام بن نوح ــ رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها فنستَمْطرها فتُمطرنا، ونستَنْصرها فتنصُرنا، فقال لهم : ألا تعطونني منها صنما، فأسير به إلى أرض العرب، فيعبدوه ؟ فأعطوه صنما يقال له : هُبَل، فقدم به مكة، فنصبه، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[2].

---

(١) وقد رُوي أيضاً أن أول من بحَّر البحيرة : رجل من بني مدلج كانت له ناقتان، فجدع آذانهما، وحرم ألبانهما. قال رسول الله ــ ﷺ ــ : « فرأيته في النار يخبطانه بأخفافهما، ويعضانه بأفواههما ». وقال عليه السلام : « قد عرفت أول من سيَّب السائبة ونصب النصب : عمرو بن لحي رأيته يؤذي الناسَ بريح قصبه » رواه ابن إسحاق عبد الله بن أبي بكر مرسلا.

(٢) وكان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت، ونفت جرهم عن مكة، قد جعلته العرب ربّاً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة؛ لأنه كان يطعم الناس، ويكسو في الموسم، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة، وكسا عشرة آلاف حلّة، حتى ليقال : إنه اللاتُ الذي : يلتُّ السويق ــ « طعام يصنع من الحنطة والشعير المدقوق » ــ للحجيج على صخرة معروفة تسمى : صخرة اللات، ويقال إن الذي يلت كان من ثقيف، فلما مات قال لهم عمرو، إنه لم يمت، ولكن دخل في الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها، وأن يبنوا عليها بيتاً يُسمى : اللات، ويقال : دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة ؛ فلما هلك سميت تلك الصخرة : اللات مخففة التاء، واتُّخذ صنماً يُعبد، وقد ذكر ابن إسحاق، أنه أول من أدخل الأصنام الحرم، وحمل الناس على عبادتها.

سبب عبادة الأصنام : قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم، حين ضاقت عليهم، والتمسوا الفُسَح في البلاد، إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه، فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حتى خلف الخُلوف، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها : من تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة، وهَدْي البُدْن، والإهلال بالحَج والعمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه. فكانت كنانةُ وقريش إذا أهلُّوا قالوا : « لَبَّيك اللهمَّ لبيك، لَبيك لا شريكَ لك، إلا شريكٌ هو لك، تملكُه وما مَلَكَ ». فيوحدونه بالتلبية، ثم يُدخلون معه أصنامَهم، ويجعلون مِلْكَها بيده. يقول اللهُ تبارك وتعالى لمحمد ــ ﷺ ــ ﴿ **وما يؤمنُ أكثرُهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ أي ما يوحدونَني لمعرفة حقِّي إلا جعلوا معي شريكاً في خلقي[1].

أصنام قوم نوح : وقد كانت لقوم نوح أصنامٌ قد عَكفوا عليها، قَصَّ اللهُ ــ تبارك وتعالى ــ خبَرها على رسول الله ــ ﷺ ــ فقال : ﴿ **وقالوا : لا تَذَرُنَّ آلهتَكم، ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُوَاعاً، ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً، وقد أضلُّوا كثيراً**[2] ﴾

---

(١) وكانت التلبية من عهد إبراهيم : لبَّيك، لا شريك لك لبيك، حتى كان عمرو بن لحي، فبينما هو يلبي تمثَّل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه، فقال عمرو : لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ : إلا شريكا هو لك، فأنكر ذلك عمرو، وقال : وما هذا ؟ فقال الشيخ قل : تملكه وما ملك، فإنه لا بأس بهذا، فقال عمرو، فدانت بها العرب.

(٢) وتلك هي الجاهلية الأولى التي ذكر الله في القرآن في قوله : ﴿ **ولا تَبَرَّجْنَ تبرج** =

القبائل العربية وأصنامها : فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم، وسمَّوا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل : هُذَيْلَ بنَ مُدْركة بن إلياس بن مُضَر، اتخذوا سُواعاً فكان لهم بِرُهاط[1]. وكلب بن وَبْرة من قضاعة اتخذوا وَدّاً بدومة الجندل[2].

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك الأنصاري :

ونـــنسى الـــلَّاتَ والعُـــزَّى ونسلُبها القَلائـــد والشُّنوفـــا[3]

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها ــ إن شاء الله.

= **الجاهلية الأولى** ﴾ وكان بدء ذلك في عهد مهلايل بن قَيْنان فيما ذكروا. وقد ذكر البخاري عن ابن عباس قال : « صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ، وهي أسماء قوم صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ؛ فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك وتُنُوسخ العلم عُبدت ».

وذكر الطبري هذا المعنى وزاد : أن سواعا كان : ابن شيث، وأن يغوث كان ابن : سواع، وكذلك يعوق ونَسْر، كلما هلك الأول صُورت صورته، وعظمت لموضعه من الدين، ولما عهدوا في دعائه من الإجابة، فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلوف، وقالوا : ما عظم هؤلاء آباؤنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر، واتخذوها آلهة. وهذه أسماء سريانية وقعت إلى الهند فسموا بها أصنامهم التي زعموا أنها صور الدراري السبعة، وربما كلمتهم الجن من جوفها ففتنتهم، ثم أدخلها إلى العرب عمرو بن لحي وعلمهم تلك الأسماء، وألقاها الشيطان على ألسنتهم موافقة لما كانوا في عهد نوح.

(١) رُهاط : من أرض ينبع.

(٢) ودومة هذه ــ بضم الدال ــ ذكروا أنها سميت بدومى بن إسماعيل كان نزلها، ودُومة أخرى بضم الدال عند الكوفة، ودَوْمة ــ بفتح الدال ــ أخرى مذكورة في أخبار الرِّدة، كذا وجدته للبكري مقيدا في أسماء هذه المواضع. راجع الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ١٠٣.

(٣) الشنوفا : مفرده شنف ــ القرط.

قال ابن هشام : وكَلب بنُ وَبْرَةَ بن تغلب بن حُلْوَان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة.

عباد يغوث : قال ابن إسحاق : وأنْعُم من طيِّئ، وأهل جُرَش من مَذْحج[1] اتخذوا يغوث بجُرش[2].

قال ابن هشام. ويقال : أَنْعَم. وطيِّئ بن أُدَد بن مالك، ومالك : مَذْحج بن أُدَد، ويقال طيِّئ بن أُدد بن زيد بن كهلان بن سبأ.

عباد يعوق : قال ابن إسحاق : وخَيْوان بطن من همدان، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن.

قال ابن هشام : وقال مالك بن نَمَط الهَمْداني[3].

يَريش اللهُ في الدنيا ويَبْرِي ولا يبرِي يَعُوقُ ولا يَرِيشُ[4]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام : اسم همدان : أَوْسَلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أَوْسَلة بن الخِيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. ويقال : أوسلة بن

---

(١) جُرّش في مَذحج. والمعروف أنهم في حمير، وأن مذحج من كهلان بن سبأ، ويقال : إن الملك كان لكهلان بعد حمير، وأن ملكه دام ثلاثمائة سنة، ثم عاد في بني حمير، قال المسعودي. وذكر الدارقطني أن جَرشَ وحُرشَ بالحاء أخوان، وأنهما ابنا عُلَيْم بن جناب الكلبي، فهما قبيلان من كلب.

(٢) طيئ بن أدَد، أو ابن مالك بن أدد على الخلاف : ومالك هو : مَذْحِج. وسموا مذحِجاً بأكمة نزلوا إليها. وطئ من الطاءة، وهي بعد الذهاب في الأرض.

(٣) وهو : أبو ثور، يلقب : ذا المِشْعَار، وهو من بني خارف، وقد قيل إنه من يام بن أصي، وكلاهما من همدان.

(٤) هو من رِشْتُ السهم وبريته، استعير في النفع والضرّ قال سويد :

فَرِشْنِي بخيرٍ طالما قد بَرَيتنـي وخير الموالى من يريش ولا يبري

زيد بن أوسلة بن الخِيار. ويقال : همدان بن أوسلة بن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

غباد نسر : قال ابن إسحاق : وذو الكُلَاعِ من حِمْير، اتخذوا نَسْراً بأرضِ حِمْير.

عباد عميانس : وكانَ لخَوْلان صنم يقال له : عُمْيَانِس بأرض خَوْلان يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قَسَماً بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق عُمْيانس من حق الله تعالى الذي سموه له تركوه له، وما دخل في حق الله تعالى من حق عُمْيانس ردوه عليه. وهم بطن من خَوْلان، يقال لهم : الأديم، وفيهم أنزل الله ــ تبارك وتعالى ــ فيما يذكرون : ﴿ **وجعلوا للهِ مما ذرأ من الحرثِ والأنعام نصيباً، فقالوا : هذا للهِ بزعمهم، وهذا لشركائنا، فما كان لشركائِهم فلا يصل إلى اللهِ ، وما كان للهِ فهو يصلُ إلى شركائِهم، ساء ما يحكمون** ﴾.

قال ابن هشام : خَوْلان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، ويقال : خَوْلان بن عَمرو بن مُرة بن أُدَد بن زَيد بن مِهْسَع بن عَمرو بن عَرِيب ابن زَيد بن كهلان بن سبأ، ويقال : خَوْلان بن عُمر بن سعد العشيرة بن مَذْحِج.

عباد سعد : قال ابن إسحاق : وكان لبني مِلْكَان[1] ــ بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضر ــ صنم، يقال له : سعد : صخرة

---

(١) ملْكان بن كنانة بكسر الميم. قال أبو جعفر بن حبيب النسابة : كل شيء في العرب فهو مِلْكان بكسر الميم ساكن اللام، غير ملكان في قضاعة، وملكان في السَّكُون، فإنهما بفتح الميم واللام فملكان قضاعة : هو : ابن جَرْم بن زبان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وملكان السُّكون هو : ابن عياد بن عياض بن عقبة بن السكون بن أشرس من كندة.

بفَلاة من أرضهم طويلة، فأقبل رجل من بني مِلْكَان بإبل له مُؤَبَّلة ؛ ليقفها عليه، التماسَ بركته ــ فيما يزعُم ــ فلما رأته الإبل وكانت مَرْعيَّة لا تُركب، وكان يُهْراق عليه الدماء نفرت منه، فذهبت في كل وجه، وغضب ربُّها المِلْكاني، فأخذ حجراً فرماه به، ثم قال : لا بارك الله فيك، نفَّرت عليَّ إبلي، ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعدٍ، ليجمعَ شملَنا ... فشتتنا سعدٌ، فلا نحنُ من سعدِ[1]
وهل سعدُ إلا صخرة بتَنُوفةٍ ... من الأرض لا تدعو لِغَيٍّ ولا رُشْد[2]

دوس وصنمهم : وكان في دوس صنم لعمرو بن حُمَمة الدَّوْسي.

قال ابن هشام : سأذكر حديثه في موضعه ــ إن شاء الله.

ودَوْسُ بنُ عُدْثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسْد بن الغوث. ويقال : دوس ابن عبدالله بن زهران بنِ الأسْد بن الغوْث.

عباد هبل : قال ابن إسحاق : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له : هُبَل[3].

---

(١) ويمتنع في العربية دخول « لا » على الابتداء المعرفة والخبر إلا مع تكرار : « لا » مثل : أن تقول لا زيد في الدار ولا عمرو، وذكر سيبويه قولهم: لا نَوْلُك أن تفعل، وقال : وإنما جاز هذا ؛ لأن معناه معنى الفعل. أي : لا ينبغي لك أن تفعل، وكذلك ينبغي أن يقال في بيت الملكاني : أي : لم يقلها على جهة الخبر، ولكن على قصد التبري منه، فكان معنى الكلام : فلا نتولى سعداً، ولا ندين به، فهذا المعنى حَسَّن دخول « لا » على الابتداء كما حسن : لا نولك.

(٢) بتنُوفة : بأرض جرداء.

(٣) وأما هُبل فإن عمرو بن لحي جاء به من هيت، وهي من أرض الجزيرة حتى وضعه في الكعبة.

قال ابن هشام : سأذكر حديثَه ــ إن شاء الله في موضعه.

إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافا ونائلة، على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جرهم ــ هو : إساف بن بَغْي ونائلة بنت دِيك ــ فوقع إساف على نائلةَ في الكعبة : فمسخهما الله حجَرَيْن[1].

حديث عائشة عن إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم. عن عَمْرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة أنها قالت : سمعت عائشة ــ رضي الله عنها ــ تقول : ما زلنا نسمع أن إسافاً ونائلة كانا رجلا وامرأة من جُرْهم، أحدثا[2] في الكعبة : فمسخهما الله تعالى حجَريْن ــ والله أعلم.

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وحيث يُنيخُ الأشْعرون رِكابَهم بِمُفْضَى السيولِ من إسافٍ ونائِل[3]

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له ؛ سأذكرها في موضعها ــ إن شاء الله تعالى.

---

(١) أخرج رزبن في فضائل مكة عن بعض السلف : ما أمهلهما الله أن يفجرا فيها، ولكنه قبَّلها، فمسخا حجرين، فأخرجا إلى الصفا والمروة فنصبا عليهما، ليكونا عبرة، وموعظة، فلما كان عمرو بن لحي نقلهما إلى الكعبة، ونصبهما على زمزم، فطاف الناس بالكعبة وبهما، حتى عُبدا من دون الله. وذكر الواقدي أن نائلة حين كسرها ــ النبي ــ ﷺ ــ عام الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها، وتنادي بالويل والثُّبور.

(٢) أحدثا في الكعبة، أرادت الحدث الذي هو الفجور كما قال ــ عليه السلام ــ : « من أحدث حدثاً، أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله » وقال عمر حين كانت الزلزلة بالمدينة : أحدثتم. والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم.

(٣) وقول أبي طالب : من إساف ونائل، هو ترخيم في غير النداء لضرورة الوزن في البيت. وكان المفروض أن يقول : ونائلة. والترخيم حذف آخر الحروف في المنادى.

فعل العرب مع أصنامهم : قال ابن إسحاق : واتخذ أهلُ كلِّ دار في دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسَّح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره، وإذا قدم من سفره تمسَّح به، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله، فلما بعث الله رسوله محمداً ــ ﷺ ــ بالتوحيد، قالت قريش : ﴿ **أجعلَ الآلهَة إلهاً واحداً، إنَّ هذا لشيءٌ عُجاب** ﴾.

الطواغيت : وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طَواغيت، وهي بيوتٌ تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سَدَنَةٌ وحُجَّاب، وتُهْدى لها كما تُهْدى للكعبة، وتطوف بها كطوافها بها، وتنحر عندها، وهي تَعْرف فضل الكعبة عليها، لأنها كانت قد عَرَفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده.

العُزَّى وسدنتها وحجابها : فكانت لقريش وبني كنانة : العُزَّى بنَخْلة، وكان سَدَنَتَها وحُجَّابَها بنو شيبان من سُلَيْم، حلفاء بني هاشم.

قال ابن هشام : حلفاء بني أبي طالب خاصة، وسُلَيْم : سُلَيْم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان.

قال ابن إسحاق : فقال شاعر من العرب :

لقد أَنْكِحَتْ أسماءُ رأسَ بُقَيْرةٍ ... من الأُدْم أهداها امرؤٌ من بني غَنْمِ
رأى قَدَعاً في عينِها إذْ يسوقُها ... إلى غَبْغَبِ العُزَّى فوسَّع في القَسْمِ[1]

---

(١) القدع : ضعف البصر من إدمان النظر. وقوله في الغبغب : وهو المنحر ومراق الدم، كأنه سمي بحكاية صوت الدم عند انبعاثه، ويجوز أن يكون مقلوباً من قولهم : بئر بُغبغ وبغيبغ إذا كانت كثيرة الماء. قال الراجز :

بُغيبغ قصيرة الرِّشاء

ومنه قيل لعين أبي نَيْزَر : البغيبغة. ومعنى هذا البيت : الذم وتشبيه هذا المهجو برأس بقرة قد قربت أن يذهب بصرها، فلا تصلح إلا للذبح والقسم.

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هدياً قسَّموه فيمن حضرهم. والغَبْغَب : المنحَر، ومُهراق الدماء.

قال ابن هشام : وهذان البيتان لأبي خراش الهذليّ واسمه : خُوَيلد ابن مُرة في أبيات له.

من هم السدنة : والسدنةُ : الذين يقومون بأمر الكعبة. قال رُؤْبة ابن العجاج :

فلا وربِّ الآمناتِ القطَّنِ يَعْمرن أمناً بالحرامِ المأمن
بمحبسِ الهدْي وبيتِ المَسْدَنِ

وهذان البيتان في أرجوزة له، وسأذكر حديثها ــ إن شاء الله تعالى في موضعه.

اللات وسدنتها : **قال ابن إسحاق** : وكانت اللاتُ لثقيف بالطائف، وكان سَدنتَها وحجابها بنو مُعَتِّب من ثقيف.

قال ابن هشام : وسأذكر حديثها ــ إن شاء الله تعالى في موضعه.

مناة وسدنتها : قال ابن إسحاق : وكانت مُناة للأوْس والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل يثرب، على ساحل البحر من ناحية المُشَلَّلِ بقُدَيْد.

قال ابن هشام : وقال الكُمَيْت بن زيد أحد بني أسد بن مدركة :

وقد آلتْ قبائلُ لا تُولِّي مناةَ ظهورَها مُتَحرِّفينا

وهذا البيت في قصيدة له.

هدم مناة : **قال ابن هشام** : فبعث رسولُ الله ــ ﷺ ــ إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها، ويقال : علي بن أبي طالب.

ذو الخَلَصة وعبَّاده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكان ذو الْخَلَصة لدَوْس وخَثْعم وبَجِيلة، ومن كان ببلادهم من العرب بتَبَالة.

قال ابن هشام : ويقال : ذو الخُلُصة. قال رجل من العرب :

لو كنتَ يا ذا الخُلص الموتورا مثلي وكان شيخُك المقبورا
لم تنهَ عن قتلِ العُداة زورَا

قال : وكان أبوه قُتل، فأراد الطلب بثأره، فأتى ذا الخلَصة، فاستقسم عنده بالأزلام. فخرج السهم بنهيه عن ذلك، فقال هذه الأبيات. ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حُجْر الكِنْدي، فبعث إليه رسول الله ﷺ — جريرَ بنَ عبد الله البجْلي، فهدمه[1].

فِلْس وعبَّاده وهدمه:قال ابن إسحاق : وكانت فِلْس[2] لطيّئ ومن يليها بجبليْ طيئ، يعني سَلْمى وأجأ.

قال ابن هشام : فحدثني بعضُ أهل العلم أن رسول الله ﷺ — بعث إليها عليُّ بن أبي طالب فهدمها، فوجد فيها سيفيْن، يقال لأحدهما : الرَّسُوب، وللآخر : المِخْذَم. فأتى بهما رسول الله ﷺ — فوهبهما له، فهما سيفا علي رضي الله عنه.

---

(١) وذلك قبل وفاة النبي ﷺ — بشهرين أو نحوهما، قال جرير : بعثني رسول الله ﷺ — في مائة وخمسين راكباً من أحمس إلى ذي الخلَصة، فقلت : يا رسول الله إني لا أثبت على الخيل، فدعا لي، وقال : « اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً.. » انظر للمحقق مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري.

(٢) هكذا وجدته مضبوطا في القاموس. وضبطه ابن الكلبي بفتح فسكون، وضبطه ياقوت بضم الفاء واللام. وتروى في بعض المراجع : قلسا، ويذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن أجأ اسم رجل بعينه، وهو : أجأ بن عبد الحي، وكان فجر بسلمى بنت حام، أو اتهم بذلك — فيما ذكر — وكانت السفير بينهما وبين أجأ فصلبت في الجبل الثالث، فسمي بها.

رئام : **قال ابن إسحاق** : وكان لحميَر وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له : رِئام.

قال ابن هشام : قد ذكرت حديثه فيما مضى.

رُضاء وعُبَّاده وهدمه : **قال ابن إسحاق** : وكانت رُضَاء بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. ولها يقول المُسْتَوْغِر[1] بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام :

ولقد شَدَدْتُ على رُضَاءٍ شَدَّةً فتركتُها قفراً بقاعٍ أسْحَما

قال ابن هشام : قوله :

فتركتُها قفراً بقاعٍ أسْحَمَا

عن رجل من بني سعد.

عُمْر المستوغر : ويقال : إن المستوغر عُمِّر ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة، وكان أطولَ مُضَر كلها عمراً، وهو الذي يقول :

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولها وعَمَرْتُ من عددِ السنين مئينا
مائة حَدَثْها بعدها مئتان لي وازددتُ من عدد الشهورِ سنينا
هل ما بقي إلا كما قد فاتنا يومٌ يمرُّ وليلةٌ تحدونا

وبعض الناس يروي هذه الأبيات لزُهير بن جَناب الكلبيِّ[2].

---

(١) واسمه : كعب قال ابن دريد : سمي مستوغراً بقوله :

ينش الماء في الربلات منه نشيش الرضف في اللبن الوغير

والوغير : فعيل من وغرة الحر وهي شدته. وذكر القتبي أن المستوغر حضر سوق عكاظ، ومعه ابن ابنه، وقد هرم، والجد يقوده، فقال له رجل : ارفق بهذا الشيخ، فقد طال ما رفق بك فقال : ومن تراه ؟ فقال : هو أبوك أو جدك، فقال : ما هو إلا ابن ابني، فقال ما رأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة ! فقال : أنا المستوغر.

(٢) وهو زُهَير بن جَناب بن هُبل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عَوْف بن غدرة أو عذرة بن =

ذو الكعبات وعُبَّاده : **قال ابن إسحاق** : وكان ذو الكَعَبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بِسِنْدَاد، وله يقول أعشى بني قيس بن ثَعلبة :

بينَ الخَوَرْنق والسَّديرِ وبارقٍ والبيتِ ذي الكَعَبات من سَنْداد[1]

قال ابن هشام : وهذا البيت للأسود بن يَعْفر النَّهْشَليّ : نهشل بن دارم بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم، في قصيدة له، وأنشدنيه أبو مُحْرز خلف الأحمر :

أهل الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ وبارقٍ والبيتِ ذي الشُّرفات من سِنْدادِ

= زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة. وزهير هذا من المعمرين وهو الذي يقول :

أبُنـي إن أهـلكْ فإنـي قد بنـيت لكـم بنيَّـه
وتركتكـم أولاد سادا ت زنادهـم وريَّـه
من كل ما نال الفتـى قد نلتـه إلا التحيـه

يريد بالتحية : البقاء، وقيل : المُلك،

ومن المعمرين من العرب سوى المستوغر مما زادوا على المائتين والثلاثمائة : زهير هذا، وعبيد بن شُرية، ودغفل بن حنظلة النسابة، والربيع بن ضبع الفزاري، وذو الإصبع العدواني، ونصر بن دهمان بن أشجع بن رِيْث بن غطفان، وكان قد اسودّ رأسه بعد ابيضاضه، وتقوَّم ظهره بعد انحنائه. ومن أطول المعمرين عَمرا : ذُوَيد، واسمه : زيد بن فهد من قضاعة عاش ذويد أربعمائة عام.

(١) الخورنق : قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور، ليكون ولده فيه عنده، وبناه بنيانا عجيبا لم تر العرب مثله، واسم الذي بناه له : سنمار، وهو الذي رُدي من أعلاه، حتى قالت العرب : جزاني جزاء سنمار، وذلك أنه لما تم الخورنق، وعجب الناس من حسنه، قال سنمار : أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس حيث دارت، فقال له الملك : إنك لتحسن أن تبني أجمل من هذا ؟ وغارت نفسه أن يبتني لغيره مثله، وأُمر به فطرح من أعلاه، وكان بناه في عشرين سنة.

ومعنى السَّدير بالفارسية : بيت الملك. يقولون له : « سهدلي » أي : له ثلاث شعب، وقال البكري : سمي السدير ؛ لأن الاعراب كانوا يرفعون أبصارهم إليه، فتسدر من علوه، يقال : سدر بصره إذا تحير. والكعبات : المربعة، وكل بناء مربع فهو كعبة.

البَحيرة والسائبة والوصيلة والحَامِي

رأي ابن إسحاق فيها : قال ابن إسحاق : فأما البَحيرة فهي : بنت السائبة، والسائبة : الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر، سُيِّبت فلم يُركب ظهرُها، ولم يُجزّ وبرُها، ولم يُشرب لبنُها إلا ضيفٌ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقَّت أذنُها، ثم خُلِّي سبيلُها مع أمها، فلم يُركب ظهرُها، ولم يُجز وبرُها، ولم يُشرب لبنُها إلا ضيفٌ، كما فُعل بأمِّها، فهي البَحيرةُ بنت السائبة، والوَصِيلة : الشاة إذا أتأمَتْ[1] عشرَ إناثٍ متتابعات في خمسة أبطنٍ، ليس بينهن ذكرٌ، جُعلت وصيلة. قالوا : قد وَصَلَتْ، فكان ما وَلَدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم، إلا أن أن يموت منها شيء، فيشتركوا في أكله، ذكورُهم وإناثُهم.

قال ابن هشام : ويروى : فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم.

قال ابن إسحاق : والحامي : الفحل إذا نُتج له عشرُ إناث متتابعات ليس بينهنَّ ذكر، حُمِيَ ظهره فلم يُركب، ولم يُجز وبره، وخُلِّي في إبله يضرب فيها، لا ينتفع منه بغير ذلك.

ابن هشام يخالف ابن إسحاق : قال ابن هشام : وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامي، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق. فالبَحيرة عندهم : الناقة تُشق أذنُها فلا يُركب ظهرُها، ولا يُجز وبرُها، ولا يَشربُ لبَنَها إلا ضيف، أو يُتصدق به، وتهمل لآلهتهم. والسائبة : التي ينذر الرجل أن يُسيبَها إن برئ من مرضه أو إن أصاب أمراً يطلبه. فإذا كان أساب ناقة من إبله، أو جملا لبعض آلهتهم، فسابت فرعتْ لا

---

(١) أتأمت : جاءت باثنين في بطن واحد.

يُنتفع بها. والوصيلةُ : التي تلد أُمُّها اثنين في كل بطن، فيجعل صاحبهما لآلهته الإناث منها، ولنفسه الذكورَ : فتلدُها أُمُّها ومعها ذكرٌ في بطن، فيقولون : وصلت أخاها، فُيسيَّب أخوها معها، فلا يُنتفع به.

قال ابن هشام : حدثني به يونس بن حبيب النحوي وغيره. وروى بعضٌ ما لم يرو بعضٌ.

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تبارك وتعالى رسولَه محمداً ــ ﷺ ــ أنزل عليه : ﴿ **ما جعل اللهُ من بَحيرةٍ، ولا سَائبةٍ، ولا وصيلةٍ، ولا حامٍ، ولكن الذين كفروا يفترون على اللهِ الكذِبَ، وأكثرهم لا يعقلون** ﴾.

وأنزل الله تعالى : ﴿ **وقالوا : ما في بطون هٰذهِ الأَنعامِ خالصةٌ لذكورنا، ومحرمٌ على أَزواجِنا، وإن يكن ميتةً فهم فيها شركاءُ، سيجزيهم وَصْفَهم، إنه حكيمٌ عليم** ﴾[1].

وأنزل الله تعالى : ﴿ **قل : أرأيتم ما أنزلَ اللهُ لكم من رزقٍ فجعلتم منه حراماً وحلالا، قل : آللهُ أذِنَ لكم أم على اللهِ تفتَرون** ﴾.

وأُنزل عليه : ﴿ **ثمانيةُ أزواجٍ من الضأنِ اثنين، ومن المعزِ اثنين. قل : آلذَّكرينِ حَرَّم، أم الأنثيْنِ، أما اشتملت عليه أرحامُ الأنثيْنِ، نبئوني بعلمٍ إن كنتم صادقين. ومن الإبلِ اثنين، ومن البقرِ اثنين. قل : آلذكرين حرَّم أم الأنثيين، أمَّا اشتملت عليه أرحامُ الأنثيْنِ، أم**

---

(١) وذكر ما أنزل الله في ذلك، منها قوله تعالى : ﴿ **خالصة لذكورنا، ومحرم على أزواجنا** ﴾ وفيه من الفقه : الزجر عن التشبه بهم في تخصيصهم الذكور دون الإناث بالهبات. روت عمرة عن عائشة عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه قال : « يعمد أحدكم إلى المال، فيجعله عند ذكور ولده. إن هذا إلا كما قال الله تعالى : ﴿ **وقالوا : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا** ﴾ رواه البخاري في التاريخ من حديث سليمان بن حجاج.

كنتم شهداءَ إذ وصَّاكم اللهُ بهذا. فمن أظلمُ ممن افترى على اللهِ كذبا ليضلَّ الناسَ بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾.

البحيرة والوصيلة والحامي لغة : قال ابن هشام : قال الشاعر :

حُولُ الوصائِلِ في شُرَيفٍ حِقَّةٌ والحاميـاتُ ظهورَهـــا والسُّيَّبُ

وقال تميم بن أُبيّ بن مُقْبِل أحد بني عامر بن صعصعة :

فيه من الأخرج المِرْباع قَرقَرةٌ هَدْرَ الدِّيافيِّ وسط الهَجْمة البُحُر[1]

وهذا البيت في قصيدة له. وجمع بحيرة : بحائر وبُحر. وجمع وصيلة : وصائل ووُصل. وجمع سائبة الأكثر : سوائب وسُيَّب، وجمع حام الأكثر : حوَّم.

---

(١) يصف في هذا البيت حمار وحش يقول : فيه من الأخرج، وهو : الظليم الذي فيه بياض وسواد، أي : فيه منه قَرْقَرَةٌ أي صوت وهدر مثل هدر الدِّيافي أي : الفحل المنسوب إلى دياف بلد بالشام، والهجمة من الإبل : دون المائة، وجعلها بُحراً لأنها تأمن من الغارات، ويصفها بالمنعة والحماية، كما تأمن البحيرة من أن تذبح أو تنحر. ورأيت في شعر ابن مقبل : من الأخرج المرياع بالياء أخت الواو، وفسره في الشرح من راع يريع إذا أسرع الإجابة. كما قال طرفة : * تريع إلى صوت المهيب وتتقي *. يصف ناقته. والنفس إلى الرواية الأولى أسكن.

وحكي عن ابن قتيبة أنه قال : في البُحُر : هي الغزيرات اللبن لاجمع بحيرة، كأنها : جمع بُحُور عنده، فَظَنُّ هذا يُذهب المعنى الذي ذكرناه من أمنها ومنعتها ؛ إذ ليس هذا المعنى في الغزيرات اللبن، لكنه أظهر في العربية ؛ لأن بَحيرة : وفعيلة لا تجمع على فُعَل إلا أن تشبه بسفينة وسفن، وخريدة وخُرُد، وهو قليل. وقبل البيت في وصف روض :

بعازب النبت يرتاح الفؤاد له رأد النهاد لأصوات من النُّغَر

وبعد البيت الواقع في السيرة :

والأزرق الأخضر السربال منتصب قيد العصا فوق ذيَّال من الزَّهَر

يعني بالأزرق : ذباب الروض، وكذلك النضر. وقوله في البيت الآخر : حول الوصائل: جمع صائل، ويُقال في جمعها أيضاً : صُولَل، ومثله : عائط وعوطط على غير قياس. (عن الروض الأنف).

عود إلى النسب

نسب خزاعة : قال ابن إسحاق : وخُزاعة تقول : نحن بنو عَمرو ابن عامر من اليمن.

قال ابن هشام : وتقول خُزاعة : نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسْد بن الغَوْث، وخِنْدف أمنا، فيما حدثني أبو عُبَيْدة وغيره من أهل العلم. ويقال : خزاعة : بنو حارثة بن عمرو بن عامر. وإنّما سُميت خزاعة، لأنهم تخزَّعوا[1] من ولد عمرو بن عامر[2] حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بمرِّ الظَّهْران، فأقاموا بها. قال عَوْف بن أيوب الأنصاري أحد بني عمرو بن سَواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة من الخزرج في الإسلام :

فلما هبطنا بطنَ مَرٍّ[3] تخزَّعت ... خُزاعةُ منا في خيول كَراكِرِ[4]

حمت كلَّ وادٍ من تهامة واحتمتْ ... بِصُمِّ القَنَا والمرْهفاتِ البواتِر

وهذان البيتان في قصيدة له.

وقال أبو المطهَّر إسماعيلُ بنُ رافع الأنصاري، أحد بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عَمرو بن مالك بن الأوس :

---

(١) تخزعوا، تأخروا وانقطعوا. وتقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن عامر إلى آخر النسب.

(٢) عَمرو يقال له : مُزَيْقِياء. واما عامر فهو : ماء السماء، سمي بذلك لجوده وقيامه عندهم مقام الغيث. وحارثة : ابن امرئ القيس بن ثعلبة وهو الغطريف.

(٣) يريد : مر الظهران، وسُمي : مراً لأن فيه عرقاً من الوادي من غير لون الأرض شبه « الميم » الممدودة، وبعدها « راء » خلقت كذلك، ويذكر عن كثير أنه قال : سميت : مراً لمرارتها.

(٤) الخيول الكَراكِر : المجتمعة.

فلما هبطنا بطنَ مكةَ أحمدَتْ خُزاعةُ دار الآكل المتحاملِ
فحلَّت أكاريسا، وشنَّت قنابلا على كلِّ حيٍّ بين نجدٍ وساحلِ
نَفَوْا جُرهما عن بطنِ مكةَ، واحتبَوْا بِعزٍّ خُزاعيٍّ شديدِ الكواهلِ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له ــ وأنا إن شاء الله أذكر نفيها جرهما في موضعه.

أولاد مدركة وخزيمة : قال ابن إسحاق : فولد مُدرِكة بن إلياس رجلين : خُزيمة بن مُدركة، وهُذَيل بن مُدركة، وأمهما : امرأة من قُضاعة. فولد خُزَيمة بن مدركة أربعة نفر : كِنانة بن خُزَيمة، وأسد بن خُزَيمة، وأسَدَة بن خُزَيمة، والْهُون بن خُزيمة. فأم كنانة عُوانة بنت سعد ابن قيس عَيْلان بن مضر.

قال ابن هشام : ويقال : الْهَوْن بن خزيمة.

أولاد كنانة وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد كنانة بن خُزيمة أربعة نفر : النضر بن كنانة، ومالك بن كنانة، وعبد مناة بن كِنانة، ومِلْكان بن كنانة[1]. فأم النضر : بَرَّة بنت مُر بن أدّ بن طابخة بن إلياس ابن مضر، وسائر بنيه لامرأة أخرى.

قال ابن هشام : أم النضر ومالك ومِلْكان : بَرَّة بنت مر، وأم عبد مناة: هالة بنت سُوَيد بن الغِطْريف من أزد شَنوءة. وشَنوءَة : عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأسْد بن الغوْث : وإنما سُموا شنوءة، لشنآن كان بينهم. والشنآن : البغض.

---

(١) وذكر بني كنانة الأربعة : مالكا وملكان والنضر وعبد مناة. وزاد الطبري في ولد كنانة : عامراً والحارث والنضير وغَنْما وسعداً وعوفاً وجرول والحُدال وغَزْوان كلهم بنو كنانة.

من يطلق عليه لقب قرشي : **قال ابن هشام** : النضر[1] : قريش، فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي؛ قال جرير بن عطية أحد بني كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زَيد مناة ابن تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

فما الأمُّ التي ولـدتْ قريشاً بمُقْرِفة النَّجارِ ولا عقيم[2]
وما قَرْمٌ بأنجبِ من أبيكم وما خالٌ بأكرمِ من تميم[3]

يعني بَرَّةَ بنتَ مُرٍّ، أخت تميم بن مر، أم النضر. وهذان البيتان في قصيدة له.

لماذا سُميت قريش باسمها : ويقال فِهر بن مالك : قريش، فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي، وإنما سُميت قريش قريشاً من التقرش. والتقرش : التجارة والاكتساب. قال رُؤبة بن العجَّاج :

قد كان يغنيهم عن الشغُّوشِ والخَشْلِ من تساقُطِ القروش
شَحمٌ ومحضٌ ليس بالمغشوشِ

قال ابن هشام : والشُّغوش، قمح يسمى : الشَّغوش. والخشل : رءوس الخلاخيل والأسورة ونحوه[4]. والقروش : التجارة والاكتساب، يقول : قد كان يغنيهم عن هذا شحم ومحض، والمحض : اللبن الحليب الخالص.

---

(١) وذكر النضر بن كنانة، وقول من قال إنه : قريش، والقول الآخر في أن فهراً هو : قريش، وقد قيل : إن فهراً لقب، واسمه الذي سمي به : قريش.

(٢) المقرفة : اللئيمة. والنجار : الأصل.

(٣) القَرم هنا : السيد من الرجال.

(٤) ويقال الخشل : حمل شجر الدوم. والقروش : ما تساقط من حتاته وتقشر منه.

وهذه الأبيات في أرجوزة له. وقال أبو جِلْدة اليشكريُّ، ويشْكُر : بن بكر بن وائل :

إخوةٌ قَرَّشوا الذنــوبَ عَلَيْنَــا ... في حديثٍ من عُمرِنا وقديمِ

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق : ويقال : إنما سُميت قريش قريشاً : لتجمعها من بعد تفرقها.

ويقال للتجمع : التقرش[1].

أولاد النضر وأمهاتهم : فولد النضرُ بن كنانة رجلين : مالكَ بنَ النضر، ويَخْلد بن النضر، فأم مالك : عاتكة بنت عَـدْوان بـن عمرو بن قيس بن عَيْلان، ولا أدري أهي أم يَخْلُد أم لا.

قال ابن هشام : والصَّلْت بن النضر ــ فيما قال أبو عمرو المدني ــ وأمهم جميعا : بنت سعد بن ظَرِب العَدْواني، وعَدْوان : بن عمر بن قيس بن عيلان. قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن ــ وهو كُثَيِّر عزة أحد بني مُلَيْح بن عَمرو، من خزاعة :

أليس أبي بالصَّلْت أَمْ ليس إخوتي ... لكلِّ هِجانٍ من بني النضرِ أزهرَا[2]

رأيت ثيابَ العَصْبِ مختلط السَّدَى ... بنا وبهم والحَضْرَمِيَّ المخصَّرَا[3]

---

(١) انظر ما قيل في قريش مفصلا في الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ من صفحة ١١٥ ــ ١١٧.

(٢) الهجان : الكريم. والأزهر : المشهور.

(٣) والعَصْب : برود اليمن، لأنها تصبغ بالعصب، ولا ينبت العصب ولا الورس إلا باليمن، وكذلك اللبان. قاله أبو حنيفة الدينوري. يريد : إن قدودنا من قدودهم، فسدَى أثوابنا، مختلط بسدى أثوابهم. والحضرمي : النعال المخصرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين كما يقال : رجل مُبَطَّن، أي : ضامر البطن، وجاء في صفة نعل النبي ــ ﷺ ــ أنها كانت معقبة مخصرة مُلسَّنة مُخَرَّمة .. معقبة لها عقب. ومخصرة : قُطع خصراها، =

فإن لم تكونوا من بني النضرِ، فاتركوا أراكاً بأذنابِ الفوائج أخضرَا[1]

قال : وهذه الأبيات في قصيدة له.

والذين يُعْزَوْنَ إلى الصَّلْتِ بن النضر من خزاعة : بنو مُلَيْح بن عَمرو رهط كُثَيِّر عزة.

أولاد مالك وفهر وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد مالكُ بن النضر : فِهْر بن مالك. وأمه : جَنْدلة بنتُ الحارث بن مُضاض الجرهمي.

قال ابن هشام : وليس بابن مُضاض الأكبر.

قال ابن إسحاق : فولدَ فهرُ بن مالك أربعة نفر : غالبَ بن فهر، ومُحاربَ بن فهر، والحارث بن فهر، وأسَد بن فهر، وأمُّهم : ليلى بنت سعد بن هُذَيل بن مدركة.

قال ابن هشام : وجَنْدلة بنت فهر، وهي أم يَرْبوع بن حنظلة بن مالك بن زَيد مناة بن تميم. وأمها: ليلى بنت سعد. قال جَرِير بن عطية ابن الخَطَفى. واسم الخَطَفى : حذيفة بن بدر بن سَلَمَه بن عوف بن كُلَيْب بن يربوع بن حنظلة :

وإذا غَضبتُ رمَى ورائي بالحَصَى أبناءُ جَنْدلةٍ كخيرِ الجنـــدَلِ

وهذا البيت في قصيدة له.

أولاد غالب وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد غالبُ بنُ فِهر

= حتى صارا مستدقين، وملسنة : دقيقة على شكل اللسان. والمخثرمة التي لها خثرمة، وهو كالتحدير في مقدمها. وكانت نعله ــ عليه السلام ــ من سبْت، ولا يكون السبت إلا من جلد بقر مدبوغ.

(١) الفوائج : رؤوس الأودية.

رجلين : لؤيّ بن غالب وتيْمَ بنَ غالب، وأمهما : سَلْمى بنت عمرو الخزاعي ــ وتيْم بن غالب الذين يقال لهم : بنو الأدْرَم[1].

قال ابن هشام : وقَيْس بن غالب، وأمه : سَلْمى بنت كعب بن عَمرو الخُزاعي، وهي أم لُؤَيّ وتَيْم ابنيْ غالب.

أولاد لؤيّ وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد لُؤيُّ بنُ غالب أربعة نفر : كعبَ بنَ لؤيّ، وعامر بنَ لؤيّ، وسامةَ بنَ لؤيّ، وعوف بن لؤيّ، فأم كعب وعامر وسامة : مَاوية[2] بنتُ كَعْب بن القَيْن بن جَسْر، من قُضاعة.

قال ابن هشام : ويقال : والحارث بن لُؤيّ، وهم : جُشم بن الحارث، في هِزَّان من ربيعة. قال جرير :

---

(١) الأدرم : المدفون الكعبيْن من اللحم يقال : امرأة درماء وكعب أدرم. قال الراجز :

قامت تريه خشية أن تُصْرما ساقاً بَخَنْداة وكعباً أدْرما
وكَفَلا مثل النقا أو أعظَما

والأدرم أيضاً : المنقوض الذقن، وكان تيم بن غالب كذلك، فسُمِّي : الأدرم، قاله الزبير. وبنو الأدرم هؤلاء هم : أعراب مكة، وهم من قريش الظواهر، لا من قريش البطاح ــ هم قبائل عبد مناف، وقريش الظواهر : النازلون بظهر مكة ــ وكذلك بنو محارب من فهر، وبنو معِيص بن عامر. وفي البيت : ساقاً بخنداة أي : عظيمة تامة. والنقا : كثيب من الرمل.

(٢) وذكر بني لؤي، فقال : أم عامر : ماوية بنت كعب بن القَيْن. سميت بالماوية، وهي : المرآة، كأنها نسبت إلى الماء لصفائها، وقلبت همزة الماء واوا، وكان القياس أن تقلب هاء فيقال : ماهية، ولكن شبهوه بما الهمزة فيه منقلبة عن ياء أو واو ، لما كان حكم الهاء أن لا تهمز في هذا الموضع فلما شبهت بحروف المد واللين، فهمزوها لذلك، اطرد فيها ذلك الشبه، ويحتمل اسم المرأة أن يكون من أويته، إذا ضممته إليك، يقال : أويت مثل : ضممت.

وخالفه ابن هشام في أم عامر فقال : مَخْشِيَّة بنت شيبان بن محارب بن فهر، وماوية : أم سائر بنيه غير عامر.

بني جُشَمٍ لستم لِهزَّان، فانتَمَوْا لأعلى الروابي من لُؤيِّ بنِ غالب
ولا تُنكحوا في آلِ ضَوْر نساءَكم ولا في شُكَيْس بئسَ مثوى الغرائب[1]

وسعد بن لُؤيّ، وهم بُنانة : في شَيْبان بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب ابن علي بن بكر بن وائل، من ربيعة.

وبنانة : حاضنة لهم من بني القَيْن بن جَسر بن شَيْع الله، ويقال : سَيْع الله، ابن الأسْد بن وَبَرة بن ثعلبة بن حُلْوان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة. ويقال : بنت النَّمِر بن قاسط، من ربيعة. ويقال: بنت جَرْم بن رَبَّان بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

وخزيمة بن لؤيّ بن غالب، وهم عائذة في شَيْبان بن ثعلبة، وعائذة امرأة من اليمن وهي أم بني عبيدة بن خُزيمة بن لؤي[2].

وأم بني لؤيّ كلهم ــ إلا عامر بن لؤيّ : ماوَيَّة بنت كعب بن القَيْن ابن جَسْر. وأم عامر بن لؤيّ : مخْشِيَّة بنت شَيْبان بن محارب بن فِهْر، ويقال : ليلى بنت شيبان بن محارب بن فهر.

---

(١) يقال إنهم أعطوا جريراً على هذا الشعر ألف عير ربى، وكانوا ينتسبون إلى ربيعة فما انتسبوا بعد إلا لقريش.

(٢) وذكر خزيمة بن لؤي، وأنهم انتسبوا في شيبان، ويعرفون بأمهم عائذة، قال : وعائذة من اليمن وقال غيره : هي بنت الخِمْس بن قحافة من خثعم ولدت لعبيد بن خزيمة مالكا وحارثا، فهم بنو خزيمة عائذة ومن بني خزيمة أيضا : بنو حرب بن خزيمة، قتلتهم المسَوِّدة في قريتهم بالشام، وهو يحسبونهم بني حرب بن أمية.

أمر سامة بن لؤيّ

هروبه من أخيه وموته : قال ابن إسحاق : فأما سامة[1] بن لؤيّ فخرج إلى عُمَان، وكان بها. ويزعُمون أن عامر بن لؤي أخرجه، وذلك أنه كان بينهما شيء، ففقأ سامةُ عينَ عامر، فأخافه عامرٌ، فخرج إلى عُمَان. فيزعُمون أن سامَة بن لؤيّ بينا هو يسير على ناقته، إذ وضعت رأسها ترتع، فأخذت حيةٌ بمشفرِها، فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقِّها ثم نهشت سامةَ فقتلته. فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعُمون :

عينِ فابكي لسامةَ بنِ لؤيٍّ ... عَلِقت ساقَ سامةِ العلَّاقهْ
لا أرى مثلَ سامة بن لؤيّ ... يومَ حُلُّوا به قتيلا لناقهْ
بلِّغا عامراً وكعباً رسولا ... أنَّ نفسي إليهما مشتاقهْ[2]
إن تكنْ في عُمان داري، فإني ... غالبيٌّ، خرجت من غير فاقهْ
رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يا ابنَ لؤيٍّ ... حَذَرَ الموتِ لم تكن مُهرَاقهْ
رُمْتَ دفعَ الحُتوفِ يا ابنَ لُؤَيٍّ ... ما لِمَنْ رام ذاك بالحتف طاقهْ

---

(١) وذكر حديث سامة بن لؤي حين قدم على رسول الله ــ ﷺ ــ أحد بنيه، فانتسب له إلى سامة : فقال له عليه السلام : آلشاعر، لأنه مردود على ما قبله، كأنه مقتضب من كلام المخاطب، وإن كان الاستفهام لا يعمل ما قبله فيما بعده، ولكن العامل مقدر بعد الألف. ومن بني سامة هذا : محمد بن عِرْعَرَة بن اليزيد شيخ البخاري، وبنو سامة بن لؤي : زعم بعض النساب أنهم أدعياء، وأن سامة لم يعقب، وقال الزبير : ولد سامةُ : غالباً والنبيت والحارث. انظر الحديث في الصفحة القادمة.

(٢) بلّغا عامراً وكعباً رسولا : يجوز أن يكون « رسولا » مفعولا : ببلغا إذا جعلت الرسول بمعنى : الرسالة، كما قال الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بحتُ عندهم ... بليلـــى، ولا أرسلتهـــم برسول

أي : برسالة، وإنما سموا الرسالة : رسولا إذا كانت كتابا، أو ما يقوم مقام الكتاب من شعر منظوم. واختصار القول فيه : أن ليس كل مُرسل رسولا، فالرياح مرسلَات، والحاصب مرسل، وكذلك كل عذاب أرسله الله، وإنما الرسول اسم للمبلغ عن المرسل.

وخَـرُوسَ السُّرى تركْتَ رَديّاً بعــدَ جِدٍّ وجِــدَّةٍ ورشاقــهْ[1]

قال ابن هشام : وبلغني أن بعضَ ولده أتى رسول الله ــ ﷺ ــ فانتسب إلى سامة بن لؤيّ، فقال رسول الله ﷺ : آلشاعر ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يا ابن لؤيٍّ حَذَرَ الموتِ لم تكـن مُهْراقـهْ

قال : أجل.

أمر عوف بن لُؤَيّ ونقلته

سبب انتمائه إلى غطفان : قال ابن إسحاق : وأما عوف بن لؤيّ فإنه خرج ــ فيما يزعمون ــ في ركب من قريش، حتى إذا كان بأرض غَطفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان، أُبْطِئَ به فانطلق من كان معه من قومه، فأتاه ثعلبةُ بن سَعْد، وهو أخوه في نسب بني ذُبيان ــ ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان. وعوف بن سعد بن ذُبيان ابن بغيض بن رَيْث بن غطفان ــ فحبسه وزوَّجه والتاطه[2] وآخاه، فشاع نسبه في بني ذُبيان. وثعلبة ــ فيما يزعمون ــ الذي يقول لعوف حين أُبْطِئَ به، فتركه قومه :

---

(١) قوله : وخَرُوسِ السُّرى تركت رديّاً. إن خفضت فمعناه : رب خروس السُّرى تركت، فتركت في موضع الصفة لخروس، وإن نصبت جعلتها مفعولا بتركت، ولم يكن في موضع صفة ؛ لأن الصفة لا تعمل في الموصوف، والسرى : في موضع خفض لخروس على المجاز كما تقول : نام ليلك. يريد : ناقة صموتا صبوراً على السَّرى، لا تضجر منه : فسراها كالأخرس، والردى التي سقطت من الإعياء.

(٢) التاطه : ألصقه به وألحقه بنسبه.

احبسْ عليَّ ابنَ لؤيّ جملَك تركك القومُ ولا متــرَكَ لك

مكانة مرة : قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حُصَين، أن عمر بن الخطاب قال : لو كنت مُدَّعِياً حيّاً من العرب، أو مُلْحقهم بنا، لادعيتُ بني مُرة بن عوف، إنا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع، يعني : عوف بن لؤي.

نسب مُرة : قال ابن إسحاق : فهو في نسب غطفان : مُرة بن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان وهم يقولون إذا ذُكر لهم هذا النسب : ما ننكره، وما نجحده، وإنه لأحبُّ النسب إلينا.

وقال الحارث بن ظالم بن جَذِيمة بن يَرْبوع ــ **قال ابن هشام** : أحد بني مُرة بن عَوْف ــ حين هرب من النعمان بن المنذر، فلحق بقريش :

فما قومي بثعلبةَ بنِ سعدٍ ولا بفَــزارة الشُّعْــر الرِّقَابَــا
وقومي ــ إن سألتِ ــ بنو لؤيٍّ بمكةَ علَّمــوا مُضَرَ الضِّرابَــا
سفهنا باتِّبــاع بنــي بغــيضٍ وترْكِ الأقربيـن لنا انتسابَــا
سفاهةَ مُخْلِــفٍ لمَّــا تروَّى هَراقَ الماءَ، واتَّبعَ السَّرَابَــا[1]
فلو طوْوِعتَ ــ عَمْرَك ــ كنتَ فيهم وما أُلفيتُ أنتجِعُ السحابَــا[2]
وخَشَّ رَوَاحةُ القرشي رَحْلي بناجيةٍ ولـم يطــلبْ ثَوابَــا[3]

---

(١) سفاهة مُخْلف : وهو المستقي، وفيه مما لم يذكر :

لعمــرك إننـــي لأحب كعبـــاً وسامــة إخوتــي حبــي الشرابــا

(٢) وما ألفيت أنتجع السحابا : أي : كانوا يغنونني بسببهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب، وارتياد المراعي في البلاد.

(٣) وخَشَّ رَوَاحة القرشي رحلي بناجية. أي : بناقة سريعة يقال : خش السهم بالريش، إذا راشه به، فأراد : راشني وأصلح رحلي بناجية، ولم يطلب ثوابا بمدحه بذلك. =

قال ابن هشام، هذا ما أنشدني أبو عُبَيدة منها.

قال ابن إسحاق : فقال الحصين بن الحُمام المُرِّيّ، ثم أحد بني سهم ابن مُرة يرد على الحارث بن ظالم، وينتمي إلى غطفان :

ألا لستـمُ منـا، ولسنـا إليكـمُ ... بَرئْنا إليكم من لؤيِّ بنِ غالبِ
أقمنا على عِزِّ الحجـازِ، وأنتـمُ ... بمُعْتَلج البطحاء بينَ الأخاشبِ[1]

يعني : قريشا، ثم ندم الحُصَيْن على ما قال، وعرف ما قال الحارث ابن ظالم، فانتمى إلى قريش، وأكذب نفسه، فقال :

نَدِمْتُ على قولٍ مضى كنت قلتُه ... تبيَّنتُ فيـه أنـــه قول كاذب
فليتَ لساني كان نصفين منهما ... بكَيم، ونصفٌ عندَ مجرَى الكواكبِ
أبونـــا كنانـــيٌّ بمكـــةَ قبـــرُه ... بمعتلِـج البطحـاءِ بيـنَ الأخـــاشبِ
لنـا الرُّبـعُ من بيتِ الحـرامِ وِراثـةً ... وربعُ البطاحِ عندَ دارِ ابنِ حاطب[2]

أي أن بني لؤي كانوا أربعة : كعبا، وعامراً، وسامة، وعوفا.

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم أن عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه قال لرجال من بني مُرة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم، فارجعوا إليه.

أشراف مرة : قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافاً في غطفَان،

= ورواحة هذا : هو رواحة بن منقذ بن معيص بن عامر كان قد ربع في الجاهلية ـــ كانوا في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضاً، وغنموا، أخذ الرئيس ربع الغنيمة ـــ.

(١) بمعتلج البطحاء : أي حيث تعتلج السيول، والاعتلاج عمل بقوة. والأخاشب : جبال مكة وقد يقال لكل جبل : أخشب.

(٢) قوله : لنا الرُّبع بضم الراء، يريد : أن بني لؤي كانوا أربعة : أحدهم : أبوهم، وهو عوف، وبنو لؤي هم : أهل الحرم، ولهم وراثة البيت.

هم سادتهم وقادتُهم. منهم : هَرِم بن سنان بن أبي حارثة، وخارجة[1] بن سنان بن أبي حارثة، والحارث بن عَوْف والحُصَيْن بن الحُمام، وهاشم ابن حرملة الذي يقول له القائل :

أحيـا أبـاء هاشمُ بنُ حرملـهْ[2]
يوم الهبـاءات ويـوم اليَعْمَلـهْ
ترى الملـوكَ عنـدَه مغربلـهْ[3]
يقتـل ذا الـذنب، ومـن لا ذنبَ لهْ

قال ابن هشام : أنشدني أبو عُبَيدة هذه الأبيات لعامر الخَصَفِيِّ : خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان :

أحيـا أبـاه هاشمُ بنُ حرملـهْ
يومَ الهبـاءات ويـومَ اليَعْملـهْ
ترى الملـوكَ عنـدَه مُغربلـهْ
يقتلُ ذا الذنبِ، ومن لا ذنب لهْ !!
ورمحُـه للوالـداتِ مُشْكِلَـهْ

قال ابن هشام : وحدثني أن هاشما قال لعامر : قُلْ فيَّ بيتا جيداً

---

(١) خارجة بن سنان الذي تزعم قيس أن الجن اختطفته لتستفحله نساءها لبراعته ونجدته، ونجابة نسله.

(٢) هاشم بن حرملة هو : جد منظور بن زبان بن يسار الذي كانت بنته زجلة عند ابن الزبير، فهو جد منظور لأمه، واسمها : فَهْطِم بنت هاشم. كانت فهطم قد حملت بمنظور أربع سنين، وولدته بأضراسه، فسمي منظورا لطول انتظارهم إياه.

(٣) ترى الملوك حوله مُغْرْبلَة. قيل معناه : منتفخة، وذكروا أنه يقال : غربل القتيل إذا انتفخ، وهذا غير معروف وإن كان أبو عبيد قد ذكره في الغريب المصنّف، وأيضا : فإن الرواية بفتح الباء من مغربلة، وقال بعضهم : معناه : يتخير الملوك فيقتلهم، والذي أراه في ذلك أنه يريد بالغربلة استقصاءهم وتتبُّعهم. (عن الروض الأنف) من تحقيقنا.

أثبْك عليه، فقال عامر البيت الأول، فلم يعجب هاشماً، ثم قال الثاني، فلم يعجبه، ثم قال الثالث، فلم يعجبه، فلما قال الرابع :

يقتل ذا الذنب، ومن لا ذنبَ له !!

أعجبـــــه، فأثابـــــه عليـــــه.[1]

قال ابن هشام : وذلك الذي أراد الكُميْت بن زيد في قوله :

وهـاشم مُرَّة المُفنِـي ملوكـاً بلا ذنب إليـــه ومُذْنبينـــا

وهذا البيت في قصيدة له. وقول عامر : يوم الهباءات، عن غير أبي عبيدة.

قال ابن إسحاق : قوم لهم صيت وذكر في غطفان وقيس كلها، فأقاموا على نسبهم، وفيهم كان البَسْل[2].

أمر البَسْل

تعريف البَسْل : والبَسْل ــ فيما يزعمون ــ نسيئُهم ثمانية أشهر حُرُم، لهم من كل سنة من بين العرب، قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه، ولا يدفعونه، يسيرون به إلى أي بلاد العرب شاءوا، لا يخافون

---

(١) إنما أعجب هاشما هذا البيت ؛ لأنه وصفه فيه بالعز والامتناع، وأنه لا يخاف حاكما يُعْدِي عليه ولا تِرَة من طالب ثأر. وهكذا كانت العرب في جاهليتهم.

(٢) البَسْل وهو الحرام، والبسل أيضا : الحلال، فهو من الأضداد ومنه : بسلة الراقي، أي ما يحل له أن يأخذه على الرقية، وبسل في الدعاء بمعنى : آمين : قال الراجز :

لا خاب مِن نفـــعك من رجـــاك بسلا، وعـــــادى الله من عاداك

وكان عمر بن الخطاب يقول في إثر الدعاء : آمين وبسلا، أي : استجابة.

منهم شيئاً، قال زهير بن أبي سلمى، يعني بني مرة.

نسب زهير بن أبي سلمى : قال ابن هشام : زهير أحد بني مُزَيْنة[1] بن أُد بن طابخة بن الياس بن مضر. ويقال : زُهَير بن أبي سُلْمى من غطفان، ويقال : حليف في غطفان.

تأمل، فإن تُقْوِ المَرْوَرَاة[2] منهم ودارتها لا تُقْويا منهم إذا نَخل
بلاد بها نادمتُهم وأَلِفْتُهم فإن تُقْويا منهم فإنهُم بَسْل

أي : حرام. يقول : ساروا في حرمهم.

قال ابن هشام : وهذان البيتان في قصيدة له.

قال ابن إسحاق : وقال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

أجارتُكم بَسْلٌ علينا مُحَرَّمٌ وجارتُنا حِلٌّ لكم وحليلُها

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له.

أولاد كعب وأمهم : قال ابن إسحاق : فولد كعبُ بنُ لؤي ثلاثة نفر : مُرَّة بن كعب، وعديَّ بن كعب، وهُصَيْص بن كعب. وأُمُّهم : وَحْشِيَّةُ بنت شَيْبان بن محارب بن فِهر بن مالك بن النضر.

---

(١) وذكر زهيراً ونسبه إلى مزينة، وهم بنو عثمان بن عمرو بن الأُطُم بن أد بن طابخة. ومزينة : أمهم، وهي بنت كلب بن وبرة، وأختها : الحوأب بنت كلب التي يعرف بها ماء الحوأب ــ وهو منزل بين البصرة ومكة، وهو الذي نزلته عائشة رضي الله عنها لما جاءت إلى البصرة في وقعة الجمل ــ المذكور في حديث عائشة.

(٢) فإن تُقْوِ الْمَرْوَراة منهم، البيت: وقع في بعض النسخ المرورات بالمد ممدودة، كأنه جمع مَرْوَر، وليس في الكلام مثل هذا البناء، وإنما هو المرورا بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام، فهو فَعْلَعَلَة مثل صَمَحْمَحَة، والألف فيه مقلبة عن واو أصلية، وهذا قول سيبويه جعله مثل : شجرجاه. والمروراة اسم مكان كان فيه هذا الوصف.

أولاد مرة وأمهاتهم : فولد مرةُ بنُ كعب ثلاثة نفر : كلابَ بن مرة، وتَيْمَ بن مرة، وَيَقظةَ[1] بن مرة.

فأم كلاب : هِندٌ بنتُ سُرَير بن ثعلبة بن الحارث بن فِهر بن مالك بن كنانة بن خُزَيمة. وأم يقظة : البارقية، امرأة من بارق، من الأسْد من اليمن. ويقال : هي أم تَيْم. ويقال : تَيْم لهند بنتُ سرَير أم كلاب.

نسب بارق : قال ابن هشام : بارق[2] : بنو عَدِي بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسْد بن الغَوْث، وهم في شَنُوءة. قال الكُمَيْت بن زيد[3] :

وأُزْد شَنوءة انـدرءوا علينـا بِجُمٍّ يحسبون لهـا قرونـا[4]
فما قلنا لبارقَ : قد أسأتم وما قلنـا لبـارقَ : أَعْتِبونـا

قال : وهذان البيتان في قصيدة له : وإنما سُموا ببارق ؛ لأنهم تبعوا البرْقَ.

ولدا كلاب وأمهما : قال ابن إسحاق : فولد كلابُ بنُ مرة رجلين : قُصَيَّ بن كلاب، وزُهْرةَ بن كلاب. وأمهما : فاطمةُ بنت سَعد ابن سَيَل أحد بني الجَدرَة[5]، من جُعْثُمَة الأزد، من اليمن، حلفاء في بني

---

(١) يقظة بن مرة بفتح القاف، وقد وجدته بسكون القاف في أشعار مدح بها خالد بن الوليد، فمنها قول الشاعر :

وأنت لمخـزوم بن يقظـة جُنـة كلا اسميك فيها ماجد وابن ماجد

وأم مخزوم بن يقظة جد بني مخزوم : كلبة بنت عامر بن لؤي.

(٢) بارق، وهم : بنو عدي من الأزْد، وقال : سُموا : ببارق ؛ لأنهم اتبعوا البرق، وقد قيل : إنهم نزلوا عند جبل يقال له : بارق، فسُموا به.

(٣) هو ابن زيد أبو المستهل من بني أسد.

(٤) أي : يناطحون بلا عُدَّة ولا قوة كالكباش الجم التي لا قرون لها، ويحسبون أن لهم قوة.

(٥) الجَدَرَة، وقال: هم بنو عامر بن خزيمة بن جُعْثُمة. انظر قصة « الجدرة » في الروض الأنف من تحقيقنا جـ١ ص ١٢٨.

الدَّيْل[1] بن بكر بن عبد مناف بن كنانة.

نسب جُعْثُمة : قال ابن هشام : ويقال : جعثمة الأسْد، وجعثمة الأزْد، وهو جُعْثُمة بن يَشْكُر بن مُبَشِّر بن صعب دُهْمان بن نصر بن زَهران بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسْد بن الغَوْث. ويقال : جُعْثُمة بن يشكر بن مُبَشِّر بن صَعْب بن نصر بن زَهْران ابن الأسْد بن الغَوْث.

وإنما سُموا الجَدَرَة ؛ لأن عامر بن عمرو بن جُعْثمة[2] تزوج بنت الحارث بن مضاض الجُرْهمي. وكانت جُرهم أصحاب الكعبة. فبنى للكعبة جداراً. فسمى عامر بذلك : الجادر. فقيل لولده : الجَدَرَة لذلك[3].

قال ابن إسحاق : ولسعد بن سَيَل يقول الشاعر :

ما نرى في الناس شخصاً واحداً من علمناه كسعدِ بن سَيَلْ

---

(١) قال السهيلي في الروض الأنف : وأما الدُّول، فالدُّول بن حنيفة، واسم حنيفة : أُثال بن لَجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وهم رهط مسيلمة الكذاب، وفي ربيعة أيضاً، ثم في عمرة : الدُّول بن صباح، وفي الرِّباب : الدول بن حَلّ بن عدي بن عبد مناة بن أُد بن طابخة، وفي الأسْد : الدُّول بن سعد مناة بن غامد.

والذي تقيد عن ابن إسحاق في الدِّيل بن بكر بكسر الدال والياء الساكنة.

والدَّأل على وزن فعل من : دأل يدأل إذا مشى بعجلة، وأما الديل يغير همزة، فكأنه سُمي بالفعل من ديل.

(٢) في بعض النسخ زيادة خزيمة خطأ إنما هو : عمرو بن جعثمة.

(٣) يروى أن السيل ذات مرة دخل الكعبة، وصدع بنيانها، ففزعت لذلك قريش، وخافوا تهدادها إن جاء سيل آخر، وأن يذهب شرفهم ودينهم، فبنى عامر لها جداراً.

فارسا أضبـطَ، فيـــه عُسْرةٌ وإذا ما واقــف القِــرْن نزلْ[1]
فارسا يستدرجُ الخيلَ كما اسـ ـتدرج الحرُّ القطاميُّ الحَجَلْ[2]

قال ابن إسحاق : قوله : كما استدرج الحر. عن بعض أهل العلم بالشعر.

نُعْم بنت كلاب وأمها وولداها : قال ابن هشام : ونُعْم بنت كلاب، وهي أم سعد وسعيد ابني سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ابن لؤيّ، وأمها : فاطمة بنت سعد بن سَيَل.

أولاد قُصي وأمهم : قال ابن إسحاق : فولدُ قُصيٌّ بن كلاب أربعة نفر وامرأتين : عبدَ مناف بن قصي، وعبدَ الدار بن قصي، وعبدَ العزى بن قصي، وعبدَ قصي بن قصي، وتَخْمُر بنت قصي، وبرة بنت قصي، وأمهم : حُبَّى بنت حُلَيْل بن حَبَشِيَّة[3] بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي.

قال ابن هشام : ويقال : حُبْشِيَّة بن سلول.

أولاد عبد مناف وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد عبدُ مناف ــ واسمه : المغيرة بن قُصي ــ أربعةَ نفر : هاشمَ بن عبد مناف،

---

(١) الأضبط : الذي يعمل بكلتا يديه، وهو من صفة الأسد أيضا.
والعُسْرة : الشدة. والاسم منه : أعسر.
والقرن : الشديد في الحرب.

(٢) الحر القطامي : الصقر.

(٣) حُليل بن حُبْشية، والحبشية : نملة كبيرة سوداء، وأن قصيا تزوج حبى بنت حليل، فولدت له عبد مناف وإخوانه، وقال غيره : بل أم عبد مناف : عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان.

وعبد شمس[1] بن عبد مناف، والمطلب بن عبد مناف، وأُمُّهم: عاتكة بنت مُرة بن هلال بن فالج بن ذَكْوان بن ثعلبة بن بُهْثة بن سُلَيْم بن منصور بن عِكرمة، ونَوفل بن عبد مناف، وأمه : واقدة بنت عمرو المازنية. مازن : ابن منصور بن عِكرمة.

قال ابن هشام : فبهذا النسب خالفهم عتبة بن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نُسَيْب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكرمة.

قال ابن هشام : وأبو عمرو، وتُماضر، وقلابة، وحَيَّة، ورَيْطة، وأم الأَحْتَم، وأم سفيان : بنو عبد مناف.

فأُمُّ أبي عمرو : رَيْطة، امرأة من ثقيف، وأم سائر النساء : عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف، وأمها صفية بنت حَوْزة بن عمرو ابن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازِن. وأم صفية : بنت عائذ الله بن سعد العشيرة[2] بن مَذْحج.

أولاد هاشم وأمهاتهم : قال ابن هشام : فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر، وخمسَة نسوة : عبدَ المطلب بن هاشم، وأسدَ بن

---

(١) وكان تلوا لهاشم، ويقال : كانا توأمين، وكانت رجل هاشم أي أصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس، ولم يمكن نزعها إلا بسيلان دم، فكانوا يقولون سيكون بينهما دم، فكان بين ولديهما أي بين بني العباس وبين بني أمية سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة، ووقعت العداوة بين هاشم وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس، لأن هاشما لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف حسد أمية ابن أخيه...

(٢) وقال في أمهات بني عبد مناف : وأما صفية فأمها : بنت عبد الله بن سعد العشيرة ابن مَذْحِج، وهو وَهم، لأن سعد العشيرة بن مذحج هو أبو القبائل المنسوبة إلى مذحج إلا أقلها، فيستحيل أن يكون في عصرها ثـمَّ من هو ابن له لصلبه، ولكن هكذا رواه البرقي عن ابن هشام ورواه غيره : بنت عبد الله من سعد العشيرة، وهي رواية الغساني، وقد قيل فيه : عائذ الله، وهو أقرب إلى الصواب.

هاشم، وأبا صَيْفي بن هاشم، ونَضْلة بن هاشم، والشِّفاء، وخالدة، وضعيفة، ورُقَية، وحَيَّة. فأم عبد المطلب ورقية : سَلْمَى[1] بنت عمرو بن زيد بن لَبيد بن خداش بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار. واسم النجار : تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

وأمها : عَمِيرَة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار. وأم عَمِيرة: سلمى بنت عبد الأشْهل النجَّارية. وأم أسد : قَيْلة بنت عامر بن مالك الخزاعي. وأم أبي صيفي وَحَيَّة : هندٌ بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية. وأم نَضْلة والشفاء : امرأة من قضاعة. وأم خالدة وضعيفة : واقدة بنت أبي عديّ المازنية.

---

(١) وأمها : عُميرة بنت صخر المازنية، وابنها عمرو بن أُحَيْحة بن الجُلاح، وأخوه : معبد، ولدتهما لأحيحة بعد هاشم.

وذكر الدراقطني : أن الحارث بن حبش السلمي، كان أخا هاشم وعبد شمس والمطلب لأمهم، وأنه رثى هاشما لهذه الأخوة، وهذا يقوي أن أمهم عاتكة السُّلمية.

أولاد عبد المطلب بن هاشم

أولاد عبد المطلب وأمهاتهم : قال ابن هشام : فولد عبدُ المطلب بن هاشم عشرةَ نفر، وست نسوة : العباس، وحمزة وعبد الله، وأبا طالب ــ واسمه: عبد مناف[1] ــ والزبير[2]، والحارث، وحَجْلا[3]، والمقوِّم[4]، وضِرارا، وأبا لهب[5] ــ واسمه عبد العُزَّى ــ وصفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأُمَيْمة، وأرْوَى، وَبرَّة.

---

(١) وله يقول عبد المطلب :

أوصيك يا عبد مناف بعدي بمؤتم بعد أبيه فرد
مات أبوه وهو حلف المهد

(٢) الزبير، وهو أكبر أعمام النبي ــ ﷺ ــ وهو الذي كان يُرْقِص النبي ــ ﷺ ــ وهو طفل ويقول :

محمد بن عبدم عشت بعيش أنعم
في دولة ومغنم دام سجيس الأزلم

وبنته : ضباعة كانت تحت المقدام. وعبدالله ابنه : مذكور في الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ وكان الزبير ــ رضي الله عنه ــ يكنى أبا الطاهر بابنه : الطاهر، وكان من أظرف فتيان قريش، وبه سمى رسول الله ــ ﷺ ــ ابنه الطاهر. وأخبر الزبير عن ظالم كان بمكة أنه مات فقال : بأي عقوبة كان موته ؟ فقيل: مات حتف أنفه، فقال : وإن، فلا بد من يوم ينصف الله فيه المظلومين، ففي هذا دليل على إقراره بالبعث.

(٣) جحلاً : بتقديم الجيم على الحاء، هكذا رواية الكتاب. وقال الدارقطني : هو حَجْل بتقديم الحاء. وقال : جحل بتقديم الجيم هو : الحكم بن جحل. والجحل : السقاء الضخم. والجحل : الحرباء. وذكر ابن دريد أن اسم جحل : مُصعب. وقال غيره : كان اسمه : مُغيرة، وجحل : لقب له. وقال أبو حنيفة الدينوري : كل شيء ضخم فهو : جحل، وجحل : هو الغَيْداق، والغيداق : ولد الضب.

(٤) المقوم لم يعقب إلا بنتا اسمها : هند.

(٥) واسمه : عبد الْعُزَّى، وكني : أبا لهب لإشراق وجهه وكان تَقْدِمة من الله ــ تعالى ــ لما صار إليه من اللهب. وأمه : لُبنى بنت هاجِر بكسر الجيم من بني ضاطرة بضاد منقوطة. واللبنى في اللغة : شيء يتميع من بعض الشجر.

فأمُّ العباس وضرار : نُتَيْلةُ بنت جَناب بن كُليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر ــ وهو الضَّحْيان ــ بن سعد بن الخزرج بن تَيْم اللات بن النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أفْصَى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويقال : أفصى بن دُعْمِيٍّ بن جديلة.

وأم حمزة والمقوَّم وحَجْل ــ وكان يلقب بالغَيْداق لكثرة خيره، وسعة ماله ــ وصفية : هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ.

وأم عبدِ الله، وأبي طالب، والزبير، وجميع النساء غير صفية : فاطمةُ بنت عَمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر.

وأمها : صخرةُ بنت عَبْد بن عِمران بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر.

وأم صخرة : تَخْمر بنت عبد بن قُصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر.

وأم الحارث بن عبد المطلب : سمراء بنت جُنْدب بن جُحَيْر بن رِئاب بن حبيب بن سُوَاءَة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة.

وأم أبي لهب : لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حُبْشِيَّة ابن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي.

أم رسول الله ﷺ وأمهاتها : قال ابن هشام : فولد عبدُ الله بن عبد المطلب : رسولَ الله ــ ﷺ ــ سيد ولد آدم، محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله.

وأمه : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة[1] بن كلاب بن مُرة ابن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر.

وأمها : بَرَّة بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر.

وأم برة : أم حبيب بنت أسَد بن عبد العُزى بن قُصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأم أم حبيب : بَرَّة[2] بنت عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيْج بن عَدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

قال ابن هشام : فرسول الله ــ ﷺ ــ أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قِبل أبيه وأمه ــ ﷺ[3].

---

(١) في المعارف لابن قتيبة : أن زُهرة اسم امرأة عرف بها بنو زُهرة، وهذا منكر غير معروف، وإنما هو اسم جدهم. ــ كما قال ابن إسحاق : والزهرة في اللغة : إشراق في اللون، أيِّ لون كان من بياض أو غيره. وزعم بعضهم أن الأزهر هو الأبيض خاصة، وأن الزهر اسم للأبيض من النوار، وخطأ أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات من قال بهذا القول، وقال : إنما الزهرة إشراق في الألوان كلها. وزهرة هو : ابن كلاب.

(٢) ذكر في آخر أمهاته ــ ﷺ ــ برة بنت عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدي وهن كلهن قرشيات ؛ ولذلك وقف في بَرَّة، وإن كان قد ذكر أهل النسب بعد هذا : أم برة، وأم أمها، وأم أم الأم، ولكنهن من غير قريش، قال محمد بن حبيب النسابة : وأم برة : قِلاية بنت الحارث بن مالك بن طابخة بن صعصعة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هُذيل، وأم قلابة : أميمة بنت كهف الظلم من ثقيف، وذكر الزبير قلابة بنت الحارث، وزعم أن أباها الحارث كان يكنى : أبا قلابة، وأنه أقدم شعراء هُذَيل.

(٣) فهو ﷺ خيار من خيار من خيار.

حديث مولد رسول الله ﷺ

احتفار زمزم : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال : وكان من حديث رسول الله ــ ﷺ ــ ما حدثنا به زياد بن عبد الله البَكَّائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي : بينما عبد المطلب بن هاشم نائم في الحِجْر، إذ أُتي ؛ فأُمر بحفر زمزم، وهي دَفْن بين صنَمَيْ قريش : إسَاف ونائلة، عند منحر قريش. وكانت جُرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة، وهي : بئر إسماعيل بن إبراهيم ــ عليهما السلام ــ التي سقاه الله حين ظمئ وهو صغير، فالتمست له أمه ماءً فلم تجدْه، فقامت إلى الصفا تدعو الله، وتستغيثه لإسماعيل، ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك. وبعث الله تعالى جبريلَ عليه السلام، فهمز له بِعَقِبه[1] في الأرض، فظهر الماء، وسمعت أمُّه أصواتَ السباع فخافتها عليه، فجاءت تشتد نحوه، فوجدته يفحص بيدِه عن الماء من تحت خده ويشرب، فجعلته حِسْياً[2].

(١) ومن هنا كانت زمزم تسمى : هَمْزَة جبريل بتقديم الميم على الزاي، ويقال فيها أيضاً : هزمة جبريل، لأنها هَزْمَة ــ النقرة، وهزمت البئر : حفرتها ــ في الأرض، وحكي في اسمها : زُمَازِمُ وزَمْزم : حكي ذلك عن المُطرز، وتسمى أيضاً : طعام طُعْم، وشِفاء سُقْم. وقال الجُرْبِي : سميت زمزم، بزمزمة الماء، وهي صوته، وقال المسعودي : سميت زمزم ؛ لأن الفُرس كانت تحج إليها في الزمن الأول، فزمزمت عليها. والزمزمة : صوت يخرجه الفُرس من خياشيمها عند شرب الماء : وقد كتب عمر ــ رضي الله عنه ــ إلى عماله : أن انهوا الفرس عن الزمزمة، وأنشد المسعودي :

زمزمت الفُرس على زمزم ... وذاك في سالفها الأقدم

وذكر البرقي عن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ أنها سميت : زمزم لأنها زُمَّتْ بالتراب ؛ لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا، ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء. وقال ابن هشام : والزمزمة عند العرب : الكثرة والاجتماع.

(٢) الحسي : الحفيرة الصغيرة، أو هو ما يختفي في الرمل، فإذا نبش ظهر.

أمر جُرْهم ودفن زمزم

ولاة البيت من ولد إسماعيل : قال ابن هشام : وكان من حديث جُرْهُم، ودفنها زمزم، وخروجها من مكة، ومن ولي أمر مكة بعدها إلى أن حفر عبدُ المطلب زمزم، ما حدثنا به زيادُ بن عبد الله البَكَّائي عن محمد بن إسحاق المطلبي، قال : لما توفي إسماعيل بن إبراهيم وَلِيَ البيتَ بعده ابنُه نابت بن إسماعيل ــ ما شاء الله أن يليَه ــ ثم ولي البيت بعده : مُضاض بن عَمرو الجَرْهمي.

قال ابن هشام : ويقال : مِضاض بن عمرو الجرْهمي.

بغي جرهم وقطوراء : قال ابن إسحاق : وبنو إسماعيل وبنو نابت مع جدِّهم : مُضَاض بن عمرو وأخوالهم من جُرْهم[1]، وجرهم وقَطُوراء[2] يومئذ أهل مكة، وهما ابنا عَمٍّ، وكانا ظَعنا من اليمن، فأقبلا سيَّارةً، وعلى جُرْهم : مُضَاض بن عمرو، وعلى قطوراء : السَّمَيْدع[3]

---

(١) هو قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ويقال : جرهم بن عابر، وقد قيل : إنه كان مع نوح ــ عليه السلام ــ في السفينة، ذلك أنه من ولد ولده، وهم من العرب العاربة، ومنهم تعلم إسماعيل العربية. وقيل إن الله تعالى أنطقه بها إنطاقاً، وهو ابن أربع عشرة سنة.

(٢) هو قطوراء : بن كَرْكر.

(٣) هو السميدع بن هوثر ــ بثاء مثلثة ــ قيدها البكري ــ ابن لاي بن قطورا بن كركر بن عِملاق، ويقال : إن الزَّبّاء الملكة كانت من ذريته، وهي بنت عمرو بن أُذَيْنة بن ظَرِب ابن حسان، وبين حسان وبين السميدع آباء كثيرة، ولا يصح قول من قال : إن حسان ابنه لصلبه، لبعد زمن الزباء من السميدع.

رجل منهم. وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم مَلك يقيم أمرهم. فلما نزلا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشجر، فأعجبهما فنزلا به. فنزل مُضاض[1] بن عمرو بمن معه من جرهم بأعلى مكة بقُعَيْقِعَان[2]، فما حاز. ونزل السَّمَيْدع بقطوراء، أسفل مكة بأجياد[3]، فما حاز : فكان مُضاض يعشِّر من دخل مكة من أعلاها، وكان السَّمَيدع يعشِّر من دخل مكة من أسفلها، وكلٌّ في قومه لا يدخل واحد منهما على صاحبه. ثم إن جُرهم وقطوراء بغى بعضُهم على بعض، وتنافسوا الملك بها، ومع مُضاض يومئذ : بنو إسماعيل وبنو نابت، وإليه ولاية البيت دون السَّمَيدع فصار بعضهم إلى بعض، فخرج مُضاض بن عمرو بن قُعَيْقعان في كتيبته سائرا إلى السَّمَيدع، ومع كتيبته عدتها من الرماح والدَّرَق والسيوف والجعاب، ويُقَعقع بذلك معه، فيقال : ما سمي قُعَيقعان : بقعيقعان إلا لذلك. وخرج السَّميدع من أجياد، ومعه الخيل والرجال، فيقال : ما سمي أَجْياد : إلا لخروج الجياد من الخيل مع السَّمَيدع منه فالتقوْا بفاضح، واقتتلوا قتالا شديداً، فقُتل السَّمَيْدع، وفُضحت قطوراء : فيقال

---

(١) هو الحارث بن مضاض الأكبر بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هيّ ابن بنت جرهم.

(٢) قعيقعان : سمي بهذا الاسم حين نزل تُبع مكة، ونحر عندها وأطعم، ووضع أسلحة جنده بهذا المكان، فسمي : قعيقعان لقعقعة السلاح فيه.

(٣) أجياد : لم يسم بأجياد من أجل جياد الخيل، لأن جياد الخيل لا يقال فيها : أجياد، وإنما أجياد : جمع جيد .
وذكر أصحاب الأخبار أن مُضاضا ضرب في ذلك أجياد مائة رجل من العمالقة، فسمي الموضع : بأجياد، وهكذا ذكر ابن هشام، ومن شعب أجياد تخرج دابة الأرض التي تكلم الناس قبل يوم القيامة، كذلك روي عن صالح مولى التَّوأمة. عن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضي الله عنهما.

ما سمي فاضح : فاضحا إلا لذاك. ثم إن القوم تداعَوْا إلى الصلح، فساروا حتى نزلوا المطابخ : شِعْبا بأعلى مكة، واصطلحوا به، وأسلموا الأمر إلى مُضَاض. فلما جُمع إليه أمر مكة، فصار ملكهَا نحر للناس فأطعمهم، فاطَّبخ الناس وأكلوا، فيقال : ما سُميت المطابخ إلا لذلك. وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت المطابخ، لما كان تُبع نحر بها، وأطعم، وكانت منزله. فكان الذي كان بين مُضاض والسَّميدع أول بَغْي كان بمكة فيما يزعمون.

انتشار ولد إسماعيل : ثم نشر اللهُ ولدَ إسماعيل بمكة، وأخوالهم من جرهم ولاة البيت والحكام بمكة، لا ينازعهم ولدُ إسماعيل في ذلك لخئولتهم وقرابتهم، وإعظاما للحرمة أن يكون بها بغي أو قتال. فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد، فلا يناوئون قوما إلا أظهرهم الله عليهم ــ بدينهم ــ فوطِئوهم.

بغي جرهم ونفيهم عن مكة

بنو بكر وغبشان يطردون جرهما : ثم إن جُرْهمًا بغوا بمكة، واستحلوا خلالاً من الحرمة، فظلموا من دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهدَى لها[1]، فرقَّ أمرهم. فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كِنانة وغُبْشان من خُزاعة ذلك، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة ؛ فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا، فغلبتهم بنو بكر وغُبْشان، فنفَوْهم من مكة. وكانت مكة في الجاهلية لا تُقر فيها ظلماً ولا بغياً، ولا يبغي فيها أحدٌ إلا أخرجته، فكانت تسمى : الناسَّة، ولا يريدها ملك يستحل حرمتَها إلا هلك مكانَه، فقال : إنها ما سميت ببكة إلا أنها كانت تبك[2] أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئاً.

معنى بكة : قال ابن هشام : أخبرني أبو عبيدة : أن بكَّة اسم لبطن مكة ؛ لأنهم يتباكون فيها، أي : يزدحمون، وأنشدني :

إذا الشَّريبُ أخذتْـــه أكَّـــه فَخَلِّـــه حتـــى يَبُكَّ بكَّـــه

---

(١) فمن ذلك أن إبراهيم عليه السلام، كان احتفر بئرا قريبة القَعْر عند باب الكعبة، كان يلقي فيها ما يهدى إليها، فلما فسد أمر جرهم سرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة، فيذكر أن رجلا منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة، فسقط عليه حجر من شَفير البئر فحبسه فيها. ثم أرسلت على البئر حية لها رأس كرأس الجدي، سوداء المَتْن، بيضاء البطن، فكانت تهيب مَنْ دنا من بئر الكعبة، وقامت في البئر ــ فيما ذكروا ــ نحواً من خمسمائة عام.

(٢) أي تكسرهم وتقعدهم، وقيل : من التَّباك، وهو : الازدحام، ومكة من تمككت العظم، إذا اجتذبت ما فيه من المخ، وتمكك الفصيل ما في ضرع الناقة، فكأنها تجتذب إلى نفسها ما في البلاد من الناس والأقوات التي تأتيها في المواسم.

وقيل : لما كانت في بطن واد، فهي تمكك الماء من جبالها وأخاشبها عند نزول المطر وتنجذب إليها السيول. ومن أسماء مكة أيضاً : الرأس، وصلاح، وأم رحم، وكُوثي.

أي : فدعه حتى يبك إبلَه، أي يخليها إلى الماء، فتزدحم عليه، وهو موضع البيت والمسجد، وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زَيد مَناة بن تميم.

قال ابن إسحاق : فخرج عَمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن، فدفنهما في زمزم وانطلق هو ومن معه من جُرهم إلى اليمن، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديداً فقال عَمرو بن الحارث بن مُضاض في ذلك[1]، وليس بمُضاض الأكبر :

وقائلةٍ والدمعُ سكْبٌ مُبادرُ ... وقد شَرِقَتْ بالدمعِ منها المحاجرُ
كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُر بمكةَ سامرُ[2]
فقلتُ لها والقلبُ مني كأنما ... يُلَجْلجه بين الجناحين طائرُ
بلى نحن كنا أهلَها، فأزالَنا ... صروفُ الليالي، والجدودُ العواثرُ
وكنا ولاةَ البيت من بعدِ نابتٍ ... نطوفُ بذاك البيتِ، والخيرُ ظاهرُ
ونحن ولينا البيتَ من بعد نابتٍ ... بعزٍّ، فما يحْظَى لدينا المكاثِرُ
مَلَكْنا فعزَّزْنا فأعْظِمْ بمُلكنا ... فليس لحيٍّ غيرنا ثَمَّ فاخِرُ
ألم تُنكحوا من خيرِ شخصٍ علمتُه ... فأبناؤُه منا، ونحنُ الأصاهرُ[3]
فإن تَنْثنِ الدنيا علينا بحالِها ... فإن لها حالاً، وفيها التشَاجُرُ
فأخرجنا منها المليكُ بقُدرةٍ ... كذلك – يا لَلناس – تجري المقادِرُ

---

(١) وكان الحارث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هيّ ابن بنت جرهم الجرهمي قد نزل بقنوني من أرض الحجاز، فضلت له إبل، فبغاها حتى أتى الحرم، فأراد دخوله، ليأخذ إبله، فنادى عمرو بن لحي : من وجد جرهميا، فلم يقتله، قطعت يده. فسمع بذلك الحارث، وأشرف على جبل من جبال مكة، فرأى إبله تنحر، ويتوزع لحمها، فانصرف بائساً خائفاً ذليلا، وأبعد في الأرض، وهي غربة الحارث بن مضاض التي تضرب بها المثل.

(٢) الحجون : بفتح الحاء كانت على فرسخ وثلث من مكة.

(٣) خير شخص : هو إسماعيل عليه السلام.

أقول إذا نام الخليُّ ــ ولم أَنَمْ : إذا العرش لا يبعد سُهيلٌ وعامرُ [1]
وبُدِّلت منها أَوْجُهاً لا أحبُّها قبائلُ منها حِمْيَر ويُحابرُ
وصِرنا أحاديثاً وكنا بغبْطةٍ بذلك عضتنا السُّنون الغوابرُ
فسَحَّت دموعُ العينِ تبكي لبلدةٍ بها حَرَمٌ أَمْنٌ، وفيها المشاعرُ [2]
وتبكي لبيت ليس يُؤذَى حَمامُه يظلُّ به أَمْنا، وفيه العصافرُ [3]
وفي وُحوشٌ ــ لا تُرامُ ــ أنيسةٌ إذا خرجَتْ منه، فليستْ تُغادرُ [4]

قال ابن هشام : « فأبناؤه منا » عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق : وقال عَمرو بن الحارث أيضاً يذكر بكرا وغُبْشان وساكني مكة الذين خَلَفوا فيها بعدهم :

يا أيها الناس سيروا إن قصْرَكم أن تُصْبحوا ذاتَ يوم لا تَسيرونا [5]
حُثوا المطيَّ، وأرخوا من أزمَّتِها قبلَ الممات، وقَضُّوا ما تقضُّونا
كنا أناساً كما كنتم، فغيرنا دهرٌ، فأنتم كما كنا تكونونا

قال ابن هشام : هذا ما يصح له منها، وحدثني بعض أهل العلم

---

(١) عامر : جبل من جبال مكة، يدل على ذلك قول بلال رضي الله عنه
* وهل يبدُوَنَّ لي عامر وطفَيل *

(٢) المشاعر : أماكن التعبد في الحج.

(٣) أراد : العصافير، وحذف الياء ضرورة، ورفع العصافير على المعنى، أي : وتأمن فيه العصافير، وتظل به أمناً، أي : ذات أمن، ويجوز أن يكون أمنا جمع آمن مثل : ركب جمع : راكب.

(٤) وبعد هذا البيت :
ولم يتربع واسطاً وجَنُوبه إلى السر من وادي الأراكة حاضر
وأبدلني ربي بها دار غربة بها الجوع باد، والعدو المحاصر
والمراد بواسط هنا : الجبل الذي كان يجلس عنده المساكين،عند الذهاب إلى منى.

(٥) قصركم : نهايتكم.

بالشعر : أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب، وأنها وُجدت مكتوبة في حَجَرٍ باليمن[1]، ولم يُسم لي قائلها.

---

(١) ذكر السهيلي هذه الأبيات وقال : وألفيت في كتاب أبي بحر سفيان بن العاصي خبرا لهذه الأبيات، وأسنده أبو الحارث محمد بن أحمد الجعفي عن عبد الله بن عبد السلام البصري، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن سليمان التمار، قال أخبرني ثقة عن رجل من أهل اليمامة، قال : وُجد في بئر باليمامة ثلاثة أحجار، وهي بئر طَسْم وجَديس في قرية يقال لها : مُعْنِق، بينها وبين الحجر ميل، وهم من بقايا عاد، غزاهم تبع، فقتلهم، فوجدوا في حجر من الثلاثة الأحجار مكتوباً :

يأيها الملك الذي ... بالمُلك ساعده زمانهْ
ما أنت أول من علا ... وعلا شئون الناس شانُه
أقصر عليك مراقبا ... فالدهر مخذول أمانُه
كم من أشَمَّ مُعَصب ... بالتاج مرهوب مكانُه
قد كان ساعده الزمان ... وكان ذا خَفْض جنانُه
تجري الجداول حوله ... للجند مُتْرَعة جِفانُه
قد فاجأته منيةٌ ... لم يُنجه منها اكتنانُه
وتفرقت أجناده ... عنه، ونـاح به قيانُه
والدهر من يَعْلِقْ به ... يطحنْه، مُفترشا جرانه
والناس شتى في الهوى ... كالمرء مختلف بنانُه
والصدق أفضل شيمة ... والمرء يقتله لسانه
والصمت أسعد للفتى ... ولقد يُشَرفه بيانُه

ووجد في الحجر الثاني مكتوباً أبيات :

كل عيش تَعِلةْ ... ليس للدهر خَلةْ
يوم بُؤسَى ونُعْمَى ... واجتماع وقلةْ
جنا العيش والتكاثرَ ... جهلٌ وضلَّةْ
بينما المرءُ ناعمٌ ... في قصورٍ مُظِلَّةْ
في ظلال ونعمة ... ساحبا ذيلَ حُلةْ
لا يرى الشمس مِلغضا ... رة إذا زل زلةْ
لم يُقلها، وبَدَّلَتْ ... عِزة المرء ذلةْ
آفة العيش والنعيم ... كُرور الأهِلَّةْ
وصْل يوم بليلة ... واعتراض بِعِلةْ =

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق : ثم إن غُبْشان من خُزاعة وَلِيَتْ البيتَ دون بني بكر ابن عبد مناة، وكان الذي يليه منهم : عمرو بن الحارث الغُبْشاني، وقريش إذ ذاك حُلول وصِرَم، وبيوتات، متفرقون في قومهم من بني كنانة، فوليت خُزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى كان آخرهُم حُلَيْل بن حَبَشية بن سَلول بن كعب بن عَمرو الخُزاعي.

قال ابن هشام : يقال حُبْشية بن سلول.

تزوج قُصيّ بن كلاب حُبَّى بنت حليل

أولاد قُصيّ وحُبَّى : قال ابن إسحاق : ثم إن قُصيّ بن كلاب خَطب إلى حُليل بن حُبْشية بنته حُبَّى، فرغب فيه حُليل فزوجه، فولدت له عبدَ الدار، وعبدَ مناف، وعبد العُزَّى، وعبداً. فلما انتشر ولد قُصيّ، وكثر مالُه، وعظم شرفه هلك حُلَيل.

= والمنايا جواثم ... كالصقور المدلهْ
بالذي تكره النفو ... س عليها مُطلهْ

وفي الحجر الثالث مكتوبا :

يأيها الناس سيروا إن قصدكم ... أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حُثُّوا الْمَطِيَّ، وأرخوا من أزمتها ... قبل الممات وقَضُّوا ما تقضونا
كنا أناساً كما كنتم فغيرنا ... دهر فأنتم كما كنا تكونونا

للمزيد انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ١٣٩ ــ ١٤١.

مساعدة رزاح لقصي في تولي أمر البيت : فرأى قصي أنه أوْلَى بالكعبة وبأمر مكة من خُزاعة وبني بكر، وأن قُريشا قُرْعةُ[1] إسماعيل بن إبراهيم وصريحُ ولده. فكلم رجالا من قريش، وبني كنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبني بكر من مكة، فأجابوه[2]. وكان ربيعة بن حرام من عُذْرة بن سعد بن زيد قد قدم مكة بعدما هلك كلاب، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سَيَل، وزُهْرة يومئذ رجل، وقُصى فطيم، فاحتملها إلى بلاده، فحملت قُصيا معها، وأقام زُهرة، فولدت لربيعة رِزاحاً. فلما بلغ

---

(١) هكذا بالقاف، وهي الرواية الصحيحة وفي بعض النسخ : فرعة بالفاء، والقُرْعة بالقاف هي، نخبة الشيء، وخياره، وقريع القبيلة : سيدها، ومنه اشتق الأقرع للأقرع بن حابس وغيره ممن سُمِّي من العرب بالأقرع.

(٢) لم يذكر من سبب انتقال ولاية البيت من خزاعة إلى قصي أكثر من أن قصيا رأى نفسه أحق بالأمر منهم، وذكر غيره أن حُلَيْلا كان يُعطي مفاتيح البيت ابنته حُبَّى، حين كبر وضعف، فكانت بيدها، وكان قصي ربما أخذها في بعض الأحيان، ففتح البيت للناس وأغلقه، ولما هلك حليل أوصى بولاية البيت إلى قصي، فأبت خزاعة أن تُمضي ذلك لقصي، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة، وأرسل إلى رزاح أخيه يستنجده عليهم.

ويذكر أيضا أن أبا غُبْشَان من خزاعة، واسمه : سليم ــ وكانت له ولاية الكعبة ــ باع مفاتيح الكعبة من قصي بزِقٍّ خمر، فقيل : « أخسر من صفقة أبي غبشان » ذكره المسعودي والأصبهاني في الأمثال وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولد مضر إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار، وبغت فيه إياد أخرجتهم بنو مضر بن نزار وأجلوهم عن مكة، فعمدوا في الليل إلى الحجر الأسود، فاقتلعوه، واحتملوه على بعير فرزح البعير به، وسقط إلى الأرض، وجعلوه على آخر، فرزح أيضاً، وعلى ثالث ففعل مثل ذلك، فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا، فلما أصبح أهل مكة، ولم يرَوْه، وقعوا في كرب عظيم، وكانت امرأة من خزاعة قد بَصُرت به حين دُفن، فأعلمت قومها بذلك، فحينئذ أخذت خزاعة على ولاة البيت أن يتخَلَّوْا لهم عن ولاية البيت، ويدلوهم على الحجر، ففعلوا ذلك، فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صيرها أبو غُبْشَان إلى عبد مناف، هذا معنى قول الزبير.

قُصي وصار رجلا أتى مكة [1]، فأقام بها، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه من أمه، رِزاح بن ربيعة، يدعوه إلى نصرته، والقيام معه، فخرج رِزاح بن ربيعة، ومعه : إخوته حُنُّ بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة، وجُلْهُمة بن ربيعة، وهم لغير أمه فاطمة، فيمن تبعهم من قضاعة في حاجِّ العرب، وهم مجمعون لنصرة قُصيّ. وخزاعة تزعم أن حُلَيل بن حُبْشية أوصى بذلك قُصيا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر. وقال : أنت أولى بالكعبة، وبالقيام عليها، وبأمر مكة من خزاعة، فعند ذلك طلب قُصيّ ما طلب ، ولم نسمع ذلك من غيرهم، فالله أعلم أي ذلك كان.

ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر يلي الإجازة للناس بالحج من عرفة، وولده من بعده، وكان يقال له ولولده : صُوفة [2].

---

(١) كان قصيّ رضيعا حين احتملته أمه مع بعلها ربيعة، فنشأ ولا يعلم لنفسه أبا إلا ربيعة، ولا يدعى إلا له، فلما كان غلاما يفعة أو حَزَوّراً « دون البلوغ » سابّه رجل من قضاعة، فعيره بالدعوة، وقال : لست منا، وإنما أنت فينا مُلْصق، فدخل على أمه وقد وجم لذلك فقالت له : يا بني صدق، إنك لست منهم، ولكن رهطك خير من رهطه، وآباؤك أشرف من آبائه، وإنما أنت قرشي، وأخوك وبنو عمك بمكة، وهم جيران بيت الله الحرام، فدخل في سيارة حتى أتى مكة، والمعروف أن اسمه : زيد، وإنما كان قصيا أي بعيداً عن بلده فسمي : قصيا.

(٢) قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفات يقال لكل من ولي من البيت شيئاً من غير أهله. أو قام بشيء من خدمة البيت، أو بشيء من أمر المناسك يقال لهم : صوفة وصوفات. قال أبو عبيدة : لأنه بمنزلة الصوف، فيهم القصير والطويل والأسود والأحمر ليسوا من قبيلة واحدة. =

وإنما وَلِيَ ذلك الغوثُ بن مُر، لأن أمه كانت امرأة من جُرهم، وكانت لا تلد، فنذرت لله إن هي ولدت رجلا : أن تَصَدَّق به على الكعبة عبداً لها يخدمها، ويقوم عليها، فولدت، فكان يقوم على الكعبة الدهر الأول مع أخواله من جُرهم، فوَلِيَ الإجازة بالناس من عرفة ؛ لمكانه الذي كان به من الكعبة، وولدُه من بعده حتى انقرضوا. فقال مُرُّ ابن أُدّ لوفاء نذر أمه :

إني جعلتُ ربِّ من بَنيَّهْ ربيطةً بمكةَ العليَّهْ
فبارِكَنَّ لي بها أليَّه واجعلْه لي من صالح البريَّهْ

وكان الغوْثُ بن مُرّ ــ فيما زعموا ــ إذا دفع بالناس قال :

لَاهُمَّ إني تابعٌ تَبَاعَهْ إن كان إثمٌ فعلى قُضَاعَهْ[1]

صوفة ورمي بالجمار : قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عبَّاد ابن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال :

كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، وتجيز بهم إذا نَفَروا من منى فإذا

= وذكر أبو عبد الله أنه حدثه أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال : إنما سمي الغوث بن مرة : صوفة، لأنه كان لا يعيش لأمه ولد، فنذرت: لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة، ولتجعلنه ــ ربيطاً للكعبة، ففعلت فقيل له : صوفة، ولولده من بعده، وهو الربيط. وحديث إبراهيم بن المنذر عن عمر بن عبد العزيز بن عمران، قال : أخبرني عقال بن شبة قال : قالت أم تميم بن مر ــ وولدت نسوة ــ فقالت : لله عليَّ لئن ولدت غلاماً لأعبَّدنَّه للبيت، فولدت الغوث، وهو أكبر ولد مر، فلما ربطته عند البيت أصابه الحر، فمرت وقد سقط وذوى واسترخى فقالت : ما صار ابني إلا صوفة، فسُمي صوفة.

(١) سبب قوله : إن كان إثما فعلى قضاعة. إنما خص قضاعة بهذا ؛ لأن منهم محلين يستحلون الأشهر الحرم، كما كانت خثعم وطيِّئ تفعل، وكذلك كانت النسأة تقول إذا حرمت صفراً أو غيره من الأشهر بدلا من الشهر الحرام يقول قائلهم : قد حرمت عليكم الدماء إلا دماء المُحِلِّين.

كان يوم النفر أتوا لرمي الجمار، ورجل من صُوفة يرمي للناس، لا يرمون حتى يرمي. فكان ذوو الحاجات المتعجِّلون يأتونه، فيقولون له : قم فارم حتى نرمي معك، فيقول لا والله، حتى تميل الشمس، فيظل ذوُو الحاجات الذين يحبون التعجلَ يرمونه بالحجارة، ويستعجلونه بذلك، ويقولون له : ويلك ! قمْ فارمِ، فيأبَى عليهم، حتى إذا مالت الشمسُ، قام فرمى ورمى الناس معه.

قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رمْي الجمار، وأرادوا النَّفْر من مِنًى، أخذت صوفة بجانبي العقبة، فحبسوا الناسَ وقالوا : أجيزي صوفة، فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا، فإذا نفرت صوفة ومضت، على سبيل الناس، فانطلقوا بعدَهم، فكانوا كذلك، حتى انقرضوا، فورثهم ذلك من بعدهم بالقُعْدد[1] بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، وكانت من بني سعد في آل صفوان بن الحارث بن شجْنَة.

نسب صفوان بن جُناب : قال ابن هشام : صفوان بن جُناب بن شِجْنَة بن عُطارد بن عَوْف بن كعب بن سعد بن زيد مُناة بن تميم.

صفوان وبنوه وإجازتهم للناس بالحج : قال ابن إسحاق : وكان صفوان هو الذي يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعدِه، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام : كَرِب بن صفوان. وقال أوْس ابن تميم بن مِغراء السعديُّ :

لا يبرح الناسُ ما حجوا مُعَرَّفَهم حتى يقال : أجيزوا آل صفوانا

قال ابن هشام : هذا البيت في قصيدة لأوس بن مِغْراء.

---

(١) أي بالقرابة، وذلك أن سعداً هو : ابن زيد مناة بن تميم بن مر.

ما كانت عليه عَدْوان من إفاضة المزدلفة

ذو الإصبع يذكر هذه الإفاضة : وأما قول ذي الإصْبع[1] العَدْواني، واسمه حُرْثان بن عَمرو، وإنما سُمي ذا الإصبع ؛ لأنه كان له إصبع فقطعها :

عذيـــرَ الحـــي من عَدْوا ... نَ كانـــوا حَيَّـــةَ الأرض[2]
بغَـــى بعضُهـــم ظلمـــاً ... فلـــم يُرْعِ علـــى بعضِ
ومنهـــــم كانت السادا ... تُ والموفـــون بالقَـــرْضِ
ومنهـــم من يجيـــزُ النـــا ... سَ بالسُّنـــةِ والفَـــرضِ
ومنهـــم حَكَـــمٌ يقـــ ... ـضي فلا يُنـــقَضُ ما يَقْضِي

أبو سيارة يفيض بالناس : وهذه الأبيات في قصيدة له ــ فلأن الإفاضة من المُزدلفَة كانت في عَدوان ــ فيما حدثني زياد بن عبد الله البكَّائي عن محمد بن إسحاق ــ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى

---

(١) ذو الإصبع هو : حُرثان بن عمرو، ويقال فيه : حُرثان بن الحارث بن مُحرِّث بن ربيعة بن هُبيرة بن ثعلبة بن ظَرِب، وظرب هو : والد عامر بن الظرب الذي كان حكم العرب. وكان قد خرف، حتى تفلت ذهنه، فكانت العصا تقرع له إذا تكلم في نادي قومه تنبيها له ؛ لئلا تكون له السقطة في قول أو حكم. وكذلك كان ذو الإصبع، كان حكماً في زمانه، وعمر ثلاثمائة سنة، ويسمى ذا الإصبع ؛ لأن حية نهشته في إصبعه.

(٢) يقال فلان حية الأرض، وحية الوادي ؛ إذا كان مهيباً يُذعر منه، كما قيل :
يا مُحْكم بن طفيـل قد أتيـح لكـم ... لله در أبيكـم حيـــة الـــوادي
يعني بحية الوادي : خالد بن الوليد رضي الله عنه.
وعذير الحي من عدوان. نصب عذيراً على الفعل المتروك إظهاره، كأنه يقول : هاتوا عذيره، أي : من يعذره، فيكون العذير بمعنى : العاذر، ويكون أيضاً بمعنى : العذر مصدرا كالحديث ونحوه.

كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيَّارة، عُمَيْلة بن الأعزَل،[1] ففيه يقول شاعر من العرب :

نحن دفعنا عن أبي سيَّاره ... وعن مواليه بني فزارهْ
حتى إجاز سالما حِمارهْ ... مستقبِل القبلة يدعو جارَهْ

قال : وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان له، فلذلك يقول : « سالما حماره »[2].

أمر عامر بن ظَرِب بن عمرو بن عياذ بن يشكر ابن عدوان

ابن الظرب حاكم العرب : قال ابن إسحاق : وقوله : « حكم يقضي » يعني عامر بن ظَرِب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

---

(١) أبا سيَّارة : هو عُمَيْلة بن الأعزل في قول ابن إسحاق، وقال غيره : اسمه : العاصي. قال الخطابي : واسم الأعزل : خالد، ذكره الأصبهاني.

(٢) كانت له أتان عوراء، خطامها ليف، يقال : إنه دفع عليها في الموقف أربعين سنة. ويعني الراجز في قوله :

حتى يجيز سالما حماره

وكانت تلك الأتان سوداء ؛ ولذلك يقول :

لاهُمّ مالي في الحمار الأسود ... أصبحتُ بين العالمين أُحسد
فَقِ أبا سيارة المُحَسَّد ... من شر كلِّ حاسد إذا حسد

وأبو سيارة هذا هو الذي يقول في دعائه : اللهم بغض بين رعائنا، وحبب بين نسائنا، واجعل المال في سمحائنا، وهو أرل من جعل الدية مائة من الإبل، فيما ذكر أبو اليقظان، حكاه عنه حمزة بن الحسن الأصبهاني.

أما قوله : وعن مواليه بني فزارة يعني بمواليه : بني عمه، لأنه من عدوان، وفزارة : من قيس عيلان، وقوله : مستقبل القبلة يدعو جاره. أي : يدعو الله عز وجل، يقول : اللهم كن لنا جاراً مما نخافه، أي : مجيرا.

العدواني. وكانت العرب لا يكون بينها نائرة[1]، ولا عُضْلَة في قضاء إلا أسندوا ذلك إليه، ثم رَضُوا بما قضى فيه، فاختصم إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه، في رجل خُنْثى، له ما للرجل، وله ما للمرأة، فقالوا : أتجعله رجلاً أو امرأة ؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه. فقال : حتى أنظر في أمركم، فوالله ما نزل بي مثل هذه منكم يا معشر العرب ! فاستأخروا عنه ؛ فبات ليلته ساهراً يقلِّب أمره، وينظر في شأنه، لا يتوجه له منه وجه وكانت له جارية يقال لها : سُخَيْلة ترعى عليه غنمه، وكان يعاتبها إذا سرحت فيقول : صبَّحت والله يا سُخَيل ! وإذا أراحت عليه، قال : مَسَّيْت والله يا سُخَيل ! وذلك أنها كانت تؤخر السَّرْح حتى يسبقها بعض الناس، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس. فلما رأت سهره وقلقه، وقلة قراره على فراشه قالت : ما لك، لا أبا لك ! ما عراك في ليلتك هذه ! قال : ويلك ! دعيني، أمر ليس من شأنك، ثم عادت له بمثل قولها، فقال في نفسه : عسى أن تأتيَ مما أنا فيه بفرج، فقال : ويحَكِ ! اختُصم إليَّ في ميراث خنثى، أأجعله رجلا أو امرأة ؟ فوالله ما أدري ما أصنع، وما يتوجَّه لي فيه وجه ؟ قال : فقالت : سبحان الله ! لا أبا لك ! أتبع القضاءَ المَبالَ، أقعدْه، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل، وإن بال من حيث تبول المرأة ؛ فهي امرأة. قال : مسِّي سخيل بعدها أو صَبِّحي، فرَّجْتِها والله ! ثم خرج على الناس حين أصبح، فقضى بالذي أشارت عليه به[2].

---

(١) النائرة : الكائنة الشنيعة بين القوم.

(٢) وذكر عامر بن الظرب وحكمه في الخنثى، وما أفتته به جاريته سُخَيْلة، وهو حكم معمول في الشرع، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات، وله أصل في الشريعة، قال الله سبحانه : ﴿ **وجاءوا على قميصه بدم كذب** ﴾ وجه الدلالة على كذب في الدم أن القميص المُدَمَّى لم يكن فيه خرق ولا أثر لأنياب الذئب، وكذلك قوله : ﴿ **إن كان قميصه قُدَّ من قُبل** ﴾ الآية، وقول النبي ــ ﷺ ــ في المولود : « إن جاءت به أورق جعداً جُمَالِيّاً فهو =

غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له

قُصي يتغلب على صوفة : قال ابن إسحاق : فلما كان ذلك العام، فعلت صوفة كما كانت تفعل، وقد عرفت ذلك لها العرب وهو دِينٌ في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة وولايتهم. فأتاهم قُصي بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة، فقال : لنحن أولى بهذا منكم، فقاتلوه، فاقتتل الناس قتالا شديداً، ثم انهزمت صوفة، وغلبهم قُصي على ما كان بأيديهم من ذلك.

قصي يقاتل خزاعة وبني بكر : وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة. فلما انحازوا عنه باداهم، وأجمع لحربهم، وخرجت له خُزاعة وبنو بكر فالتَقَوْا، فاقتتلوا قتالا شديداً، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً، ثم إنهم تداعَوْا إلى الصلح، وإلى أن يحكِّموا بينهم رجلا من العرب ؛ فحكَّموا يَعْمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقضى بينهم بأن قُصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة، وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر : موضوع يَشْدخه تحت قدميه، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة، ففيه الدية مؤدَّاة، وأن يُخلَّى بين قصي وبين الكعبة ومكة.

= للذي رُميت به » فالاستدلال بالأمارات أصل ينبني عليه كثير من الأحكام في الحدود والميراث، وغير ذلك. والحكم في الخنثى أن يعتبر الْمَبَالُ، ويعتبر بالحيض، فإن أشكل من كل وجه، حكم بأن يكون له في الميراث سهم امرأة ونصف، وفي الدية كذلك، وأكثر أحكامه مبنية على الاجتهاد. راجع بداية المجتهد لابن رشد بتحقيقنا.

فسُمي يعمر بن عوف يومئذ : الشدَّاخ[1] لِمَا شَدَخ من الدماء ووضع منها.

قصي يتولى أمر مكة : قال ابن إسحاق : فولى قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه في منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملَّكوه، إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه وذلك أنه كان يراه دِيناً في نفسه لا ينبغي تغييره، فأقر آل صفوان وعدوان والنسأة ومُرة بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام ؛ فهدم اللهُ به ذلك كلَّه. فكان قُصي أول بني كعب بن لؤيّ أصاب مُلكا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة، والسقاية، والرِّفادة، والنَدْوَة[2]، واللواء، فحاز شرف مكة كلَّه،

---

(١) يعمر الشداخ بن عوف : وأنه سمي بالشداخ لما شدخ من دماء خزاعة. ويعمر الشداخ هو جد بني دأب الذين أخذ عنهم كثير من علم الأخبار والأنساب وهم : عيسى بن يزيد ابن بكر بن دأب، وأبوه : يزيد. وحذيفة بن دأب، ودأب هو : ابن كرز بن أحمر من بني يعمر بن عوف الذي شدخ دماء خزاعة، أي : أبطلها، وأصل الشدخ : الكسر والفضخ، ومنه العَزَّة الشادخة، شبهت بالضربة الواسعة. والشَّداخ بفتح الشين كما قال ابن هشام، والشُّدَّاخ بضمها إنما هو جمع، وجائز أن يسمى هو وبنوه : الشُّداخ. وأم يعمر الشداخ اسمها : السؤمْ بنت عامر بن جُرَّة بضم الجيم.

(٢) الحجابة : أي مفاتيح البيت. والسقاية : سقاية الحجيج والرفادة ما يجمع من الطعام للحجيج. والندوة الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور، ولفظها مأخوذ من لفظ النديّ والنادي والمنتدى : وهو مجلس القوم الذي يندون حوله، أي : يذهبون قريباً منه، ثم يرجعون إليه، والتندية في الخيل : أن تصرف عن الورد إلى المرعى قريباً، ثم تعاد إلى الشرب، وهو المندّى، وهذه الدار تصيرت بعد بني عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي، فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم، وذلك في زمن معاوية، فلامه معاوية في ذلك، وقال : أبِعْتَ مكرمة آبائك وشرفهم ؟ فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى. والله : لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر، وقد بعتها بمائة ألف درهم، وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله، فأينا المغبون ؟! ذكر خبر حكيم هذا : الدارقطني في أسماء رجال الموطأ له.

أما اللواء : هو ما يجتمعون تحته في الحروب.

وقطع مكة رباعا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها ويزعم الناس أن قريشا هابوا قطع شجر الحرم في منازلهم، فقطعها قصي بيده وأعوانه[1] فسمته قريش : مُجَمِّعاً لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره، فما تُنكح امرأة، ولا يتزوج رجل من قريش، وما يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواءً لحرب قوم من غيرهم إلا في داره، يعقده لهم بعض ولده، وما تدَّرِع جارية إذا بلغت أن تَدَّرِع من قريش إلا في داره، يشق عليها فيها درعها ثم تَدَّرِعُه، ثم يُنطَلق بها إلى أهلها. فكان أمره في قومه من قريش في حياته، ومن بعد موته، كالدِّين المتبع لا يُعمل بغيره. واتخذ لنفسه دار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورَها .

قال ابن هشام : وقال الشاعر :

قُصَيٌّ لعمري كان يُدعَى مُجمعاً به جمع اللهُ القبائـلَ من فِهْـر

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن راشد عن أبيه، قال : سمعت السائب بن حَبَّاب صاحب المقصورة يُحدِّث، أنه سمع رجلا

---

(١) قال الواقدي : الأصح في هذا الخبر أن قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصي : كيف نصنع في شجر الحرم ؟ فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة في ذلك، فكان أحدهم يحوف بالبنيـان حول الشجرة، حين تكون في منزله. قال : فأول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حتى ابتنى دوراً بقعيقعان ؛ لكنه جعل دية كل شجرة : بقرة وكذلك يروى عن عمر ــ رضي الله عنه ــ أنه قطع دوحة كانت في دار أسد بن عبد العزى، كانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة، وذلك قبل أن يوسع المسجد، فقطعها عمر ــ رضي الله عنه ــ ووداها ببقرة، ومذهب مالك ــ رحمه الله ــ في ذلك : ألا دية في شجر الحرم. قال : ولم يبلغني في ذلك شيء. وقد أساء من فعل ذلك، وأما الشافعي ــ رحمه الله ــ فقال إن كانت الشجرة التي في الحرم مما يغرسها الناس، ويستنبتونها، فلا فدية على من قطع شيئاً منها، وإن كان من غيرها، ففيه القيمة بالغة ما بلغت.

يُحدِّث عمرَ بن الخطاب ــ وهو خليفة ــ حديث قصي بن كلاب، وما جَمَع من أمر قومه وإخراجه خزاعة وبني بكر من مكة، وولايته البيت وأمر مكة، فلم يردَّ ذلك عليه ولم يُنكره.

شعر رزاح بن ربيعة في هذه القصة : قال ابن إسحاق : فلما فرغ قُصيّ من حربه، انصرف أخوه رِزَاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه من قومه، وقال رِزاح في إجابته قُصيا :

لمَّـــا أتـــى من قصيٍّ رسول ... فقال الرسولُ : أجيبـوا الخليـلَا
نهضنـا إليـه نقـودُ الجيـادَ ... ونطرح عنَّا المَلولَ الثقيـلاَ
نسير بها الليلَ حتى الصباح ... ونكمـى النهـارَ ؛ لئـلا تزولا[1]
فهـنَّ سراعٌ كَوَرْد القَطـا ... يُجِبْـن بنـا من قُصيّ رسولَا
جمعنـا من السرِّ من أشمذَيْن ... ومـن كلِّ حيٍّ جمعنـا قبيـلَا[2]
فيـا لكِ حُلْبـة ما ليلـة ... تزيد على الألف سَيْباً رَسيـلَا[3]
فلمـا مررنَ علـى عَسْجَـرٍ ... وأسْهلـن من مُستناخ سبيـلَا[4]
وجـاوزْنَ بالركـن من وَرِقـانٍ ... وجـاوزن بالعَـرْج حَيّاً حُلـولَا[5]
مررْن علـى الحَيْـل ما ذقنـه ... وعالجـنَ من مَرٍّ ليـلاً طويـلَا[6]

---

(١) نكمي النهار، أي : نكمن ونستتر، والكَمِيُّ من الفرسان، الذي تَكَمَّى بالحديد. وقيل : الذي يكْمِي شجاعته، أي : يسترها، حتى يظهرها عند الوغى.

(٢) أشْمَذَيْن، وفي حاشية كتاب سفيان بن العاصي : الأشمذان : جبلان، ويقال اسم قبيلتين.

(٣) الحُلبة : الجماعة من الخيل. والسيب : المشي السريع. والرسيل : الذي فيه تمهل : أي تمشي سراعا ولكن في رفق كما تزحف الحية.

(٤) عسجر، هو : اسم موضع.

(٥) العرج : واد ناحية الطائف. وفيه جبل من أعظم الجبال : وذكروا أن فيه أوشالاً وعيوناً عذاباً، وكان سكانه : بنو أوس بن مزينة.

(٦) الحَيْل : هو الماء المستنقع في بطن واد، ووجدت في غير أصل الكتاب روايتين، إحداهما : مررن على الْحِلِّ والأخرى : مررن على الحِلْى، فأما الحل : فجمع حلة، وهي =

تَدنـى من العُـوذ أفلاءَهـا ... إرادةَ أن يسترقْـن الصهيـلَا[1]
فلمـا انتهينـا إلـى مكـةَ ... أبحنا الرجـالَ قبيـلًا قبيـلَا
نعاورُهـم ثَمَّ حدَّ السيـوفِ ... وفي كلِّ أوْبٍ خَلسْنا العقـولَا
نُخَبِّزهـم بصلابِ الـنسو ... رِ خَبْزَ القـويِّ العزيـزِ الذليـلا[2]
قتلنـا خزاعـةَ في دارِهـا ... وبكـراً قتلنـا وجيـلاً فجيـلَا
نفيناهـمُ من بلادِ الملـيك ... كمـا لا يَحِلُّـون أرضاً سُهـولا
فأصبح سبيُهـم في الحديـدِ ... ومـن كلِّ حيٍّ شَفَيْنـا الغليـلا

شعر ثعلبة القضاعي في هذه القصة : وقال ثعلبة بن عبد الله بن ذُبيان بن الحارث بن سعد بن هُذَيْم القُضاعي في ذلك من أمر قُصي حين دعاهم فأجابوه :

جلبنـا الخيـلَ مُضْمـرةً تَغالَـى ... من الأعرافِ أعـراف الجِنـابِ[3]
إلـى غَوْرَىْ تِهامـةَ، فالتقينـا ... من الفَيْفـاءِ في قاعٍ يبـابِ
فأمـا صوفـةُ الخنثَـى، فخَلَّـوْا ... منازلَهـم محـاذرَةَ الضِّرابِ
وقـام بنـو علـيٍّ إذ رأونـا ... إلى الأسياف كالإبـل الطـرابِ[4]

= بقلة شاكة. ذكره ابن دريد في الجمهرة. وأما الحلى، فيقال : إنه ثمر الْقُلْقُلان وهو نبت (عن الروض الأنف) بتحقيقنا ــ وانظر كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري.

(١) العُوذ : الفرس التي لها أولاد. والأفلاء : جمع فلو المهر العظيم.

(٢) نخَبِّزهم : أي نسوقهم سوقا شديداً.

(٣) تغالى : ترتفع في سيرها. والأعراف : الرمل المرتفع. والجِناب : بكسر الجيم، هو موضع من بلاد قضاعة.

(٤) بنو عليّ، وهم بنو كنانة، وإنما سموا ببني عليّ ؛ لأن عبد مناة بن كنانة كان ربيبا لعليٍّ ابن مازن من الأزْد جد سطيح الكاهن، فقيل لبني كنانة : بنو عليّ، وأحسبه أراد في هذا البيت بني بكر بن عبد مناة ؛ لأنهم قاموا مع خزاعة.

شعر قصي : وقال قصي :

أنا ابن العاصمين بني لؤيٍّ ... بمكةَ منزلي، وبها رَبيتُ
إلى البَطحاءِ قد علت معدٌّ ... ومَرْوتُها رضيتُ بها رضيتُ
فلستُ لغالبٍ إن لم تأثَّل ... بها أولادُ قَيْذر، والنبيتُ
رِزاحٌ ناصري، وبه أُسامى ... فلستُ أخافُ ضيْماً ما حَييتُ

فلما استقر رِزاح بن ربيعة في بلاده، نشره الله ونشر حُنّاً، فهما قبيلا عُذْرَة[1] اليوم. وقد كان بين رزاح بن ربيعة، حين قدم بلاده، وبين نَهْد ابن زيد وحَوْتَكة بن أَسْلُم[2]، وهما بطنان من قُضاعة شيء، فأخافهم حتى لحقوا باليمن، وأجْلَوْا من بلاد قُضاعة، فهم اليوم باليمن، فقال قُصي ابن كلاب، وكان يحب قُضاعة ونماءها واجتماعها ببلادها، لما بينه وبين رزاح : من الرحم، ولبلائهم عنده إذا أجابوه إذ دعاهم إلى نصرته، وكره ما صنع بهم رِزاح :

ألا من مُبْلغ عنى رِزاحاً ... فإني قد لَحيتك في اثنتين
لحيتُك في بني نَهْد بن زيد ... كما فرَّقْتَ بينهُمُ وبيْني
وحَوْتَكة بنُ أسلمَ إن قوما ... عَنَوْهم بالمَساءة قد عَنَوْني

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لزُهير بن جَناب الكلبي.

---

(١) في قضاعة : عُذْرَتان : عذرة بن رُفَيْدة، وهم من بني كلب بن وبرة. وعُذرة بن سعد بن سُوَدِ بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، وأسلُم هذا هو بضم اللام من ولد حن بن ربيعة أخي رزاح بن ربيعة : جد جميل بن عبد الله بن مَعْمَر صاحب بثينة، ومعمر هو ابن ولد الحارث بن ظبيان، وهو الضّبيس بن حن.

(٢) وليس في العرب أسلُم بضم اللام إلا ثلاثة اثنان منهم في قضاعة، وهما : أسلُم بن الحاف هذا، وأسلُم بن تَدُول بن تَيْم اللات بن رُفَيْدَة بن ثوْر بن كلب، والثالث في عك : أسلُم ابن القياتة بن غابن بن الشاهد بن عك، وما عدا هؤلاء فأسلَم بفتح اللام، ذكره ابن حبيب في المؤتلف والمختلف.

قصي يفضل عبد الدار على سائر ولده : قال ابن إسحاق : فلما كبر قصي ورق عظمه، وكان عبد الدار بِكْرَه، وكان عبد مناف قد شَرُف في زمان أبيه، وذهب كل مذهَب، وعبد العزى. وعبد ــ قال قصي لعبد الدار : أما والله يا بُنَيَّ لأُلحقنَّك بالقوم، وإن كانوا قد شرفوا عليك : لا يدخل رجل منهم الكعبة، حتى تكون أنت تفتحها له، ولا يُعقد لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك، ولا يشرب أحد بمكة الا من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك، ولا تقطع قريشٌ أمراً من أمورها إلا في دارك، فأعطاه دارَه دارَ الندوة، التي لا تُقضي قريش أمراً من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة.

الرِّفادة : وكانت الرِّفادة خَرْجا تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قُصي بن كلاب، فيصنع به طعاما للحاج، فيأكله من لم يكن له سعةٌ ولا زاد، وذلك أن قُصيا فرضه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به : يا معشر قريش، إنكم جيرانُ الله، وأهل بيته، وأهل الحرم، وإن الحاج ضَيْفُ الله وزوَّار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج، حتى يَصْدُروا عنكم، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خَرْجاً، فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاماً للناس أيام مِنًى، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج.

قال ابن إسحاق : حدثني بهذا من أمر قُصَي بن كلاب، وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده : أبو إسحاق بن يسار، عن الحسن ابن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال : سمعته يقول

ذلك لرجل من بني عبد الدار يقال له : نُبَيْه بن وهب بن عامر بن عِكرمة ابن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي.

قال الحسن : فجعل إليه قُصي كل ما كان بيده من أمر قومه، وكان قُصي لا يُخَالفَ، ولا يُردّ عليه شيء صنعه.

ذكر ما جرى من اختلاف قريش بعد قُصي وحلف المطيبين

النزاع بين بني عبد الدار وبني أعمامهم : قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب هلك، فأقام أمره في قومه وفي غرهم بنوه من بعده. فاختطوا مكة رباعاً ــ بعد الذي كان قطع لقومه بها فكانوا يقطعونها في قومهم، وفي غيرهم : من حلفائهم ويبيعونها . فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع، ثم إن بني عبد مناف ابن قصي: عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا، أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قُصي مما كان قصي جعل إلى عبد الدار، من الحجابة واللواء والسقاية والرِّفادة، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم، فتفرقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يَرَوْن أنهم أحق به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم، وكانت طائفة مع بني عبد الدار، يَرَوْن أن لا يُنزع منهم ما كان قُصي جعل إليهم.

فكان صاحب أمر بني عبد مناف : عبد شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان أسن بني عبد مناف.

وكان صاحب أمر بني عبد الدار : عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

حلفاء بني عبد الدار وحلفاء بني أعمامهم : فكان بنو أسد بن عبد العُزَّى بن قصي وبنو زُهرة بن كلاب، وبنو تَيْم بن مُرة بن كعب، وبنو الحارث بن فِهر بن مالك بن النضر، مع بني عبد مناف.

وكان بنو مخزوم بن يَقَظَة بن مرة، وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص ابن كعب، وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب، وبنو عدي بن كعب، مع بني عبد الدار، وخرجت عامر بن لؤي ومحارب بن فِهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين.

فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا، ولا يُسْلم بعضهم بعضاً ما بلَّ بحر صوفةً.

فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا، فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف[1]، أخرجتها لهم، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القومُ أيديَهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسُمُّوا المطيَّبين.

وتعاقد بنو عبد الدار، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حِلفاً مؤكدا، على أن لا يتخاذلوا، ولا يُسلم بعضُهم بعضاً، فسُمُّوا الأحلاف.

---

(١) تنازع بني عبد مناف، وبني عبد الدار فيما كان قصي جعل إليهم، وذكر في ذلك حلف المطيبين، وسماهم، وذكر أن امرأة من نساء عبد مناف هي التي أخرجت لهم جَفْنة من طيب، فغمسوا أيديهم فيها، ولم يُسمِّ المرأة، وقد سماها الزبير في موضعين من كتابه، فقال : هي أم حكيم البيضاء بن عبد المطلب عمة رسول الله ــ ﷺ ــ وتوأمة أبيه، قال : وكان المطيبون يسمون : الدَّافَة جمع دائفة بتحفيف الفاء ؛ لأنهم دافوا الطيب ــ أي خلطوه ــ. =

تقسيم القبائل في هذه الحرب : ثم سُوند بين القبائل، ولُزَّ[1] بعضُها ببعض فعُبِّيت بنو عبد مناف لبني سَهْم، وعُبِّيَت بنو أسد لبني عبد الدار، وعُبِّيَت زُهرة لبني جُمَح، وعُبيت بنو تَيْم لبني مخزوم، وعُبيت بنو الحارث بن فِهر لبني عدي بن كعب. ثم قالوا : لِتُفْن كل قبيلة من أسند إليها.

تصالح القبائل : فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوْا إلى الصلح، على أن يُعطوا بني عبد مناف السقاية والرِّفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت، ففعلوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك، وتحاجز الناسُ عن الحرب، وثبت كل قوم مع من حالفوا، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام، فقال رسول الله ــ ﷺ : « ما كان من حِلفٍ في الجاهلية، فإن الإسلامَ لم يزدْه إلا شدةً ».

حلف الفُضول

سبب تسميته : قال ابن إسحاق : وأما حلف الفُضول[2] فحدثني زياد بن عبد الله البكَّائي عن محمد بن إسحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جُدْعَان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة بن كعب بن لؤي، لشرفه وسِنِّه، فكان

---

(١) سوند : من السناد، وهي المقابلة في الحرب بين كل فريق، وما يليه من عدوه، ومنه أُخذ سناد الشعر، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت، فيكون قبل حرف الروي حرف مدّ ولين، ويكون في آخر البيت الثاني قبل حرف الروي حرف لين، وهي ياء أو واو مفتوح ما قبلها. لُزَّ : شُدَّ.

(٢) ذكر ابن هشام الحلف الذي عقدته قريش بينها على نُصرة كل مظلوم بمكة قال : ويسمى =

حلفُهم عنده : بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزُهرة بن كلاب، وتَيْم بن مرة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على مَن ظَلَمَهُ حتى تُردَّ عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفُضول.

= حلف الفضول، ولم يذكر سبب هذه التسمية، وذكرها ابن قتيبة ؛ فقال : كان قد سبق قريشا إلى مثل هذا الحلف جُرْهم في الزمن الأول، فتحالف منهم ثلاثة هم، ومن تبعهم، أحدهم : الفضل بن فَضالة، والثاني : الفضل بن وَدَاعة، والثالث : فُضَيْل بن الحارثة. هذا قول القتبي. وقال الزبير : الفضيل بن شُراعة، والفضل بن وداعة، والفضل بن قضاعة، فلما أشبه حلف قريش الآخر فِعْل هؤلاء الجرهميين سُمي : حلف الفضول، والفضول : جمع فَضْل، وهي أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم. وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن.

[سبب آخر] : ولكن في الحديث ما هو أقوى منه وأولى. روى الحُمَيْريُّ عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر، قالا : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدْعان حلفاً لو دُعيت به الإسلام لأجبت : تحالفوا أن تُرد الفضول على أهلها، وألا يَعُزَّ ظالم مظلوماً ». ورواه في مسند الحارث بن عبد الله بن أبي أسامة التميمي، فقد بين هذا الحديث : لم سُمي حلف الفضول. وكان حلف الفضول بعد الفِجَار، وذلك أن حرب الفجار ــ ولقد سمت قريش هذه الحرب فجاراً ؛ لأنها كانت في الأشهر الحرم، فلما قاتلوا فيها قالوا : قد فجرنا ــ كانت في شعبان، وكان حلف الفضول في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة.

وكان حلف الفضول أكرم حلف سُمع به، وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه : الزبير بن عبد المطلب، وكان سببه أن رجلا من زُبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاصي بن وائل، وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف : عبد الدار ومخزوماً وجُمَح وسَهْماً وعَدِيّ بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاصي بن وائل، فلما رأى الزبيدي الشر، أوفى على أبي قُبَيْس ــ جبل بمكة ــ عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فصاح بأعلى صوته :

يا آل فِهـر لمظلـوم بضاعتـه ... ببطن مكة نائـي الـدار والنفـر
ومُحـرم أشعث لم يقض عمرتـه ... يا لَلرجـال وبيـن الحِجر والحجَـر
إن الحـرام لمـن تمَّت كرامتـه ... ولا حرام لثـوب الفاجـر الْغُـدُرِ

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال: ما لهذا مترك، فاجتمعت هاشم وزهرة =

حديث رسول الله ﷺ فيه : قال ابن إسحاق : فحدثني محمد ابن زيد بن المهاجر بن قُنْفُذ التَّيْمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عَوْف الزُّهري يقول : قال رسول الله ﷺ : « لقد شهدتُ في دار عبدِ اللهِ ابنِ جُدْعان[1] حلفاً ؛ ما أُحِب أن لي به حُمْر النَّعَم، ولو أُدعَى به في الإسلام لأجبتُ ».

الحسين يهدد الوليد بالدعوة إلى إحياء الحلف : قال ابن إسحاق : وحدثني يزيدُ بن عبد الله بن أسامة بن الهادي اللَّيْثي أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي حدثه : أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وبين الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان ــ والوليد يومئذ أمير على المدينة، أمَّره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان ــ منازعة في مال كان بينهما بذي المرْوَة، فكان الوليدُ تحامل على الحسين في حقّه ــ لسلطانه ــ فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفني

= وتَيم بن مرة في دار ابن جُدعان، فصنع لهم طعاماً، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام قياما، فتعاقدوا، وتعاهدوا بالله : ليكونُن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدَّى إليه حقه ما بلَّ بحر صوفة، وما رسا حراء وثبير مكانهما، وعلى التأسي في المعاش، فسمت قريش ذلك الحلف ؛ حلف الفضول، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاصي بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه.

(١) وعبدالله بن جُدْعان هذا تيْمي هو : ابن جُدْعان بن عمر بن كعب بن سعد بن تَيْم، يكنى : أبا زُهير ابن عم عائشة ــ رضي الله عنها ــ ولذلك قالت لرسول الله ــ ﷺ ــ : إن ابن جُدعان كان يطعم الطعام، ويقري الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا إنه لم يقل يوما : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » أخرجه مسلم. قال ابن قتيبة : وكانت جفنه يأكل منها الراكب على البعير، وسقط فيها صبي، فغرق فيها ومدحه أمية بن أبي الصلت فقال :

له داع بمكـــــة مُشْمَعِـــــل ... وآخـــر فوق كعبتهـــا ينـــادي
إلـــى ردح من الشِّيـــزَى عليهـــا ... لُبـــاب البـــر يلـــبك بالشهـــاد

ومشمعل : بمعنى مبادر، والردح : بمعنى : الجفان العظيمة واحدها رادح. والشيزى : خشب يصنع منه الجفان.

من حقي، أو لآخذن سيفي، ثم لأقومن في مسجد رسول الله ــ ﷺ ــ ثم لأدعونَّ بحلف الفُضول قال : فقال عبد الله بن الزبير، وهو عند الوليد حين قال الحسين ــ رضي الله عنه ــ ما قال : وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذنَّ سيفي، ثم لأقومن معه، حتى يُنصَف من حقه أو نموت جميعاً قال : فبلغت المسْوَر بن مخرمة بن نوفل الزهري، فقال مثلَ ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عُبَيد الله التَّيمي، فقال مثل ذلك، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رَضِيَ.

خروج بني عبد شمس وبني نوفل من الحلف : قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي عن محمد ابن إبراهيم بن الحارث التَّيمي قال : قدم محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم بن عَدي بن نَوْفل بن عبد مناف ــ وكان محمد بن جُبَيْر أعلم قريش ــ فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قُتل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد الملك فلما دخل عليه قال له : يا أبا سعيد، ألم نكن نحن وأنتم، يعني بني عبد شمس بن عبد مناف وبني نوفل بن عبد مناف في حلف الفُضول ؟ قال : أنت أعلم، قال عبد الملك : لتخبرني يا أبا سعيد بالحقِّ من ذلك، فقال : لا والله لقد خرجنا نحن وأنتم منه، قال : صدقْتَ.

هاشم يتولى الرفادة والسقاية : قال ابن إسحاق : فوليَ الرفادة والسقاية : هاشم بن عبد مناف، وذلك أن عبد شمس كان رجلا سفَّارا قَلَّما يقيم بمكة، وكان مُقِلًّا ذا ولد، وكان هاشم مُوسراً فكان ــ فيما يزعمون ــ إذا حضر الحج، قام في قريش فقال : « يا معشر قريش، إنكم جيرانُ الله، وأهل بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوارُ الله وحُجاج بيته، وهم ضَيْف الله، وأحق الضيف بالكرامة : ضيفُه، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاما أيامَهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة بها ؛

فإنه ــ والله ــ لو كان مالي يسع لذلك ما كلفتكموه » فيخرجون لذلك خَرْجاً من أموالهم، كل امرئ بقدر ما عنده، فيُصنع به للحجاج طعامٌ، حتى يَصْدُروا منها.

أفضال هاشم على قومه : وكان هاشم ــ فيما يزعمون ــ أولَ من سَنَّ الرحلتين لقريش : رحلتي الشتاء والصيف، وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة، وإنما كان اسمه : عَمراً، فما سُمي هاشماً إلا بهشمه الخبز بمكة لقومه[1]، فقال شاعر من قريش أو من العرب[2] :

عَمْرو الذي هشم الثريدَ لقومِه ... قوم بمكة مُسنتين عجاف
سُنَّت إليه الرحلتان كلاهما ... سفرُ الشتاء، ورحلةُ الإيلاف

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز :

قوم بمكة مسنتين عجاف

---

(١) سمي هاشماً لهشمه الثريد لقومه، والمعروف في اللغة أن يقال : ثردت الخبز، فهو ثريد ومثرود، فلم يُسم : ثارداً وسمي هاشماً، وكان القياس ــ كما لا يسمى الثريد هشيماً، بل يقال فيه : ــ ثريد ومثرود ــ أن يقال في اسم الفاعل أيضا كذلك، ولكن سبب هذه التسمية يحتاج إلى زيادة بيان. ذكر أصحاب الأخبار أن هاشماً كان يستعين على إطعام الحاج بقريش، فيرفدونه بأموالهم، ويعينونه، ثم جاءت أزمة شديدة فكره أن يكلف قريشا أمر الرفادة، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله، واشترى به أجمع كعكاً ودقيقاً، ثم أتى الموسم فهشم ذلك الكعك كله هشيماً، ودقه دقاً ثم صنع للحجاج طعاماً شبه الثريد، فبذلك سمي هاشما، لأن الكعك اليابس لا يثرد، وإنما يهشم هشماً.

(٢) هو ابن الزَّبَعْرى وسبب هذا المدح، وهو سهمي ــ أي من بني سعد بن سهم. لبني عبد مناف ــ فيما ذكره ابن إسحاق في رواية يونس ــ أنه كان قد هجا قصيا بشعر كتبه في أستار الكعبة، أوله :

ألهى قصياً عن المجد الأساطير ... ومشية مثل ما تمشي الشقاريـر

فاستعدوا عليه بني سهم، فأسلموه إليهم، فضربوه وحلقوا شعره، وربطوه إلى صخرة بالحجون، فاستغاث قومه فلم يغيثوه، فجعل يمدح قصياً ويسترضيهم، فأطلقه بنو عبد مناف منهم وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر، وبأشعار كثيرة.

المطلب يلي الرفادة والسقاية : قال ابن إسحاق : ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجراً، فوليَ السقاية والرِّفادة من بعده المطلبُ بن عبد مناف، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم، وكان ذا شرف في قومه وفضل، وكانت قريش إنما تسميه : الفَيْضَ ؛ لسماحته وفضله.

زواج هاشم بن عبد مناف : وكان هاشم بن عبد مناف قَدِم المدينة، فتزوج سَلْمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار[1]، وكانت قبله عند أُحَيْحة بن الجُلاح بن الحَرِيش[2].

قال ابن هشام : ويقال : الحريس بن جَحْجبيّ بن كُلْفة بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأَوْس، فولدت له عمرو بن أُحَيْحة، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها، حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، إذا كرهت رجلا فارقته.

سبب تسمية عبد المطلب باسمه : فولدت لهاشم : عبد المطلب، فسمته شَيْبة، فتركه هاشم عندها حتى كان وَصيفاً[3] أو فَوْق ذلك، ثم خرج إليه عمه المطلب ؛ ليقبضه، فيُلحقه ببلده وقومه فقالت له

---

(١) ومن أجل هذا النسب قال سيف بن ذي يزن أو ابنه معدي كرب بن سيف ملك اليمن لعبد المطلب حين وفد عليه في ركب من قريش : مرحباً بابن أختنا، لأن سلمى من الخزرج، وهم من اليمن من سبأ، وسيف من حمير بن سبأ.

(٢) قال الدارقطني عن الزبير بن أبي بكر : إن كل ما في الأنصار فهو : حريس بالسين غير معجمة إلا هذا.

(٣) الوصيف : الغلام دون المراهقة.

سَلْمى : لستُ بمرسلته معك، فقال لها المطلب : إني غير مُنصرف حتى أخرج به معي إن ابن أخي قد بلغ، وهو غريب في غير قومه، ونحن أهل بيت شرف في قومنا ؛ نلي كثيراً من أمرهم ؛ وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة في غيرهم، أو كما قال. وقال شَيْبة لعمه المطلب ــ فيما يزعمون ــ لست بمفارقها إلا أن تأذنَ لي، فأذنت له، ودفعته إليه، فاحتمله، فدخل به مكة مُرْدِفه معه على بعيره، فقالت قريش : عبد المطلب ابتاعه، فبها سُمي شَيْبة : عبد المطلب. فقال المطلب : ويحكم ! إنما هو ابن أخي هاشم، قَدِمْتُ به من المدينة.

وفاة المطلب : ثم هلك المطلب برَدْمان من أرض اليمن، فقال رجل من العرب يبكيه :

قد ظمئ الحجيجُ بعدَ المطلب بعدَ الجفانِ والشراب المُنْتَغِبْ
ليت قريشا بعده على نَصَبْ

مطرود يبكي المطلب وبني عبد مناف : وقال مطرود بن كعب الخزاعي، يبكي المطلب وبني عبد مناف جميعاً حين أتاه نعي نَوْفل بن عبد مناف، وكان نوفل آخرهم هُلكا :

يا ليلةَ هَيَّجْتِ ليلاتي إحدى ليالـيَّ القَسِيَّاتِ[1]
وما أقاسي من هموم، وما عالجتُ من رُزْءِ المنيَّاتِ
إنما تذكرتُ أخي نوفلاً ذكَّرني بالأوَّلِيَّاتِ
ذكرني بالأُزْرِ الحمر والـ ـأردية الصُّفر القشيباتِ
أربعةٌ كلهمُ سيدٌ أبناءُ ساداتٍ لساداتِ

(١) القسيات : فعيلات من القسوة : أي : لا لين عندهن، ولا رأفة فيهن، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم القسي، وهو الزائف، وقد قيل في الدرهم القسي : إنه أعجمي معرب، وقيل : هو من القساوة لأن الدرهم الطيب ألين من الزائف، والزائف أصلب منه. ونصب ليلة على التمييز.

مَيْتٌ بِرَدْمان ومَـيْتٌ بسلْـ ـمانَ ومَـيْتٌ بيـن غَزَّاتِ[1]
ومَيْتٌ أُسكن لحداً لدى الـ ـمَحْجوب شَرْقـيّ البنيـاتِ[2]
أخلصهُمُ عبدُ منـافِ فهـم من لومِ من لامَ بمَنْجـاة
إن المُغيـراتِ وأبناءَهـا من خيـرِ أحيـاءٍ وأمـواتِ[3]

اسم عبد مناف وترتيب أولاده موتا : وكان اسم عبد مناف : المغيرة، وكان أول بني عبد مناف هُلْكا : هاشم، بغزة من أرض الشام، ثم عبد شمس بمكة، ثم المطلب بِرَدْمان من أرض اليمن، ثم نوفلا بسَلمان من ناحية العراق.

شعر آخر لمطرود : فقيل لمطرود ــ فيما يزعمون ــ لقد قلت فأحسنت، ولو كان أفحل مما قلت كان أحسن، فقال : أنظروني ليالِيَ، فمكث أياماً، ثم قال :

يا عين جُودي، وأذرِي الدمعَ وانهمري
وابكي على السرِّ من كعبِ المُغيراتِ
يا عين، واسْحَنْفري بالدمعِ واحتفلي
وابكي خبيئةَ نفسي في الملمـاتِ[4]

---

(١) ومَيْت بين غزات. هي : غزة، ولكنهم يجعلون لكل ناحية أو لكل ربض من البلدة اسم البلدة، فيقولون : غزات في غزة، ويقولون في بغداد : بغادين، كما قال بعض المحدثين :

شربنـا في بغاديـن علـى تلك الميادين

(٢) البنيات يعني : البنية، وهي : الكعبة، وهو نحو مما تقدم في غزات.

(٣) المغيرات : بنو المغيرة، وهو عبد مناف، كما قالوا : المناذرة في المنذر، والأشعرون في بني أشعر بن أُدَد، كما قال علي بن عبد الله بن عباس في ابن الزبير : آثر عَلِيَّ الحُمَيْدات والتُّوَيْتات والأسامات، يعني : بني حُمَيْد، وبني تُوَيْت، وبني أسامة، وهم من بني أسد بن عبد العُزَّى.

(٤) اسحنفري : أديمي.

وابكي على كلِّ فيَّاضٍ أخي ثقة
ضَخْمِ الدَّسيعة وهَّاب الجَزيلاتِ[1]

محضُ الضَّريبةِ، عالي الهمِّ، مختلقٌ
جَلْدُ النَّجيزةِ، ناءٍ بالعظيماتِ[2]

صعبُ البديهةِ لا نِكْس ولا وَكِلٍ
ماضي العزيمة، متلاف الكريماتِ[3]

صقر توسط من كعب إذا نُسبوا
بُحبوحة المجدِ والشُّم الرفيعاتِ

ثم اندبي الفيضَ والفياضَ مُطَّلبا
واستخرطي بعدَ فيْضاتٍ بجمَّاتِ[4]

أمسى برَدْمان عنا اليومَ مغتربا
يا لهفَ نفسي عليه بينَ أموات

وابكي ــ لك الويلُ ــ إمَّا كنتِ باكيةً
لعبدِ شمسٍ بشرْقيِّ الثنيَّاتِ

وهاشمٌ في ضريحٍ وَسْط بَلْقَعَةٍ
تَسْفي الرياح عليه بين غَزَّاتِ

---

(١) ضخم الدسيعة : كثير العطاء.

(٢) الضريبة : الطبيعة أي عظيم الخلق. ناء بالعظيمات. ليس قوله : ناء من النأي، فتكون الهمزة فيه عين الفعل، وإنما هو من ناء ينوء إذا نهض فالهمزة فيه لام الفعل، كما هو في جاء عند الخليل، فإنه عنده مقلوب، ووزنه : فاعل، والياء التي بعد الهمزة هي : عين الفعل في جاء يجيء.

(٣) النكس : الدني.

(٤) استخرطي : استكثري.

ونَوْفل كان دونَ القومِ خالصتي
أمسى بسَلمَان في رَمس بمَوْماةِ[1]
لم ألقَ مثلَهمُ عُجماً ولا عرباً
إذا استقلَّت بهم أُدمُ المطيات[2]
أمستْ ديارُهُم منهم معطَّلةً
وقد يكونون زَيْنا في السَّريات[3]
أفناهمُ الدهرُ، أم كلَّتْ سيوفُهمُ
أم كلُّ من عاش أزوادُ المنيَّات
أصبحتُ أَرْضَى من الأقوام بعدَهمُ
بَسْطَ الوجوهِ وإلقاءَ التحياتِ
يا عين فابكي أبا الشُّعْثِ الشَّجيَّاتِ
يَبْكينه حُسَّراً مثلَ البليَّاتِ[4]

---

(١) المَوْماة : القفر.

(٢) الأُدم : الإبل الكرام.

(٣) السريات : جمع سرية. الجماعة من الجيش.

(٤) الشجيَّات : شدد ياء الشجي، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : ياء الشجي مخففة، وياء الخليّ مشددة، وقد اعترض ابن قتيبة على أبي تمام الطائي في قوله :

أيا ويح الشِّجيِّ من الخليِّ ... وويح الدمع من إحدى بَليّ

واحتج بقول يعقوب في ذلك، فقال له الطائي : ومن أفصح عندك : ابن الجرمُقانية يعقوب، أم أبو الأسود الدؤلي حيث يقول :

ويل الشجيِّ من الخلي فإنه ... وصب الفؤاد بشجوه مغموم

وبيت مطرود أقوى في الحجة من بيت أبي الأسود الدؤلي، لأنه جاهلي محكّك، وأبو الأسود الدؤلي : أول من صنع النحو، فشعره قريب من التوليد، ولا يمتنع في القياس أيضا أن يقال : شَجيّ وشَجٍ، لأنه في معنى : حزن وحزين، وقد قيل : من شدد الياء، فهو فعيل بمعنى مفعول. والبليَّات مفردها البلية : الناقة التي كانت تُعقل عند قبر صاحبها إذا مات، حتى تموت جوعا وعطشا، ويقولون : إنه يحشر راكبا عليها، ومن لم يفعل معه هذا حشر راجلا، وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث، وهم الأقل، ومنهم زهير =

يبكين أكرمَ من يمشي على قدمٍ
يُعْوِلْنَه بدموعٍ بعد عَبْرات
يبكين شخصاً طويلَ الباع ذا فَجَرٍ
آبى الهضيمة، فَرَّاج الجليلاتِ[1]
يبكين عَمْرَو العُلا إذ حان مصرعُه
سَمح السَّجيةِ، بسَّام العشياتِ[2]
يبكينه مُستكيناتٍ على حَزنٍ
يا طولَ ذلك من حزنٍ وعَوْلاتِ
يبكين لما جلاهنَّ الزمانُ له
خُضْر الخدودِ كأمثالِ الحَمياتِ[3]

= فإنه قال :

يؤخَّر فيوضع في كتاب فيُدَّخَرْ ليوم الحساب، أو يُعجل فَيَنْقَم

وقال الشاعر في البلية :

والبلايا رءوسها في الولايا مانحات السَّموم حُرَّ الخُدود

والولايا : هي البراذع، وكانوا يثقبون البرذعة، فيجعلونها في عنق البلية، وهي معقولة، حتى تموت، وأوصى رجل ابنه عند الموت بهذا :

لا تتركن أباك يحشر مرة عَدْوا يخرُّ على اليدين ويَنكبُ

(١) الفجر : الجود، شُبه بانفجار الماء. ويروى ذا فَنَع، والفنع : كثرة المال، وقد قال أبو محجن الثقفي :

وقد أجود وما مالي بذي فنع وأكتم السر فيه ضَرْيةُ العنق

(٢) بَسَّام العشيات : يعني : أنه يضحك للأضياف، ويبسم عند لقائهم، كما قال الآخر، وهو حاتم الطائي :

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويَخصِب عندي، والْمَحَلّ جديب
وما الخصب للأضياف أن يَكثُر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

(٣) كأمثال الحميات. أي : محترقات الأكباد كالبقر أو الظباء التي حميت الماء وهي عاطشة فحمية بمعنى محمية. لكنها جاءت كذلك، لأنها أجريت مجرى الأسماء كالرمية والضحية والطريدة.

مُحتزمـــات علـــى أوساطهـــن لمـــا
جرَّ الزمـانُ مِنَ احـــداث المصيبـــات

أبيت ليلي أُراعـي النجـمَ من ألـــمٍ
أبكـي، وتبكـي معـي شَجْوي بُنَياتي

ما في القُـروم لهـم عِدْلٌ ولا خَطَـرٌ
ولا لمـــن تركـــوا شَرْوَى بقيَّـــاتِ

أبناؤُهـــم خيـــرُ أبنـــاءٍ، وأنفُسهـــــم
خيرُ النفـوسِ لدى جَهْـد الأَلِيَّـاتِ

كم وهبـــوا من طِمِـــرٍّ سابـــح أَرِنٍ
ومـــن طِمِـــرَّةِ نَهْبٍ في طِمَـــرَّاتِ[1]

ومـن سيـوفٍ من الهِنـــديِّ مُخْـلَصَة
ومـن رمـــاح كأشْطـــانِ الركيـــاتِ[2]

ومـن توابـــع ممـــا يُفْضِلـــون بهـــا
عنـــد المسائِـــل من بذْل العطيَّـــاتِ

فلـو حَسبْتُ وأحصى الحاسبـون معـي
لم أقضِ أفعالَهـــم تلك الهنيَّـــاتِ

هم المدِلُّـــون إمَّـــا معشرٌ فخـــروا
عنـــدَ الفخـــارِ بأنسابٍ نَقِيَّـــاتِ

زَيْـنُ البيـوتِ التـي حَلُّـوا مساكنهـا
فأصبـحت منهـمُ وَحْشاً خَليَّـــاتِ

أقـــول والعيـــنُ لا ترقـــا مدامعُهـــا
لا يُبْعـــد اللهُ أصحـــابَ الرزيَّـــاتِ

---

(١) الطمرة : الفرس الخفيف السريع.

(٢) أشطان الركيات : حبال الآبار.

قال ابن هشام : الفَجَر : العطاء. قال أبو خِرَاش الهُذَلي :

عَجَّف أضيافي جميلُ بنُ معمر بذي فَجَرٍ تأوى إليه الأراملُ

قال ابن إسحاق : أبو الشُّعث الشجيات : هاشم بن عبد مناف.

عبد المطلب يلي السقاية والرفادة : قال : ثم وَلِيَ عبدُ المطلب ابن هاشم السقاية والرِّفادة بعد عمه المطلب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤُه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشَرُف في قومه شرفاً لم يبلغْه أحدٌ من آبائه، وأحبه قومُه وعَظُم خطره فيهم.

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

سبب حفر زمزم : ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر إذ أُتي، فأُمر بحفر زمزم.

قال ابن إسحاق : وكان أول ما ابتُدئ به عبد المطلب من حفرها، كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الله بن زُرَيْر الغَافِقِي : أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يحدِّث حديثَ زمزم حين أُمر عبد المطلب بحفرها، قال :

قال عبد المطلب : إني لنائم في الحِجْر إذا أتاني آتٍ فقال : احفر طيبة. قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال : احفر بَرَّة. قال : فقلت : وما بَرَّة ؟ قال : ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي

فنمت فيه، فجاءني فقال : احفر المضنونة. فقال : فقلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال : احفر زَمْزَمَ. قال : قلت : وما زمزم ؟ قال لا تَنْزِفُ أبداً ولا تُذَمُّ،(١) تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفَرْث والدم، عند نُقْرة الغراب الأعْصم، عند قرية النمل(٢).

---

(١) لا تنزف أبدا : وهذا برهان عظيم، لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط، وقد وقع فيها حبشي فنزحت من أجله، فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين، أقواها وأكثرها ماء من ناحية الحجر الأسود، وذكر هذا الحديث الدارقطني. وقوله : ولا تُذم، فيه نظر، وليس هو على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمها أحد ولو كان من الذم لكان ماؤها أعذب المياه، ولتضلع منه كل من يشربه، وقد ورد في الحديث أنه لا يتضلع منها منافق، فماؤها إذاً مذموم عندهم، وقد كان خالد بن عبد الله القسري أمير العراق يذمها، ويسميها : أم جعلان، واحتفر بئراً خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك، وجعل يفضلها على زمزم، ويحمل الناس على التبرك بها دون زمزم جرأة منه على الله ــ عز وجل ــ وقلة حياء منه، وهو الذي يعلن ويفصح بلعن علي بن أبي طالب ــ رضوان الله عليه ــ على المنبر، وإنما ذكرنا هذا، أنها قد ذمت، فقوله إذا : لا تذم، من قول العرب : بئر ذمة أي : قليلة الماء، فهو من أذممت البئر إذا وجدتها ذمة : كما تقول : أجبنتُ الرجل : إذا وجدته جبانا، وأكذبته إذا وجدته كاذبا، وفي التنزيل : ﴿ **فإنهم لا يكذِّبونك** ﴾ وقد فسر أبو عبيد في غريب الحديث قوله حتى مررنا ببئر ذمة . وأنشد :

مُخَيِّسَةً خُزْراً كأن عيونها ذمام الرَّكايا أنكرتها المواتح

فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله : ولا تذم ؛ لأنه نفي مطلق، وخبر صادق ــ والله أعلم ــ

والبيت في وصف إبل. والمخيسة. وهي المحبوسة التي لا تسرح. والخزر : ضيق في العيون. والركايا : الآبار. والمواتح : المستقون.

(٢) فسميت طيبة : لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل ــ عليهما السلام ــ وقيل له : احتفر برة، وهو اسم صادق عليها أيضا، لأنها فاضت للأبرار، وغاضت عن الفجار.

وقيل له : احفر المضنونة. وقال وهب بن منبه : سميت زمزم : المضنونة لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين، فلا يتضلع منها منافق، وروى الدار قطني ما يقوي ذلك سنداً عن =

قريش تنازع عبد المطلب في زمزم : قال ابن إسحاق : فلما بين له شأنها، ودلَّ على موضعها، وعرف أنه قد صُدِّقَ، غدا بمعْوَله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها فلما بدا لعبد المطلب الطَّيُّ، كَبَّر.

التحاكم في بئر زمزم : فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه، فقالوا : يا عبد المطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقّاً فأشركنا معك فيها. قال : ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خُصصتُ به دونَكم، وأُعطيته من بينكم، فقالوا له : فأنصفنا، فإنا غيرُ تاركيك حتى

= النبي ﷺ : « من شرب من زمزم فليتضلع، فإنه فرق ما بيننا وبين المنافقين، لا يستطيعون أن يتضلعوا منها » أو كما قال ﷺ : وفي تسميتها بالمضنونة رواية أخرى، رواها الزبير : أن عبد المطلب قيل له : احفر المضنونة ضننت بها على الناس إلا عليك.

أما الفرث والدم، فإن ماءها طعام طُعم، وشفاء سُقْم، وهي لما شُربت له، وقد تقوَّت من مائها أبو ذر ــ رضي الله عنه ــ ثلاثين بين يوم وليلة، فسمن حتى تكسرت عكنه.

أما الغراب الأعصم، فقال العَتبي: الأعصم من الغربان الذي في جناحيه بياض فالغراب في التأويل : فاسق، وهو أسود، فدلت نقرته عند الكعبة على نقرة الأسود الحبشي بمعوله في أساس الكعبة يهدمها في آخر الزمان، فكان نقر الغراب في ذلك المكان يؤذن بما يفعله الفاسق الأسود في آخر الزمان بقبلة الرحمن، وسُقيا أهل الإيمان، وذلك عندما يُرفع القرآن، وتحيا عبادة الأوثان، وفي الصحيح عن رسول الله ــ ﷺ ــ « ليخربنَّ الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » وفي الصحيح أيضاً من صفته : أنه « أفحج » وهذا أيضا ينظر إلى كون الغراب أعصم ؛ إذ الفحج تباعد في الرجلين، كما أن العَصَم اختلاف فيهما، والاختلاف : تباعد. راجع فتح الباري لابن حجر بتحقيقنا.

وأما قرية النمل ؛ ففيها من المشاكلة أيضاً، والمناسبة : أن زمزم هي عين مكة التي يردها الحجيج ــ جمع حاج ــ والعمَّار من كل جانب، فيحملون إليها البر والشعير، وغير ذلك وهي لا تحرث ولا تزرع كما قال سبحانه خبراً عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وارزقهم من الثمرات** ﴾ وقرية النمل لا تحرث ولا تبذر، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب، وفي مكة قال الله سبحانه : ﴿ **وضرب الله مثلا قريةً كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان** ﴾.

نخاصمك فيها، قال : فاجملوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمْكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد بن هُذَيْم، قال. نعم قال: وكانت بأشراف الشام، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر. قال : والأرض إذ ذاك مفاوز. قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام، فَنِيَ ماء عبد المطلب وأصحابه، فظمِئُوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقَوْا من معهم من قبائل قريش، فأبَوْا عليهم، وقالوا : إنَّا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم، وما يتخوَّف على نفسه وأصحابه، قال : ما تَرَوْن ؟ قالوا ما رأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بما شئت، قال : فإنّي أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة ــ فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه ــ حتى يكون آخركم رجلا واحدا، فضَيْعَةُ رجل واحد أيسر من ضَيْعة رَكْب جميعا قالوا : نِعْم ما أمرت به فقام كل واحد منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءَنا بأيدينا هكذا للموت، لا نضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا، لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد، ارتحِلوا، فارتحَلوا حتى إذا فرغوا، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب، فكبَّر عبد المطلب وكبَّر أصحابه، ثم نزل فشرِب، وشرب أصحابه، واستَقَوْا حتى ملئوا أسقيَتهم، ثم دعا القبائل من قريش، فقال : هلُمّ إلى الماء، فقد سقانا الله، فاشربوا واستقوا. ثم قالوا : قد ــ والله ــ قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفَلاة لهو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً. فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلَّوْا بينه وبينها.

قال ابن إسحاق : فهذا الذي بلغني من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في زمزم، وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أُمر بحفر زمزم :

ثم ادعُ بالماء الرَّوِيِّ غيرِ الكَدِرْ يسقي حجيجَ الله في كل مَبَرْ[1]
ليس يُخافُ منه شيء ما عَمَر[2]

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال : تعلَّموا أني قد أمرت أن أحفر لكم زمزم، فقالوا : فهل بُيِّن لك أين هي ؟ قال : لا. قالوا: فارجع إلى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت ؛ فإن يك حقا من الله يُبيَّن لك، وإن يكن من الشيطان فلن يعودَ اليك. فرجع عبد المطلب الى مضجعه، فنام فيه، فأُتي فقيل له : احفر زمزم، إنك إن حفرتها لم تندمْ، وهي تراث من أبيك الأعظم، لا تنزِف أبداً ولا تُذَم، تسقي الحجيجَ الأعظم، مثل نعام جافل لم يُقْسَم،[3] ينذر فيها ناذر لمنعم، تكون ميراثا وعَقْداً مُحْكَم ؛ ليست كبعضِ ما قد تعلم، وهي بين الفَرْثِ والدم.

---

(١) وذكر في غير رواية علي بن أبي طالب ــ رضوان الله عليه ــ ثم ادع بالماء الرويّ غير الكدر يقال : ماء رِوى بالكسر والقصر، ورَواء بالفتح والمد وفيه : يسقى حجيج الله في كل مَبَرْ، الحجيج : جمع حاج. وفي الجموع على وزن فعيل كثير كالعبيد والبقير والمعيز والأبيل، وأحسبه اسما للجمع ؛ لأنه لو كان جمعاً له واحد من لفظه، يجري على قياس واحد كسائر الجموع، وهذا يختلف واحده فحجيج واحده : حاج، وعبيد واحده : عبد.. إلى غير ذلك، فجائز أن يقال : إنه اسم للجمع غير أنه موضوع للكثرة ؛ ولذلك لا يصغَّر على لفظه، كما تصغر أسماء الجموع. ومعنى مَبَر : هو مفعل من البر، يريد : في مناسك الحج ومواضع الطاعة، انظر الروض الأنف ــ بتحقيقنا جـ١ ص ١٧١.

(٢) وقوله : ليس يخاف منه شيء ما عمر. أي : ما عمر هذا الماء، فإنه لا يؤذي، ولا يُخاف منه ما يخاف من المياه إذا أفرط في شربها، بل هي بركة على كل حال.

(٣) وقوله : مثل نعام جافل لم يُقْسم. الجافل : من جفلت الغنم : إذا انقلعت بجملتها. ولم يُقَسَم أي : لم يُتوزع، ولم يتفرق.

قال ابن هشام : هذا الكلام، والكلام الذي قبله، من حديث عَليٍّ في حفر زمزم من قوله : « لا تنزف أبدا ولا تُذَم » إلى قوله : « عند قرية النمل » عندنا سجع وليس شعراً.

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين قيل له ذلك، قال : وأين هي ؟ قيل له عند قرية النمل، حيث ينقر الغرابُ غداً. والله أعلم أي ذلك كان.

عبد المطلب يحفر زمزم : فغدا عبد المطلب ومعه ابنهُ الحارث، وليس له يومئذ ولد غيره، فوجد قريةَ النمل ووجد الغرابَ ينقر عندها بين الوثنين :إساف ونائلة، اللذيْن كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها فجاء بالمِعْوَل وقام ليحفر حيث أُمر، فقامت إليه قريش حين رأوا جِدَّه، فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وثَنَيْنا هذين اللَّذيْن ننحر عندهما، فقال عبد المطلب لابنه الحارث : ذُدْ عني حتى أحفر، فوالله لأمضينَّ لما أُمرت به، فلما عرفوا أنه غيرُ نازع خَلَّوا بينه وبين الحفر، وكفوا عنه، فلم يحفر إلا يسيرا. حتى بدا له الطي، فكبر وعَرِف أنه قد صُدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزاليْن من ذهب، وهما الغزالان اللَّذان دَفنت جُرْهم فيها حين خرجت من مكة، ووجد فيها أسيافا قَلْعية وأدراعا فقالت له قريش : يا عبد المطلب، لنا معك في هذا شِرْك وحقّ، قال : لا، ولكن هَلُمّ إلى أمر نَصَفٍ بيني وبينكم، نضرب عليها بالقِداح، قالوا : وكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قِدْحَيْن، ولي قِدْحَيْن ولكم قِدْحَيْن فمن خرج له قِدْحاه على شيء كان له، ومن تخلَّف قدحاه فلا شيء له قالوا : أنصَفْت، فجعل قِدْحين أصفرين للكَعبة، وقِدْحَيْن أسودين لعبد المطلب، وقِدْحَيْن أبيضين لقريش، ثم أعطوا القداحَ صاحبَ القداحِ الذي يُضرب بها عند هُبل ــ وهُبل : صنم في جوف الكعبة، وهو أعظم أصنامهم، وهو الذي يعني أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال : أَعْلِ هُبَل أي أظهِرْ دينك ــ وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، فضرب صاحب

القداحِ القداحَ، فخرج الأصْفران على الغزالين للكعبة، وخرج الأسودان في الأسياف، والأدراع لعبد المطلب، وتخلف قدحا قريش. فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة، وضرب في الباب الغزالين من ذهب، فكان أول ذهب حُلِّيته الكعبة ــ فيما يزعمون ــ ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج.

ذكر بئار قبائل قريش

قال ابن هشام : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارا بمكة[1]، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكَّائي عن محمد بن إسحاق، قال :

عبد شمس يحفر الطَّوِي : حفر عبد شمس بن عبد مناف الطَّوِيَّ، وهي البئر التي بأعلى مكة عند البيضاء، دار محمد بن يوسف.

هاشم يحفر بذَّر : وحفر هاشم بن عبد مناف بَذَّر[2]، وهي البئر

---

(١) وقوله : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد اتخذت بئاراً بمكة. ذكروا أن قصيا كان يسقي الحجيج في حياض من أدم، وكان ينقل الماء إليها من آبار خارجة من مكة منها : بئر ميمون الحضرمي، وكان ينبذ لهم الزبيب. ثم احتفر قصيٌّ العَجُول في دار أم هانئ بنت أبي طالب، وهي أول سقاية احتُفرت بمكة، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا، فقالوا :

نُروى على العَجُــول، ثم ننطلــق إن قُصيّــاً قد وفــى وقــد صدق

فلم تزل العجول قائمة حياةَ قصي، وبعد موته، حتى كبر عبد مناف بن قصي، فسقط فيها رجل من بني جُعَيْل، فعطلوا العجول، واندفنت.

(٢) لفظ بَذَّر مأخوذ من التبذير، وهو التفريق، ولعل ماءها كان يخرج متفرقاً من غير مكان واحد.

التي عند المسْتَنْذَر، خَطْم الخَنْدمة على فم شِعْب أبي طالب، وزعموا أنه قال حين حفرها : لأجعلنَّها بلاغا للناس.

قال ابن هشام : وقال الشاعر :

سقى اللهُ أمواهاً عرفتُ مكانَها جُرَاباً ومَلْكوما وبَـذَّرَ والغَمْـرا

سَجْلَة والاختلاف فيمن حفرها : قال ابن إسحاق : وحفر سَجْلَة، وهي بئر المُطْعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف التي يَسْقون عليها اليوم. ويزعم بنو نوفل أن المُطْعِم ابتاعها من أسد بن هاشم، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم، فاستغنوا بها عن تلك الآبار[1].

أمية بن عبد شمس يحفر الحَفْر : وحفر أمية بن عبد شمس الحَفْر لنفسه.

بنو أسد تحفر سُقَيَّة : وحفرت بنو أسد بن عبد العزى : سُقَيَّة، وهي بئر بني أسد.[2].

بنو عبد الدار تحفر أم أحْرَاد : وحفرت بنو عبد الدار : أمَّ أحْرَاد[3].

---

(١) واحتفرت كل قبيلة بئرا، واحتفر قصي سجْلة، وقال حين حفرها :

أنـا قصي، وحفـرتُ سجْلـةْ تروي الحجيـج زُغْلـة فَزُغْلـةْ

وقيل : بل حفرها هاشم، ووهبها أسد بن هاشم لعدي بن نوفل، وفي ذلك تقول خالدة بنت هاشم :

نحـن وهبنـا لعـدي سجلـةْ تروي الحجيـج زغلـةً فزغلـةْ

وزغلة هنا : الجرعة.

(٢) وهذه البئر تسمى أيضا شفية بئر بني أسد، فقال فيها الحويرث بن أسد :

ماء شفيـة كمـاء المـزن ولـيس ماؤهـا بطـرق أجـن

(٣) وأما أم أحراد، فأحراد : جمع حِرْد، وهي قطعة من السنام، فكأنها سميت بهذا، لأنها تنبت الشحم، أو تُسَمِّن الإبل، أو نحو هذا والحُرْد : القطا الواردة للماء، فكأنها تردها =

بنو جمح تحفر السُّنْبُلة : وحفرت بنو جُمَح: السُّنْبُلة، وهي بئر خَلَف بن وَهْب.[1].

بنو سهم تحفر الغَمْر : وحفرت بنو سهم : الغَمْر، وهي بئر بني سَهْم.[2].

أصحاب رُم وخُم والحَفْر : وكانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مرة بن كعب، وكلاب بن مُرة، وكبراء قريش الأوائل منها يشربون، وهي رُمّ[3]، ورُمّ : بئر مرة بن كعب بن لؤيّ. وخُمّ،[4]

= القطا والطير، فيكون أحراد جمع : حُرْد بالضم على هذا. وقالت أُمية بنت عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار امرأة العوام بن خويلد حين حفرت بنو عبد الدار أم أحراد :

نحن حفرنا البحر أم أحراد ليست كَبَذَّر البرور الجماد

فأجابتها ضرتها : صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضي الله عنه :

نحن حفرنا بذَّرْ نسقي الحجيج الأكبرْ
من مُقبل ومُدبر وأم أحراد شَرّ

(١) وأما سُنْبُلَة : بئر بني جمح، وهي بئر بني خلف بن وهب ــ فقال فيها شاعرهم :

نحن حفرنا للحجيج سنبلهْ صوب سحاب ذو الجلال أنزلهْ
ثم تركناها برأس القُنْبُلَهْ تصب ماءً مثل ماء المعبلهْ
نحن سقينا الناس قبل المسئله

(٢) أما الغَمْر : بئر بني سهم، فقال فيها بعضهم :

نحن حفرنا الغمر للحجيج تثج ماء أيّما ثجيج

(٣) رم بئر بني كلاب بن مرة فهي من رممت الشيء إذا أجمعته وأصلحته، ومنه الحديث : « كنا أهل ثُمة ورُمة »، ومنه : الرمان في قول سيبويه، لأنه عنده فعلان، وأما الأخفش فيقول فيه : فعال، فيجعل فيه النون أصلية، ويقول : إن سميت به رجلا صرفته. ومنه قول عبد شمس بن قصي :

حفرت رُمًّا، وحفرت خَما حتى ترى المجد بها قد تمَّا

(٤) وأما خُم، وهي بئر مرة، فهي من خممت البيت إذا كنسته، ويقال : فلان مخموم القلب أي : نقيه، فكأنها سميت بذلك لنقائها.

وخُمّ: بئر بني كلاب بن مرة، والحَفْر. قال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤيّ :

قال ابن هشام : وهو أبو أبي جَهْم بن حُذَيفة :

وقِدْماً غَنَينا قبل ذلك حِقْبة ولا نستقي إلا بخَمٍّ أو الحَفْرِ

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له، وسأذكرها إن شاء الله في موضعها.

فضل زمزم على سائر المياه : قال ابن إسحاق : فعفَّت زمزم على المياه التي كانت قبلها يَسْقي عليها الحاجُّ وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام ؛ ولفضلها على ما سواها من المياه ؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

بنو عبد مناف يفتخرون بزمزم : وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلِّها، وعلى سائر العرب، فقال مسافر بن أبي عمرو بن أمية ابن عبد مناف،(١) وهو يفخر على قريش بما ولوا عليهم من السِّقاية والرفادة، وما أقاموا للناس من ذلك، وبزمزم حين ظهرت لهم، وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد، شَرَفُ بعضهم لبعض شَرَفٌ وفضْلُ بعضهم لبعضٍ فضلٌ :

ورثنا المجدَ من آبا ئنا فَنَمَى بنا صُعُدَا

---

(١) واسم أبي عمرو : ذكوان، وهو الذي يقول فيه أبو سفيان :

ليت شعري مسافر بن أبي عمرو، وليتٌ يقولها المحزون
بورك الميت الغريب كما بورك نضح الرمان والزيتون

في شعر يرثيه به، وكان مات من حب صعبة بنت الحضرمي.

ألـم نَسْق الحجيـجَ ونـنـ ـحـر الدَّلَّافـة الرُّفـدَا[1]
ونلقى عنـدَ تصريـف الـ ـمنايـا شُدَّدا رُفُـدَا[2]
فإن نَهْـلِكْ، فلـم نُمْـلَك ومـن ذا خالـد أبـدا
وزمـزم في أرومتِنـا ونفقـأ عيـنَ من حَسَدَا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بني عَدي بن كعب بن لؤيّ :

وساقي الحجيج، ثم للخبْز هاشمٌ وعبد مناف ذلك السيد الفِهْري
طوى زمزماً عندَ المقامِ فأصبحتْ سقايتُه فخراً على كلِّ ذي فَخْرِ

قال ابن هشام : يعني عبدَ المطلب بن هاشم. وهذان البيتان في قصيدة لحذيفة بن غانم سأذكرها في موضعها ــ إن شاء الله تعالى.

ذكر نَذْر عبد المطلب ذبحَ ولده

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب بن هاشم ــ فيما يزعُمون والله أعلم ــ قد نذر حين لقيَ من قريش ما لقي عند حفر زمزم : لئن وُلد له عَشرةُ نَفَر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ؛ لينحرنَّ أحدَهم لله عند الكعبة. فلما توافَى بنوه عشرةً، وعرف أنهم سيمنعونه، جَمَعهم. ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قِدْحا ثم يكتب فيه اسمه ثم

(١) الرُّفد : جمع رفود من الرَّفد، وهي التي تملأ إناءين عند الحلب.
(٢) هو جمع رفود أيضاً من الرفد وهو : العون.

ائتوني، ففعلوا، ثم أَتَوْه، فدخل بهم على هُبل في جوف الكعبة، وكان هبل على بئرٍ في جَوْف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يُجمع فيها ما يُهْدَى للكعبة.

قداح هُبَل السبعة : وكان عند هبل قِداح سبعة، كل قِدْح منها فيه كتاب. قِدْح فيه « العَقْل »، إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم، ضربوا بالقداح السبعة، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله. وقدح فيه (نَعَم) للأمر إذ أرادوه يُضرب به القداح، فإن خرج قدح نعم، عملوا به. وقدح فيه (لا) إذا أرادوا أمراً ضربوا به القِداح، فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر، وقِدْح فيه (منكم) وقِدْح فيه (مُلْصَق)، وقدح فيه (من غيركم)، وقدح فيه (المياه)، إذا أرادوا ان يحفروا الماء ضربوا بالقداح، وفيها ذلك القِدْح، فحيثما خرج عملوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما، أو يُنكحوا مَنْكحا، أو يدفنوا مَيْتاً، أو شَكُّوا في نسب أحدهم، ذهبوا به إلى هُبَل وبمائة درهم وجزور، فأعطوها صاحب القداح الذي يَضْرب بها، ثم قرَّبوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا : يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا، فأخرج الحقَّ فيه. ثم يقولون لصاحب القِداح : اضرب : فإن خرج عليه : (منكم) كان منهم وسيطاً، وإن خرج عليه : (من غيركم) كان حليفا، وإن خرج عليه : (مُلْصَق) كان على منزلته فيهم، لا نسب له، ولا حِلْف، وإن خرج فيه شيء، مما سوى هذا مما يعملون به (نعم) عملوا به، وإن خرج : (لا) أخروه عامه، وذلك حتى يأتوه به مرة أخرى، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القِداح.

عبد المطلب يحتكم إلى القداح : فقال عبدُ المطلب لصاحب القِداح : اضرب على بَنيَّ هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبره بنذره الذي نذر،

فأعطاه كل رجل منهم قِدْحه الذي فيه اسمه، وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بني أبيه[1]، كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر.

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم.[2]

خروج القداح على عبد الله : قال ابن إسحاق : وكان عبد الله ــ فيما يزعمون ــ أحب ولد عبد المطلب إليه، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشْوَى[3]. وهو أبو رسول الله ــ ﷺ ــ فلما أخذ صاحب القِداح ــ القداح ــ ليضرب بها، قام عبد المطلب عند هُبل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القِدْح على عبد الله.

عبد المطلب يحاول ذبح ابنه ومنع قريش له : فأخذه

---

(١) وذكر نذر عبد المطلب أن ينحر ابنه إلى آخر الحديث، وفيه أن عبد الله، يعني : والد رسول الله ــ ﷺ ــ كان أصغر بني أبيه، وهذا غير معروف، ولعل الرواية : أصغر بني أمه، وإلا فحمزة كان أصغر من عبد الله، والعباس : أصغر من حمزة، وروي عن العباس ــ رضي الله عنه ــ أنه قال : أذكر مولد رسول الله ــ ﷺ ــ وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها، فجيء بي حتى نظرت إليه، وجعل النسوة يقلن لي : قبِّل أخاك، قبِّل أخاك، فقبلته، فكيف يصح أن يكون عبدالله هو الأصغر مع هذا ؟! ولكن رواه البكائي كما تقدم، ولروايته وجه، وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره، ثم وُلد له بعد ذلك حمزة والعباس.

(٢) والصحيح ما قاله ابن هشام، لأن الزبيريين ذكروا أن عبداً هو أخو عائذ بن عمران، وأن بنت عبد هي : صخرة امرأة عمرو بن عائذ على قول ابن إسحاق، لأنها كانت له عمة، لا بنت عم، فقد تكرر هذا النسب في السيرة مراراً، وفي كل ذلك يقول ابن إسحاق : عائذ ابن عبد بن عمران، ويخالفه ابن هشام، وصخرة بنت عبد أم فاطمة أمها تخمر بنت عبد ابن قصي، وأم تخمر سلمى بنت عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر.

(٣) أشوى : أي أبقى.

عبد المطلب بيده وأخذ الشَّفْرة ثم أقبل به إلى إِسَاف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه، فقالت له قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبداً، حتى تُعْذر فيه. لئن فعلت هذا لا يزال الرجلُ يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاءُ الناس على هذا ؟!

وقال له المغيرة بن عبد الله بن عَمرو بن مخزوم بن يَقَظة ــ وكان عبد الله ابن أخت القوم: والله لا تذبحه أبداً، حتى تُعْذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. وقالت له قريش وبنوه : لا تفعل، وانطلقْ به إلى الحجاز فإن به عَرَّافة[1] لها تابع، فسلْها، ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرتك بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمر لك وله في فرج قبلته.

ما أشارت به عَرَّافة الحجاز : فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوها ــ فيما يزعمون ــ بخيبر. فركبوا حتى جاءوها، فسألوها، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونذرَه فيه، فقالت لهم : ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله. فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله، ثم غدوا عليها فقالت لهم : قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشرٌ من الإبل، وكانت كذلك. قالت : فارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا صاحبكم، وقربوا عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِدَاح، فإن خرجت على صاحبكم، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجتْ على الإبل فانحروها عنه، فقد رضيَ ربُّكم، ونجا صاحبُكم.[2]

---

(١) وأما الكاهنة التي تحاكموا إليها بالمدينة فاسمها : قُطبة. ذكرها عبد الغني في كتاب الغوامض والمبهمات. وذكر ابن إسحاق في رواية يونس أن اسمها : سَجاح.

(٢) ومن هنا يعلم أن الدية كانت بعشر من الإبل قبل هذه القصة : وأول من وُدي بالمائة إذاً : عبد الله. وقد ذكر الأصبهاني عن أبي اليقظان أن أبا سيارة هو أول من جعل الدية مائة من الإبل، وأما أول من وُدي بالإبل من العرب : مزيد بن بكر بن هوازن قتله أخوه معاوية جد بني عامر بن صعصعة.

تنفيذ وصية العرافة ونجاة عبد الله : فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر، قام عبد المطلب يدعو الله، ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل !! ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل عشرين، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ثلاثين، وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل أربعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل خمسين، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ستين، وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل سبعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ثمانين، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل تسعين، وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل مائة، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على الإبل، فقالت قريش ومن حضر : قد انتهى رضا ربِّك يا عبد المطلب، فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات، فضربوا على عبد الله، وعلى الإبل، وقام عبد المطلب يدعو الله، فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثانية، وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا، فخرج القِدْح على الإبل، ثم عادوا الثالثة، وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا، فخرج القِدْح على الإبل، فنُحرت، ثم تُركت لا يُصَدُّ عنها إنسان ولا يُمْنَع.

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سَبُعٌ.

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر.

ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

عبد الله يرفضها : قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبد الله، فمر به ــ فيما يزعمون ــ على امرأة من بني أسَد[1] ابن عبد العزَّى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب

---

(١) ويروى أن عبد الله بن عبد المطلب حين دعته المرأة الأسدية إلى نفسها لما رأت في وجهه من نور النبوة، ورجت أن تحمل بهذا النبي، فتكون أمه دون غيرها، فقال عبد الله حينئذ فيما ذكروا :

أما الحرام فالحِمام دونه ... والحل لا حِلَّ فأستبينه

فكيف بالأمر الذي تبغينه ... يحمي الكريم عرضه ودينه ؟!

واسم هذه المرأة : رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل، تكنى : أم قتال، وبهذه الكنية وقع ذكرها في رواية يونس عن ابن إسحاق، وذكر البرقي عن هشام بن الكلبي، قال : إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة بنت مر، كانت من أجمل النساء وأعفهن، وكانت قرأت الكتب، فرأت نور النبوة في وجهه، فدعته إلى نكاحها، فأبى، فلما أبى قالت :

إني رأيت مُخِيلةً نشأت ... فتلألأت بحناتم القطر

فَلَمَأْتُها نوراً يضيء به ... ما حوله كإضاءة الفجر

ورأيت سُقياها حيا بلد ... وَقَعَتْ به وعِمارة القفر

ورأيته شرفا أبوء به ... ما كل قادح زنده يوري

لله ما زهريةً سلبت ... منك الذي اسْتَلَبَتْ وما تدري

وفي غريب ابن قتيبة : أن التي عرضت نفسها عليه هي : ليلى العدوية. والمخيلة في البيت : السحابة تخالها ماطرة. والحناتم : السحاب الأسود. ولمأتها : أبصرتها.

ابن فِهر : وهي أخت ورقة بن نَوْفل بن أسد بن عبد العُزَّى، وهي عند الكعبة. فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبي. قالت : لك مثلُ الإبل التي نُحرت عنك، وقَعْ عَليَّ الآن. قال : أنا مع أبي، ولا أستطيع خلافه، ولا فراقه.

عبد الله يتزوج آمنة بنت وهب : فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مَناف بن زُهْرة بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤيّ ابن غالب بن فِهْر ــ وهو يومئذ سيد بني زُهرة نسباً وشرفاً ــ فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهي يومئذ أفضلُ امرأة في قريش نَسباً وموضعاً.

أمهات آمنة : وهي لبرَّة بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصيّ بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر. وبَرَّة لأم حبيب بنت أَسَد بن عبد العُزَّى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر. وأم حبيب : لبرَّة بنت عَوْف بن عُبيد ابن عُوَيْج بن عدي بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهر.

سبب زهد المرأة المعترضة لعبد الله فيه : فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكها مكانه، فوقع عليها، فحملت برسول الله ــ ﷺ ــ ثم خرج من عندها، فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت، فقال لها : ما لك لا تعرضين عليَّ اليوم ما كنت عرضت عليَّ بالأمس ؟ قالت له : فارقك النورُ الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة. وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ــ وكان قد تنصَّر واتَّبع الكتب : أنه كائن في هذه الأمة نبي.

قصة حمل آمنة برسول الله ﷺ : قال ابن إسحاق : وحدثني أبي : إسحاقُ بن يسار : أنه حُدِّث، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب، وقد عمل في طين له، وبه آثارٌ من الطين،

فدعاها إلى نفسه، فأبطأت عليه لما رأت به أثر الطين، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين، ثم خرج عامدا الى آمنة، فمرَّ بها، فدعته إلى نفسها، فأبى عليها، وعمد إلى آمنة، فدخل عليها فأصابها، فحملت بمحمد ــ ﷺ ــ ثم مر بامرأته تلك : فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا، مررتَ بي وبين عينيك غُرةٌ بيضاء، فدعوتُك فأبيْت عليَّ، ودخلت على آمنة فذهَبَتْ بها.

قال ابن إسحاق : فزعموا أن امرأته تلك كانت تُحدث : أنه مر بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس، قالت : فدعوتُه رجاءَ أن تكون تلك بي، فأبى عليَّ، ودخل على آمنة، فأصابها، فحملت برسول الله ــ ﷺ ــ فكان رسولُ الله ــ ﷺ ــ أوسطَ قومه نسباً، وأعظمهم شرفاً من قِبل أبيه وأمِّه ــ ﷺ.

ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله ﷺ

رؤيا آمنة : ويزعمون ــ فيما يتحدث الناسُ ــ والله أعلم ــ أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله ــ ﷺ ــ كانت تُحدِّثُ :

أنها أُتيت حين حَملت برسول الله ــ ﷺ ــ فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض، فقولي : أُعيذه بالواحد، من شرّ كل حاسد، ثم سميه : محمداً[1] ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بُصْرَى، من أرض الشام.

---

(١) لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله ــ ﷺ ــ إلا ثلاثة طمع آباؤهم ــ حين سمعوا بذكر محمد ــ ﷺ ــ وبقرب زمانه، وأنه يُبعث في الحجاز، أن يكون ولداً لهم. وذكرهم ابن فورك في كتاب الفصول، وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد =

وفاة عبد الله: ثم لم يلبثْ عبدُ الله بن عبد المطلب، أبو رسول الله ـــ ﷺ ـــ أن هلك، وأمُّ رسول الله ـــ ﷺ ـــ حامل به[1].

ولادة رسول الله ﷺ

ابن إسحاق يحدد الميلاد : قال حدثنا أبو محمد عبد الملك ابن هشام قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكَّائي **عن محمد بن إسحاق قال** : وُلد رسول الله ـــ ﷺ ـــ يوم الاثنين، لاثنتيْ عشرة ليلةً خلت من شهر ربيع الأول، عامَ الفيل.[2]

= الفرزدق الشاعر. والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جمحي بن كُلْفة ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، والآخر : محمد بن حمران بن ربيعة وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الأول، فأخبرهم بمبعث النبي ـــ ﷺ ـــ وباسمه، وكان كلِ واحد منهم قد خلف امرأته حاملا، فنذر كل واحد منهم : إن وُلد له ذكر أن يسميه محمداً، ففعلوا ذلك. وهذا الاسم منقول من الصفة، فالمحمد في اللغة هو الذي يحمد حمدا بعد حمد، ولا يكون مفعل مثل : مضرب وممدح إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة.

(١) أكثر العلماء على أنه كان في المهد. ذكره الدولابي وغيره، وقيل : ابن شهرين ذكره ابن أبي خيثمة، وقيل : أكثر من ذلك، ومات أبوه عند أخواله بني النجار، ذهب ليمتار لأهله تمراً، وقد قيل، مات أبوه، وهو ابن ثمان وعشرين شهراً.

(٢) ذكر أن مولده عليه السلام كان في ربيع الأول، وهو المعروف وقال الزبير : كان مولده في رمضان، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حملت به في أيام التشريق، والله أعلم.

وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم، وأنه ـــ ﷺ ـــ وُلد بعد مجيء الفيل بخمسين يوما. وهو الأكثر والأشهر، وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان (أبريل)، فكانت لعشرين مضت منه، وولد بالغَفْر من المنازل ؛ وهو مولد النبيين، ولذلك قيل : خير منزلتين في الأبد بين الزنابا والأسد، لأن الغفر يليه من =

قال ابن إسحاق : وحدثني المطَّلب بن عبد الله بن قيس بن مَخْرَمة عن أبيه عن جَده قَيْس بن مَخْرمة. قال :

وُلدت أنا ورسول الله ــ ﷺ ــ عام الفيل : فنحن لِدَتَانِ.

قال ابن إسحاق : وحدثني صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَارة الأنصاري. قال : حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت، قال : والله إني لغلام يفعَة، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهوديّاً يصرخ بأعلى صوته على أطَمَة بيثْرب : يا معشرَ يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له : ويلك ما لك؟! قال : طلع الليلةُ نَجمُ أحمد الذي وُلد به.

قال ابن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، فقلت : ابن كم كان حسان بن ثابت مَقْدَم رسول الله ــ ﷺ ــ

= العقرب ذناباها، ولا ضرر في الذنابا إنما تضر العقرب بذنبها، ويليه من الأسد أليته، وهو السماك، والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخلبه ونابه. وولد بالشِّعب، وقيل بالدار التي عند الصفا، وكانت بعدُ لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت. وقيل في تفسير بقي بن مَخلد أن إبليس ــ لعنه الله ــ رنَّ أربع رنات : رنة حين لُعن، ورنة حين أُهبط، ورنة حين وُلد رسول الله ــ ﷺ ــ ورنة حين أُنزلت فاتحة الكتاب. قال والرنين والنخار ــ صوت يخرج من الخياشيم كالأصوات التي تخرج من حلق النائم ــ.

وروي عن عثمان بن أبي العاص عن أمه أم عثمان الثقفية، واسمها : فاطمة بنت عبد الله، قالت : « حضرت ولادة رسول الله ــ ﷺ ــ فرأيت البيت حين وُضع قد امتلأ نوراً ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع عَلَيَّ » ووُلد رسول الله ــ ﷺ ــ معذوراً مسروراً، أي : مختوناً مقطوع السرة يقال : عُذِرَ الصبي، وأعذر إذا ختن، وكانت أمه تُحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم، ولا غير ذلك، ولما وضعته ــ ﷺ ــ وقع إلى الأرض مقبوضة أصابع يديه، مشيراً بالسّبابة كالْمُسبِّح بها.

المدينة ؟ فقال : ابن ستين، وقدمها رسول الله ــ ﷺ ــ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسمع حسان ما سمع، وهو ابن سبع سنين.

إعلام جده لولادته وما فعله به : قال ابن إسحاق : فلما وضعته أمه ــ ﷺ ــ أرسلت إلى جَدِّه عبد المطلب : أنه قد وُلد لك غلام، فأْته فانظرْ إليه، فأتاه فنظر إليه، وحَدَّثَتْه بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أُمرت به أن تسمِّيَه.

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه، فدخل به الكعبة فقام يدعو الله، ويشكر له ما أعطاه[1]، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها، والتُمس لرسول الله ــ ﷺ ــ الرُّضعاءُ[2].

---

(١) في غير رواية ابن هشام أن عبد المطلب قال وهو يعوِّذه :

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان ... أُعيذه بالبيت ذي الأركان
حين يكون بلغة الفتيان ... حين أراه بالغ البنيان
أُعيذه من كل ذي شنآن ... من حاسد مضطرب العِنان
ذي همة ليس له عينان ... حتى أراه رافع الشان
أنت الذي سُميت في القراء ... في كتب ثابته المتاني

أحمد مكتوب على البيان

ويبدو أن هذا الشعر منحول لم يقله عبد المطلب.

(٢) وسبب دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم إلى المراضع، فقد يكون ذلك لوجوه. أحدها : تفريغ النساء إلى الأزواج، كما قال عمار بن ياسر لأم سلمة ــ رضي الله عنها ــ وكان أخاها من الرضاعة، حين انتزع من حجرها زينب بنت أبي سلمة، فقال : « دعي هذه المقبوحه المشقوحة التي آذيت بها رسول الله ــ ﷺ ــ » وقد يكون ذلك منهم أيضاً لينشأ الطفل في الأعراب، فيكون أفصح للسانه، وأجلد لحسمه، وأجدر أن لا يفارق الهيئة المعدية، كما قال عمر رضي الله عنه : تمعددوا وتمعززوا واخشوشنوا. وقد قال ــ عليه السلام ــ لأبي بكر ــ رضي الله عنه ــ حين قال له : ما رأيت أفصح منك يا رسول الله، فقال : « وما يمنعني، وأنا من قريش، وأُرضعت في بني سعد ؟! » فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء إلى المراضع الأعرابيات. وقد ذُكر أن عبد الملك =

قال ابن هشام : المراضع. وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ **وحرَّمنا عليه المراضعَ** ﴾[1].

مرضعته حليمة : قال ابن إسحاق : فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر. يقال لها : حليمة ابنة أبي ذُؤَيْب.

نسب مرضعته : وأبو ذُؤَيْب : عبد الله بن الحارث بن شِجْنَة بن جابر بن رِزام بن ناصرة بن فُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان.

زوج حليمة ونسبه : واسم أبيه الذي أرضعه ــ ﷺ ــ الحارث ابن عبد العُزَّى بن رفاعة بن مَلَّان بن ناصرة بن فُصَيَّة بن نصر بن سعد ابن بكر بن هوازن[2].

= ابن مروان كان يقول : أضرَّ بنا حب الوليد، لأن الوليد كان لحَّانا وكان سليمان فصحيا، لأن الوليد أقام مع أمه، وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية، فتعربوا، ثم أدبوا فتأدبوا. وكان من قريش أعراب، ومنهم حضر، فالأعراب منهم : بنو الأدرم وبنو محارب، وأحسب بني عامر بن لؤيّ كذلك ؛ لأنهم من أهل الظواهر ؛ وليسوا من أهل البطاح.

(١) الذي قاله ابن هشام ظاهر ؛ لأن المراضع جمع مُرْضِع، والرضعاء : جمع رضيع ؛ ولكن لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين : أحدهما : حذف المضاف كأنه قال : ذوات الرضعاء، والثاني : أن يكون أراد بالرضعاء : الأطفال على حقيقة اللفظ، لأنهم إذ وجدوا له مرضعة ترضعه، فقد وجدوا له رضيعا، يرضع معه، فلا يبعد أن يقال : التمسوا له رضيعا علماً بأن الرضيع لا بد له من المرضع.

(٢) لم يذكر له إسلاما، ولا ذكره كثير ممن ألف في الصحابة، وقد ذكره يونس بن بُكير في روايته، فقال : حدثنا ابن إسحاق قال : حدثني والدي : إسحاق بن يسار، عن رجال من بني سعد بن بكر قال : قدم الحارث بن عبد العُزَّى، أبو رسول الله ــ ﷺ ــ من الرضاعة على رسول الله ــ ﷺ ــ بمكة حين أُنزل عليه القرآن، فقالت له قريش : ألا تسمع يا حارِ ــ ترخيم لحارث ــ ما يقول ابنك هذا ؟ فقال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله يَبعث بعد الموت، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه، ويكرم فيهما من أطاعه، فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا. فأتاه، فقال : أي بني ما لك، ولقومك يشكونك، ويزعمون =

قال ابن هشام ويقال : هلال بن ناصرة.

أولاد حليمة : قال ابن إسحاق : وإخوته من الرضاعة : عبد الله ابن الحارث، وأُنَيْسة بنت الحارث، وخِذامة[1] بنت الحارث، وهي الشَّيْماء، غلب ذلك على اسمها فلا تُعرف في قومها إلا به. وهم لحليمة بنت أبي ذؤيب، عبد الله بن الحارث، أم رسول الله ــ ﷺ ــ ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذْ كان عندهم.

قال ابن إسحاق : وحدثني جَهْم بن أبي جَهْم مولى الحارث بن حاطب الجُمحي، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أو عمن حدثه عنه قال :

حديث حليمة : كانت حليمة بنت أبي ذُؤيب السَّعْدية، أم رسول الله ــ ﷺ ــ التي أرضعته[2]، تُحدِّث : أنها خرجت من بلدها مع زوجها، وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء، قالت : وذلك في سنة شهباء، لم تُبقِ لنا شيئاً : قالت : فخرجت على أتان لي قمْراء، معنا شارف لنا، والله ما تَبِضُّ بقطرة، وما

= أنك تقول : إن الناس يُبعثون بعد الموت، ثم يصيرون إلى جنة ونار ؟ فقال رسول الله ــ ﷺ ــ : نعم أنا أزعم ذلك ولو قد كان ذلك يا أبت، لقد أخذت بيدك، حتى أعرِّفك حديثك اليوم، فأسلم الحارث بعد ذلك، وحسن إسلامه، وكان يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابني بيدي، فعرَّفني ما قال، لم يرسلني إن شاء الله حتى يُدخلني الجنة.

(١) خذامة بكسر الخاء المنقوطة، وقال غيره : حُذافة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم، وذكره يونس في روايته عن ابن إسحاق، وكذلك ذكره عمر بن عبد البر في كتاب النساء.

(٢) وأرضعته ــ عليه السلام ــ ثُوَيْبَة قبل حليمة. أرضعته، وعمه حمزة، وعبد الله بن جحش، وكان رسول الله ــ ﷺ ــ يعرف ذلك لثويبة، ويصلها من المدينة، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح، فأُخبر أنهما ماتا، وسأل عن قرابتها، فلم يجد أحداً منهم حيا. وثويبة كانت جارية لأبي لهب.

ننام لَيلَنا أجمعَ من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذّيه ــ

قال ابن هشام : ويقال : يغذّيه[1] ــ ولكنا كنا نرجو الغَيْث والفرج، فخرجت على أتاني تلك، فلقد أَدَمْتُ[2] بالرَّكْب، حتى شقَّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله ــ ﷺ ــ فتأباه، إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك : أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبيِ،[3] فكنا نقول : يتيم ؟! وما

---

(١) وذكر قول حليمة : وليس في شارفنا ما يغذّيه وقال ابن هشام : ما يغذّيه بالذال المنقوطة، وهو أتم في المعنى من الاقتصار على ذكر الغذاء دون العشاء، وليس في أصل الشيخ رواية ثالثة، وعند بعض الناس رواية غير هاتين وهي يُعْذِبه بعين مهملة وذال منقوطة وباء معجمة بواحدة، ومعناها عندهم : ما يقنعه حتى يرفع رأسه، وينقطع عن الرضاع، يقال منه : عذبته وأعذبته : إذا قطعته عن الشرب ونحوه، والْعَذُوب : الرافع رأسه عن الماء، وجمعه : عُذوب بالضم، ولا يعرف فَعُولا جمع على فعول غيره : قاله أبو عبيد والذي في الأصل أصح في المعنى والنقل. (عن الروض الأنف) بتحقيقنا.

(٢) أي أطلت عليهم المسافة، وتروى أَذْمَمْتُ بالركب، تريد : أنها حبستهم، وكأنه من الماء الدائم، وهو الواقف، ويروى : حتى أَذَمّتْ. أي : أذمت الأتان، أي : جاءت بما تذم عليه، أو يكون من قولهم : بئر ذَمَّة، أي : قليلة الماء، وليست هذه عند أبي الوليد، ولا في أصل الشيخ أبي بحر، وقد ذكرها قاسم في الدلائل، ولم يذكر رواية أخرى، وذكر تفسيرها عن أبي عبيدة : أذم بالركب : إذا أبطأ، حتى حبستهم : من البئر الذَّمَّةِ، وهي القليلة الماء. وانظر الروض الأنف من تحقيقنا.

(٣) والتماس الأجر على الرضاع لم يكن محموداً عند أكثر نساء العرب، حتى جرى المثل : « تجوع المرأة ولا تأكل بثديها » وكان عند بعضهن لا بأس به، فقد كانت حليمة وسيط في بني سعد، كريمة من كرائم قومها، بدليل اختيار الله ــ تعالى ــ إياها لرضاع نبيه ــ ﷺ ــ كما اختار له أشرف البطون والأصلاب والرضاع كالنسب ؛ لأنه يغير الطباع.

وفي المسند عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ ترفعه : « لا تسترضعوا الحمقى، فإن اللبن يورث » ويحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضعاء اضطراراً للأزمة التي أصابتهم، والسنة الشهباء التي اقتحمتهم.

عسى أن تصنع أمه وجَدُّه ؟ فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلتُ لصاحبي : والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم، فلآخذنَّه، قال : لا عليكِ أن تفعلي، عسى الله أن يجعلَ لنا فيه بركةً. قالت : فذهبتُ إليه فأخذتُه، وما حملني على أخذِه إلا أني لم أجد غيرَه.

الخير الذي أصاب حليمة : قالت : فلما أخذتُه، رجعتُ به إلى رحلي فلما وضعته في حِجْري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن[1]، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فحلب منها ما شَرِب، وشربتُ معه حتى انتهينا رِيّاً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا : تعلَّمي والله يا حليمةُ، لقد أخذتِ نَسمةً مباركة، قالت : فقلت : والله إني لأرجو ذلك. قالت : ثم خرجنا وركبتُ أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعتْ بالرَّكْبِ ما يقدر عليها شيء من حُمُرِهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذُؤَيْب، ويحكِ ! أربعي علينا، أليستْ هذه أتانَك التي كنتِ خرجتِ عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله. إنها لهي هي فيقلْنَ : والله إن لها لشأناً.

قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد. وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدبَ منها، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شِبَاعا لُبَّنا. فنحلب ونشرب. وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضَرْع. حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم أسرحوا حيث

(١) وذكر غير ابن إسحاق أن رسول الله ــ ﷺ ــ كان لا يقبل إلا على ثديها الواحد، وكانت تعرض عليه الثدي الآخر، فيأباه كأنه قد أُشعر ــ عليه السلام ــ أن معه شريكاً في لبانها، وكان مفطوراً على العدل، مجبولا على المشاركة والفضل ــ ﷺ ــ

يسرحُ راعي بنت أبي ذُؤيب فتروح أغنامُهم جياعا ما تَبِضُّ بقطرة لبن، وتروح غنمي شِباعا لُبَّناً، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلتُه ؛ وكان يشِبُّ شبابا لا يشبُّه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جَفراً.

رجوع حليمة به إلى مكة أول مرة : قالت : فقدمنا به على أمه ونحن أحرصُ شيء على مكثه فينا ؛ لما كنا نرى من بركته ؛ فكلمنا أمَّه، وقلتُ لها : لو تركت بُنَيَّ عندي حتى يغلُظَ، فإني أخشى عليه وباء مكة قالت : فلم نزل بها حتى ردته معنا.

حديث الملكين اللذين شقا بطنه : قالت : فرجعنا به، فوالله إنه بعد مقدمنا بشهر مع أخيه لفي بَهْم لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه، فشقا بطنه، فهما يَسُوطانه[1]، قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائما منتقعا وجْهُه. قالت : فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: ما لك يا بُنَيّ، قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني وشقَّا بطني، فالتمسا شيئا لا أدري ما هو. قالت : فرجعنا إلى خِبائنا.

حليمة ترد محمداً ﷺ إلى أمه : قالت : وقال لي أبوه : يا حليمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقيه بأهله قبل أن

---

(١) يقال : سِطْتُ اللبن أو الدم، أو غيرها، أسوطه : إذا ضربت بعضه ببعض. والمسْوَط : عود يُضْرَب به.

وفي رواية أخرى، عن ابن إسحاق أنه نزل عليه كُرْكيان، فشق أحدهما بمنقاره جوفَه، ومج الآخر بمنقاره فيه ثلجاً، أو برداً، أو نحو هذا، وهي رواية غريبة ذكرها يونس عنه، واختصر ابن إسحاق حديث نزول الملكين عليه، وهو أطول من هذا كثيرا.

وانظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١ ص ١٨٨ — ١٨٩.

يظهر ذلك به، قالت : فاحتملناه، فقدمنا به على أمّه، فقالت : ما أقدمك به يا ظِئْرُ، وقد كنتِ حريصة عليه، وعلى مكثه عندك ؟ قالت : فقلت : فقد بلغ الله بابني وقضيت الذي عليَّ، وتخوفتُ الأحداث عليه، فأديته إليك كما تحبين. قالت : ما هذا شأنك، فأصدُقيني خبرك. قالت : فلم تَدَعْني حتى أخبرتُها. قالت : أفتخوفتِ عليه الشيطانَ ؟ قالت : قلت : نعم، قالت : كلا. والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لِبُنَيّ لشأنا، أفلا أخبرك خبره. قالت : قلت : بلى. قالت : رأيت حين حملتُ به : أنه خرج مني نور أضاء قصور بُصْرَى من أرض الشام. ثم حملت به، فوالله ما رأيت : من حمل قطُّ كان أخفَّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرضِ، رافعٌ رأسه إلى السماء. دعيه عنك، وانطلقي راشدة.

الرسول يُسأل عن نفسه وإجابته ﷺ : قال ابن إسحاق : وحدثني ثَوْر بن يزيد عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن مَعْدان الكَلاعي : أن نفراً من أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ قالوا له : يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم، أنا دعوةُ أبي إبراهيم، وبُشْرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصورَ الشام[1]، واسْتُرضِعْتُ في بني سعد بن بكر. فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بَهْما لنا : إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطَسْت من ذهب مملوءة ثلجا. ثم أخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي، فشقَّاه

---

(١) وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد، حتى كانت الخلافة فيها مدة بني أمية، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره ــ ﷺ ــ وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاص قبل المبعث بيسير نوراً يخرج من زمزم، حتى ظهرت له البُسر في نخيل يثرب، فقصها على أخيه عمرو، فقال له : إنها حفيرة عبد المطلب، وإن هذا النور منهم، فكان ذلك سبب مبادرته إلى الإسلام.

فاستخرجا منه عَلَقَةً سوداء فطرحاها. ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه[1]، ثم قال أحدُهُما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته، فوزنني بهم فوزنتُهم، ثم قال : زنه بمائة من أمته. فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال : زنه بألف من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم. فقال : دعه عنك، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها.

رعيه ﷺ الغنم وافتخاره بقرشيته : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ــ ﷺ ــ يقول : « ما من نبي إلا وقد رعَى الغنم، قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا ».[2]

---

(١) وهذا الخبر يُروى عنه ــ عليه السلام ــ على وجهين، أحدهما : أنه شُق عن قلبه، وهو مع رابَّته ومرضعته في بني سعد، وأنه جيء بطَسْت من ذهب، فيه ثلج فغسل به قلبه، والثاني فيه : أنه غسل بماء زمزم، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين عُرج به إلى السماء بعد ما بُعث بأعوام.

وفيه أنه أتي بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأُفرغ في قلبه.

وذكر بعض من ألف في شرح الحديث أنه تعارض في الروايتين، وجعل يأخذ في ترجيح الرواة وتغليط بعضهم، وليس الأمر كذلك، بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين.

الأولى : في حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان، وليطهر ويُقدس من كل خلق ذميم، حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال، وحتى لا يكون في قلبه شيء إلا التوحيد ؛ ولذلك قال : فوليا عني، يعني : الملكين، وكأني أعاين الأمر معاينة.

والثانية : في حال الاكتهال، وبعد ما نُبِّئ، وعندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدَّسة التي لا يصعد إليها إلا مقدس.

وعرج به هناك ليفرض عليه الصلاة، وليصلي بملائكة السموات، ومن شأن الصلاة : الطهور، فقُدِّس ظاهراً وباطناً، وغُسل بماء زمزم. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ١، ص ١٨٩ ــ ١٩٠.

(٢) وإنما أراد ابن إسحاق بهذا الحديث رعايته الغنم في بني سعد مع أخيه من الرضاعة، وقد ثبت في الصحيح أنه رعاها بمكة أيضاً على قراريط لأهل مكة ذكره البخاري. وانظر فهارسي المسماة مفاتيح القارى لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ــ ﷺ ــ يقول لأصحابه : « أنا أعربكم، أنا قرشي، واستُرضعت في بني سعد بن بكر ».

افتقاد حليمة له ﷺ : قال ابن إسحاق : وزعم الناس فيما يتحدثون ــ والله أعلم ــ أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلَّها في الناس، وهي مُقبلة به نحو أهله، فالتمسته فلم تجده، فأتت عبد المطلب، فقالت له : إني قد قدمت بمحمد هذه الليلة، فلما كنت بأعلى مكة أضلَّني، فوالله ما أدري أين هو، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده، فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل بن أسد، ورجل آخر من قريش، فأتيا به عبد المطلب، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة، فأخذه عبد المطلب، فجعله على عنقه، وهو يطوف بالكعبة يُعَوِّذه ويدعو له، ثم أرسل به إلى أمه آمنة.

سبب آخر لرجوع حليمة به ﷺ إلى مكة : قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ أهل العلم، أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه، مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه، أن نفراً من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه، وسألوها عنه وقلبوه، ثم قالوا لها : لنأخذن هذا الغلام، فلنذهبن به إلى مَلِكنا وبلدنا ؛ فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره، فزعم الذي حدثني أنها لم تكد تنفلت به منهم.[1]

---

(١) وكان رد حليمة إياه إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهرا، فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين :

إحداهما بعد تزويجه خديجة ــ رضي الله عنها ــ جاءته تشكو إليه السنة، وأن قومها قد أسنتوا ــ أجدبوا ــ فكلم لها خديجة، فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبكرات، والمرة الثانية : يوم حُنَيْن وسيأتي ذكرها ــ إن شاء الله.

وفاة آمنة
وحال رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بعدها

وفاة أمه ﷺ : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ــ ﷺ ــ مع أمه آمنة بنت وهب، وجدِّه عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه، ينبته الله نباتا حسناً، لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله ــ ﷺ ــ ستَّ سنين، تُوفيت أمه آمنة بنت وهب.

عمر رسول الله ﷺ حين وفاة أمه : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم :

أن أم رسول الله ــ ﷺ ــ آمنة تُوفيت ورسول الله ــ ﷺ ــ ابنُ ستِّ سنين بالأبواء، بين مكة، والمدينة، وكانت قد قدمت به على أخواله، من بني عدي بن النجار تُزيره إياهم، فماتت، وهي راجعة به إلى مكة[1].

---

(١) قال القرطبي في كتابه التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : جزم أبو بكر الخطيب في كتاب : السابق واللاحق، وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له في الحديث بإسناديهما عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : حج بنا رسول الله ــ ﷺ ــ حجة الوداع، فمر على قبر أمه، وهو باك حزين مغتم، فبكيت لبكائه ــ ﷺ ــ ثم نزل فقال : يا حميراء استمسكي، فاستندت إلى جانب البعير، فمكث عني طويلا مليّاً، ثم إنه عاد إلي، وهو فرح مبتسم، فقلت له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي، وأنت باك حزين مغتم ؛ فبكيت لبكائك، ثم عدت إليَّ، وأنت فرح مبتسم، فمم ذا يا رسول الله، فقال : ذهبت لقبر آمنة أمي، فسألت أن يحييها، فأحياها فآمنت بي ؛ أو قال : فآمنت. وردها الله عز وجل.
وفي الحديث أن رسول الله ــ ﷺ ــ زار قبر أمه بالأبواء في ألف مُقنَّع، فبكى وأبكى، وهذا حديث صحيح، وفي الصحيح أيضا أنه قال : استأذنت ربي في زيارة قبر أمي، فأذن =

قال ابن هشام : أم عبد المطلب بن هاشم : سَلْمى بنت عَمرو النَّجَّارية، فهذه الخئولة التي ذكرها ابن إسحاق لرسول الله ــ ﷺ ــ فيهم.

إجلال عبد المطلب له (ﷺ) : **قال ابن إسحاق** : وكان رسول الله ــ ﷺ ــ مع جده عبد المطلب بن هاشم، وكان يُوضَع لعبد المطلب فِراش في ظلِّ الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فِراشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، قال : فكان رسول الله ــ ﷺ ــ يأتي، وهو غلام جَفْر، حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه، ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب ــ إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني، فوالله إن له لشأنا، ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.(١)

= لي، واستأذنته أن استغفر لها، فلم يأذن لي. وفي مسند البزار من حديث بُرَيْدة أنه ــ ﷺ ــ حين أراد أن يستغفر لأمه، ضرب جبريل عليه السلام في صدره، وقال له : لا تستغفر لمن كان مشركا، فرجع وهو حزين.

(١) وذكر كون النبي ــ ﷺ ــ في كفالة جده يكلؤه ويحفظه. فمن حفظ الله له في ذلك أنه كان يتيما ليس له أب يرحمه، ولا أم ترأمه وتلحظه بعين العطف ــ لأنها ماتت، وهو صغير، وكان عيال أبي طالب بعد أن صار في كفالته كثيرة ــ وعيشهم شظفاً ــ فكان يوضع الطعام له وللصبية من أولاد أبي طالب، فيتطاولون إليه، ويتقاصر هو، وتمتد أيديهم، وتنقبض يده تكرماً منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب، فيصبحون غُمصاً رُمصاً، مصفرة ألوانهم ويصبح هو ــ عليه السلام ــ صقيلا دهيناً كأنه في أنعم عيش، وأعز كفاية، لطفاً من الله ــ عز وجل ــ به. كذلك ذكره القتبي في غريب الحديث.

وفاة عبد المطلب وما رُثي به من الشعر

فلما بلغ رسول الله ــ ﷺ ــ ثماني سنين هلك عبد المطلب بن هاشم، وذلك بعد الفيل بثماني سنين.

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن مَعْبد بن عباس، عن بعض أهله : أن عبد المطلب توفي ورسول الله ــ ﷺ ــ ابن ثماني سنين.

عبد المطلب يطلب من بناته أن يرثينه : قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن سعيد بن المسيب : أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة، وعرف أنه ميت جمع بناته، وكُنَّ ستَّ نسوة : صَفية، وبَرَّة، وعاتكة، وأم حكيم البيضاء، وأُمَيْمة، وأُرْوَى، فقال لهن : ابكين عليَّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت.

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب، كتبناه :

رثاء صفية بنت عبد المطلب لأبيها : فقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أباها :

أرِقتُ لصوتِ نائحةٍ بليلٍ ... على رَجلٍ بقارعة الصَّعيدِ
ففاضت عندَ ذلكُمُ دموعي ... على خدِّي كَمُنْحَدِرِ الفريدِ[1]
على رجلٍ كريمٍ غيرِ وَغْلٍ ... له الفضلُ المُبينُ على العبيدِ

(١) يروى : كمنحدر بكسر الدال أي : كالدر المنحدر، ومنحدر بفتح الدال فيكون التشبيه راجعاً للفيض، فعلى رواية الكسر : شبهت الدمع بالدر الفريد، وعلى رواية الفتح شبهت الفيض بالانحدار.

على الفيَّاض شَيْبَةَ ذي المعالي ... أبيكِ الخيرِ وارثِ كلَّ جودِ[1]
صدوقٍ في المواطِن غير نِكْسٍ ... ولا سَخْت المقامِ ولا سَنيد[2]
طويلِ الباع، أرْوَعِ شَيْظَمِيٍّ ... مُطَاعٍ في عشيرته حميدِ
رفيعِ البيت أبلَج ذي فُضول ... وغيثِ الناس في الزمن الحَرودِ
كريمِ الجدِّ ليس بذي وُصُومٍ ... يروقُ على المُسوَّد والْمَسُودِ
عظيم الحِلمِ من نفرٍ كرامٍ ... خَضَارِمةٍ مَلَاوِثَةٍ أسودِ[3]
فلو خَلَد امرؤٌ لقديم مجد ... ولكن لا سبيل إلى الخلودِ
لكان مُخَلَّداً أخرى الليالي ... لفضلِ المجدِ والحسبِ التليدِ

رثاء بَرَّة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت بَرَّة بنت عبد المطلب تبكي أباها :

أَعَيْنيَّ جودا بدمعٍ درر ... على طَيِّب الخِيم والمعتصرْ
على ماجد الجَدِّ واري الزنادِ ... جميل المُحَيَّا عظيم الخطرْ
على شَيْبةِ الحمدِ ذي المَكْرُمات ... وذي المجدِ والعزِّ والمفتخرْ
وذي الحلمِ والفضْلِ في النائبات ... كثيرِ المكارمِ، جَمِّ الفَخَرْ

---

(١) أبيك الخيْر. أرادت : الخيِّر فخففت، كما يقال : هيْن وهيِّن، وفي التنزيل : ﴿ **خيْرات حسان** ﴾ وكان اسم أم الدرداء : خيرة بنت أبي حدرد وكذلك أم الحسن البصري، اسمها : خيرة، فهذا من المخفف، ويجوز أن يكون الخير ها هنا هو ضد الشر، جعلته كله خيراً على المبالغة، كما تقول : ما زيد إلا علم أو حُسن، فعلى هذا الوجه لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث.

(٢) الشخت : ضد الضخم، تقول : ليس كذلك، ولكنه ضخم المقام ظاهره. والسنيد : الضعيف الذي لا يستقل بنفسه، حتى يسند رأيه إلى غيره.

(٣) ملاوثة : جمع ملواث من اللوثة، وهي القوة، كما قال المُكَعْبَر :

عند الحفيظة إن ذو لوثة لاثا

وقد قيل : إن اسم الليث منه أخذ، إلا أن واوه انقلبت ياء ؛ لأنه فيعل، فخفف.

له فَضْلُ مجدٍ على قومِه مُنير، يلوحُ كضوءِ القمرْ
أتته المنايا، فلم تُشْوِه بصرْفِ الليالي، ورَيْب القدَرْ[1]

رثاء عاتكة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكي أباها :

أعَيْنيَّ جودَا، ولا تَبْخَلا بدمعِكما بعدَ نَوْم النيام
أعَيْنيَّ واسحَنْفرا واسكُبا وشوبا بكاءَكما بالْتِدام
أعَيْنيَّ، واستخرطا واسجُما على رَجُلٍ غير نِكْس كَهام
على الجَحْفَل الغَمْر في النائباتِ كريم المساعي، وفيّ الذمام[2]
على شَيْبةِ الحمد، واري الزناد وذي مَصْدَق بعدُ ثَبْت المُقام
وسيْفٍ لدى الحرب صَمْصامة ومُرْدِي المخاصمَ عند الخصام[3]
وسهل الخليقة طَلْق اليديْن وفٍ عُدْمِليٍّ صميم لُهَام[4]

---

(١) لم تشوه: أي لم تصب الشوى ــ ما لا تقتل الإصابة فيه كاليدين والرجلين ــ، بل أصابت المقتل، وقد تقدم في حديث عبد المطلب وضربه بالقداح على عبد الله، وكان يرى أن السهم إذا خرج على غيره أنه قد أشوي، أي : قد أخطأ مقتله، أي : مقتل عبد المطلب وابنه، ومن رواه : أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذي أشوى وأخطأ، وبكلا الضبطين وجدته، ويقال أيضاً : أشوى الزرع : إذا أفرك فالأول من الشوى، وهذا من الشي بالنار، قاله أبو حنيفة الدينوري في كتابه : النبات.

(٢) على الجحفل. جعلته كالجحفل، أي : يقوم وحده مقامه، والجحفل : لفظ منحوت من أصلين، من : جحف وجفل : وذلك أنه يجحف ما يمر عليه أي : يقشره، ويجفل : أي يقلع ونظيره نهشل للذئب، هو عندهم منحوت من أصلين أيضاً، من نهشت اللحم ونشلته.

(٣) المردى : مُفْعَل من الردى، وهو الحجر الذي يقتل من أصيب به، وفي المثل « كل ضب عنده مرداته ».

(٤) قولها : وَف. أي : وَفيّ، وخفف للضرورة، وقولها : عُدْمُلِيّ. العدملي : الشديد. واللهام : فعال من لهمت الشيء. ألهمه : إذا ابتلعته، قال الراجز :

كالحوت لا يرويه شيء يلهمه يصبح عطشاناً وفي البحر فمه

ومنه سمي الجيش : لُهاماً.

تَبَـــنَّك في باذخ بيتـــــه رفيع الذؤابةِ صَعْب المـــرام[1]

رثاء أم حكيم بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكي أباها :

ألا يا عينُ جودي واستهلِّـي وبَكِّي ذا النَّدَى والمَكْرُماتِ
ألا يا عينُ ويْحَك أسعفيني بدمعٍ من دموعٍ هاطلاتِ
وبَكِّي خَيرَ من رَكبَ المطايا أباكِ الخيرَ تيَّار الفُراتِ
طويلَ الباع شَيْبة ذا المعالي كريمَ الْخَيم محمودَ الهِباتِ
وَصُولاً للقرابـــة هِبْرِزِيّـــاً وغَيْثا في السنين المُمْحِلاتِ
ولَيْثاً حين تَشْتجرُ العَوالـــي تروق له عيـــونُ الناظـــرات
عَقيلَ بني كِنانةَ والمُرَجَّـــى إذا ما الدهرُ أقبلَ بالهِنـــاتِ
ومَفْزَعَهـــا إذا ما هاج هَيْـــجٌ بِداهيـــةٍ، وخَصْمَ المُـــعْضِلاتِ
فبكِّيـــه ولا تَسَمِـــي بحُـــزْنٍ وبكِّي ــ ما بقيتِ ــ الباكياتِ

رثاء أميمة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكي أباها :

ألا هلك الراعي العشيرةَ ذو الفَقْـــدِ
وساقي الحجيجَ، والمحامي عن المجدِ
ومن يُؤْلف الضيفَ الغريبَ بيوتَـــه
إذا ما سماءُ الناسِ تبخلُ بالرعـــدِ
كسبتَ وليداً خير ما يكسبُ الفتى
فلم تَنْفكك تزدادُ يا شَيْبةَ الحمـــدِ

---

(١) تبنَّك بيته في باذخ من الشرف، ومعنى تبنك. تأصل من الْبُنْك وهو : الأصل. والبنك أيضاً : ضرب من الطيب، وهو أيضاً عود السوس.

أبـو الحـارث الفيـاض، خلَّى مكانَـه
فلا تبعـدنْ، فكـلُّ حيٍّ إلـى بُعْـدِ
فإني لباكٍ ــ ما بقيتُ ــ ومُوجَعٌ
وكان له أهـلاً لمـا كان من وَجْـدِي
سقـاك وليّ النـاس في القبـر مُمطراً
فسوف أُبَكّيـه، وإن كان في اللحْـدِ
فقـد كان زَيْنـا للعشيـرةِ كلِّهـا
وكان حميداً حيثُ ما كان مِنْ حَمْدِ

رثاء أروى بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أروى بنت عبد المطلب تبكي أباها :

بكت عيني، وحُقَّ لها البكـاءُ ... على سَمْحٍ، سجيتُه الحياءُ
على سَهلِ الخليقةِ أبْطَحي ... كريـم الخيـم، نيَّتُـه العَـلاءُ
على الفياضِ شيبةَ ذي المعالي ... أبـيك الخيـر ليس له كِفـاء
طويلِ الباع أمْلس، شَيْظميّ ... أغـرّ كأن غرتَـه ضيـاءُ
أقبِّ الكَشْحِ، أروعَ ذي فُضولٍ ... له المجدُ المقـدَّمُ والسنـاءُ
أبيّ الضيْمِ، أبلج هِبْـرزيّ ... قديـم المجـد ليس له خَفـاءُ
ومَعْقَلِ مالكٍ، وربيعِ فِهْرٍ ... وفاصِلِها إذا التُمِس القَضَاءُ[1]
وكان هو الفتى كرماً وجـوداً ... وبـأساً حيـن تنسَكب الدمـاءُ
إذا هاب الكُماةُ الموتَ حتى ... كأن قلـوبَ أكثرهـم هواءُ
مضى قُدُماً بذي رُبَدٍ خَشيب ... عليه ــ حين تُبْصره ــ البهاءُ[2]

(١) ومعقل مالك وربيع فهد. تريد : بني مالك بن النضر بن كنانة.
(٢) قولها : بذي ربد : تريد : سيفاً ذا طرائق، والربد : الطرائق. وقال صخر الغي :
وصـارم أخـلـصت خشبتـه ... أبيـض فهـو فـي متنـه ربـد

إعجاب عبد المطلب بالرثاء : قال ابن إسحاق : فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيَّب أنه أشار برأسه[1]، وقد أصمت : أنْ هكذا فابكينني.

نسب المسيِّب بن حَزْن : قال ابن هشام : المسيِّب بن حَزْن بن أبي وَهْب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

رثاء حذيفة بن غانم لعبد المطلب : قال ابن إسحاق : وقال حذيفة[2] بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤيّ يبكي عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف، ويذكر فضله، وفضل قُصي على قريش، وفضل ولده من بعده عليهم، وذلك أنه أُخذ بغرم أربعة آلاف درهم بمكة، فوقف بها فمر به أبو لهب : عبد العزى بن عبد المطلب، فافتكه :

أعينيّ جودا بالدموع على الصدر
ولا تسأما أُسْقِيتُما سَبَل القَطر
وجودا بدمع، واسفحا كل شارق
بكاء امرئ لم يُشْوِه نائب الدهر
وسُحَّا، وجُمَّا، واسجما ما بقيتما
على ذي حياء من قريش، وذي سِتر

---

(١) وقوله : فأشار إليهن برأسه، وقد أصمت بفتح الهمزة والميم، هكذا قيده الشيخ عن أبي الوليد : ويقال : صمت وأصمت، وسكت وأسكت بمعنى واحد (الروض الأنف)

(٢) وهو والد أبي جَهْم بن حُذيفة، واسم أبي جهم : عبيد، وهو الذي أهدى الخميصة لرسول الله ــ ﷺ ــ فنظر إلى علمها ». الحديث. وقد روي أيضاً هذا الحديث على وجه آخر، وهو أن رسول الله ــ ﷺ ــ أُتى بخميصتين، فأعطى إحداهما أبا جهم، وأمسك الأخرى، وفيها علم، فلما نظر إلى علمها في الصلاة أرسلها إلى أبي جهم، وأخذ الأخرى بدلا منها، هكذا رواه الزبير : وأم أبي جهم : يُسيرة بنت عبد الله بن أذاة بن رباح، وابن أذاة : هو خال أبي قحافة، وسيأتي نسب أمه، وقد قيل : إن الشعر لحذافة بن غانم، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافة.

على رجل جَلْدِ القُوى، ذي حفيظة
جميل المحيَّا غير نِكْس ولا هَذْرِ[1]
على الماجدِ البُهلول ذي الباع واللُّهى
ربيع لُؤيّ في القُحُوط وفي العُسْر
على خير حافٍ من مَعَدٍّ وناعل
كريم المساعي، طيّب الخِيم والنحْرِ
وخيرهمُ أصلا وفرعاً ومعدنا
وأحظاهم بالمُكرمات وبالذكر
وأولاهمُ بالمجدِ والحلمِ والنُّهى
وبالفضْل عند المُجْحِفات من الغُبْر
على شيبةِ الحمدِ الذي كان وجهُه
يضيءُ سوادَ الليل كالقمر البدْرِ
وساقي الحجيجَ ثم للخُبز هاشمٌ
وعبد مناف، ذلك السيد الفِهْري
طوى :مزماً عند المقام، فأصبحتْ
سقايته فخراً على كلِّ ذي فخر
لِيَبْكِ عليه كلُّ عانٍ بكُربةٍ
وآل قُصي من مُقلٍّ وذي وَفْرِ
بنوه سَراة، كهلُهم وشبابُهم
نَشَى عنهمْ بيمنُ الطائر الصقر
قُصَي الذي عادى كنانةَ كلَّها
ورابط بيتَ الله في العُسرِ واليسرِ

---

(١) النكس من السهام : الذي نكس في الكنانة ليميزه الرامي، فلا يأخذه لرداءته. وقيل : الذي انكسر أعلاه ؛ فنكس ورُد أعلاه أسفله، وهو غير جيد للرمي.

فإن تكُ غالتــه المنايــا وصرفُهـــا
فقـد عاش ميمـــونَ النقيبـــةِ والأمـــرِ
وأبقـــى رجـــالاً سادةً غيـــرَ عُزَّلٍ
مصاليتَ، أمثـــالَ الرُّدَيْنيَّـــة السُّمْـــرِ[1]
أبـــو عتبـــة الملقَـــى إلـــيَّ حبـــاؤه
أغـرُّ، هِجـــانُ اللـــونِ من نَفـــرٍ غُرِّ

وحمـزةُ مثـلُ البـدرِ، يهتـــز للنَّـــدَى
نقـيُّ الثيـــابِ والذّمـــامِ من الغَـــدْرِ
وعبـــدُ منـــافٍ ماجـــدٌ ذو حَفيظـــةٍ
وَصولٌ لذي القربى رحيمٌ بذي الصهرِ
كهولُهـم خيـــرُ الكهـــولِ، ونسلُهـــم
كنسلِ الملوكِ، لا تبورُ ولا تحري[2]
متـى ما تُلاقي منهـمُ الدهـرَ ناشئـــاً
تجـــدْه بإجْريَّـــا أوائلـــه يَجْـــري[3]
هُمُ ملئـوا البطحَـــاء مجـــداً وعـــزَّةً
إذا استُبق الخيراتُ في سالف العصر

---

(١) غير عُزَّل، وهو : جمع أعزل، ولا يجمع أفعل على فُعَّل، ولكن جاء هكذا ؛ لأن الأعزل في مقابلة الرامح، وقد يحملون الصفة على ضدها، كما قالوا : عدوة ــ بتاء التأنيث ــ حملا على صديقة، وقد يجوز أن يكون أجراه مجرى : حُسَّر جمع : حاسر ؛ لأنه قريب منه في المعنى.

(٢) لا تبور ولا تحري، أي : لا تهلك ولا تنقص، ويقال للأفعى : حارية لرقتها. وفي المأثور : ما زال جسم أبي بكر يحرى حزنا على رسول الله ــ ﷺ ــ أي : ينقص لحمه، حتى مات.

(٣) الأجريا : الطريق التي تجري فيها والوجهة التي تأخذها.

وفيهـــم بنـــاةٌ للعُـــلا وعِمـــارةٌ
وعبـدُ منـاف جَدُّهـمْ، جابرُ الـكسر
بإنكـــاحِ عوفٍ بنتَـــه ليجيرَنـــا
من اعدائنا إذ أسلمتنـــا بنـــو فِهـــر
فسرنـــا تِهامِـي البـــلادِ ونجدَهـــا
بأمنِـه حتى خاضت العيرُ في البحر[1]
وهـم حضروا والنـــاسُ بادٍ فريقُهـــم
وليس بها إلا شيوخُ بني عمـــرو[2]
بنوْها ديـــاراً جَمَّـــةً، وطَـــوَوْا بهـــا
بئاراً تسُحُّ الماءَ من ثَبَـــجِ البحـــرِ
لكـي يشربُ الحجـاجُ منهـا، وغيرُهـم
إذا ابتدروها صُبُـــح تابعـــة النحـــر
ثلاثـــة أيـــام تظـــلُّ ركابُهُـــمُ
مُخـيَّسةً بيـــن الأخاشبِ والحِجْـــرِ
وقِدْمـــا غَنِينـــا قبـــلَ ذلك حِقبـــةً
ولا نستَقـــي إلا بخُـــمَّ أو الحَفْـــرِ
وهـم يغفـرون الـذنبَ يُنقَـــم دونَـــه
ويعفـون عن قولِ السفاهـةِ والهُجْـــرِ

---

(١) فسرنا تَهامِي البلادَ : مخففاً مثل يمانيا، والأصل في يمان : يَمنى، فخففوا الياء، وعوضوا منها ألفا، والأصل في تهاميّ بكسر التاء من تهاميّ لأنه منسوب إلى تهامة ولكنهم حذفوا إحدى الياءين، كما فعلوا في يمان وفتحوا التاء من تهام لما حذفوا الياء من آخره، لتكون الفتحة فيه كالعوض من الياء، كما كانت الألف في يمان، وكذلك الألف في شآم بفتح الهمزة، وألف بعدها عوضاً من الياء المحذوفة، فإن شددت الياء من شآم قلت : شأميّ بسكون الهمزة، وتذهب الألف التي كانت عوضا من الياء لرجوع الياء المحذوفة، ولا تقول في غير النسب : شَآمٍ بالفتح والهمز، ولا في النسب إذا شددت الياء شَأْميّ.

(٢) وليس بها إلا شيوخ بني عمرو. يريد : بني هاشم ؛ لأن اسمه عمرو.

وهـم جمعـوا حلـفَ الأحابيش كلِّهـا
وهـم نكَّلـوا عنـا غُواةَ بنـــي بكـــرِ
فخـــارجَ إمـــا أهلكـــنَّ، فلا تزل
لهـم شاكـراً حتـى تُغيَّب في القبـــرِ
ولا تنس ما أسدَى ابـنُ لُبنـى ؛ فإنـه
قد اسدى يداً محقوقةً منك بالشكـرِ
وأنت ابـن لبنـى من قصي إذا انتمـوا
بحيث انتهـى قصد الفـؤاد من الصدر
وأنت تنـــاولت العُـــلا، فجمعتهـــا
إلـى مَحتـدٍ للمجـدِ ذي ثَبَـــج جَسْرِ
سبـــقتَ وفُتَّ القـــومَ بَذْلاً ونائـــلاً
وسُدْتَ وليـداً كلَّ ذي سؤددٍ غَمْـــرِ
وأمُّك سِرٌّ من خُزاعـــــة جوهـــــرٌ
إذا حَصَّل الأنسابَ يوما ذوو الخُبْرِ
إلـى سبـأ الأبطـال تُنْمَـــى، وتنتمـــي
فأكـرمْ بهـا منسوبـةً في ذُرا الزُّهـــرِ
أبـو شَمِـرٍ منهـم، وعمـرُو بنُ مالكٍ
وذو جَدَنٍ من قومهـا وأبـــو الجبـــر[1]

---

(١) أبو شمر، وهو شمر الذي بنى سمرقند، وأبوه : مالك، يقال له : الأملوك، ويحتمل أن يكون أراد أبا شمر الغساني والد الحارث بن أبي شمر.

وعمرو بن مالك الذي ذكر : أحسبه عمراً ذا الأذعار، وقد تقدم في التبابعة، وهم من ملوك اليمن، وإنما جعلهم مفخراً لأبي لهب، لأن أمه خزاعية من سبأ، والتبابعة كلهم من حمير بن سبأ.

وأبو جبر الذي ذكره في هذا الشعر : ملك من ملوك اليمن، ذكر القتبي أن سمية أم زياد، كانت لأبي جبر من ملوك اليمن، دفعها إلى الحارث بن كلدة المتطبب من طب طبه.

وأسعدُ قادَ النـاسَ عشريـن حِجـةً
يؤيـدُ في تلك المواطـنِ بالـنصرِ[1]

قال ابن هشام : « أمك سِرٌّ من خُزاعة »، يعني أبا لهب، أمه : لبنى بنت هاجر الخزاعي، وقوله : « بإجريا أوائله » عن غير ابن إسحاق.

رثاء مطرود الخزاعي لعبد المطلب : قال ابن إسحاق : وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي عبد المطلب وبني عبد مناف :

يا أيهـا الرجـلُ المُحَـوِّل رحلَـه
هـلا سألـتَ عـن آلِ عبـد منـافِ
هَبَلَـتْكَ أُمُّك، لو حَلـلتَ بدارِهـم
ضَمِنُـوك من جُرْمٍ ومـن إقْـرافِ[2]
الخالطيـن غنيَّهـم بفقيرِهـم
حتـى يعـودَ فقيرُهـم كالكافـي
المنعِميـن إذا النجـوم تغيَّـرت
والظاعنيـن لرحلـةِ الإيـلافِ
والمطعميـنَ إذا الريـاحُ تنـاوحتْ
حتـى تغـيبَ الشمسُ في الرَّجَّـاف[3]
إمَّـا هَلَكْتَ أبـا الفِعـالِ فمـا جرى
من فوقِ مثلك عَقْد ذاتِ نطـافِ[4]

---

(١) أسعد أبو حسان بن أسعد، وقد تقدم في التبابعة.

(٢) أي : منعوك من أن تُنكح بناتك أو أخواتك من لئيم، فيكون الابن مقرفاً للؤم أبيه، وكرم أمه، فيلحقك وصم من ذلك، ونحو منه قول مهلهل :

أنكحهـا فقدُهـا الأراقـم في جنب، وكـان الحبـاء من أدم

أي : أُنكحت لغربتها من غير كفء.

(٣) يعني البحر لأنه يرجف. ومن أسمائه أيضاً : خضارة، والدأماء وأبو خالد.

(٤) النطف : اللؤلؤ الصافي. ووصيفة منطفة أي : مقرطة بتوأمتين والنطف في غير هذا : =

إلا أبيك أخـــي المكـــارمِ وحـــدَه
والفـــيض مُطَّـــلب أبـــي الأضيـــافِ[1]

قال ابن إسحاق : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولي زمزم والسقاية عليها بعده العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ من أحدث إخوته سنا[2]، فلم تزل إليه، حتى قام الإسلام وهي بيده. فأقرها رسول الله ﷺ له على ما مضى من ولايته، فهي إلى آل العباس، بولاية العباس إياها، إلى اليوم.

كفالة أبي طالب رسول الله ﷺ

وكان رسول الله ﷺ بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب، وكان عبد المطلب ــ فيما يزعمون ــ يوصِي به عمَّه أبا طالب، وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب أخوان لأبٍ وأم. أمهما : فاطمة

= التلطخ بالعيب، وكلاهما من أصل واحد، وإن كانا في الظاهر متضادين في المعنى ؛ لأن النطفة هي الماء القليل، وقد يكون الكثير، وكأن اللؤلؤ الصافي أخذ من صفاء النطفة. والنطف الذي هو العيب : أخذ من نطفة الإنسان، وهي ماؤه، أي : كأنه لطخ بها.

(١) والفيض مطلب أبي الأضياف. يريد : أنه كان لأضيافه كالأب. والعرب تقول لكل جواد : أبو الأضياف : كما قال مرة بن محكان :

أُدْعى أباهم، ولم أقرِف بأمهـــم وقد عَمِرْتُ ولم أعرف لهم نسبا

(٢) وذكر ولاية العباس ــ رضي الله عنه ــ السقاية، وقال : كان من أحدث إخوته سنا، وكذلك قال في صفة النبي ــ ﷺ ــ كان من أفضل قومه مروءة، وهذا مما منعه النحويون أن يقال : زيد أفضل إخوته، وليس بممتنع، وهو موجود في مواضع كثيرة من هذا الكتاب، وغيره، وحسن، لأن المعنى : زيد يفضل إخوته، أو يفضل قومه ؛ ولذلك ساغ فيه التنكير، وإنما الذي يمتنع بإجماع : إضافة أفعل إلى التثنية مثل أن تقول : هو أكرم أخويه، إلا أن تقول : الأخوين، بغير إضافة. هذا رأي السهيلي من كتاب الروض الأنف بتحقيقنا انظره جـ١ ص ٢٠٣.

بنت عَمرو بن عائذ بن عَبْد بن عمران بن مخزوم.

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم.

قال ابن إسحاق : وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جده، فكان إليه ومعه.

اللهبي العائف : قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، أن أباه حدثه : أن رجلا من لِهْبٍ ــ

قال ابن هشام : ولهْب : من أزد شَنُوءة[1] ــ كان عائفاً، فكان إذا قَدِم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم، ويعتافُ[2] لهم فيهم. قال : فأتى به أبو طالب، وهو غلام مع من يأتيه، فنظر إلى رسول الله ﷺ ثم شغله عنه شيءٌ، فلما فرغ قال : الغلام. عليَّ به فلما رأى أبو طالب حرصَه عليه غيَّبه عنه، فجعل يقول : ويلكم ! رُدوا عليَّ الغلامَ الذي رأيت آنفاً، فوالله ليكونَنَّ له شأن. قال : فانطلق أبو طالب.

قصة بحيرى

محمد ﷺ يخرج مع عمه إلى الشام : قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في رَكْب تاجراً إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع المسير صَبَّ[3] به رسول الله ﷺ ــ فيما يزعمون ــ فرقَّ له، وقال :

---

(١) وقال غيره : وهو لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد. وهي القبيلة التي تُعرف بالعيافة والزجر.

(٢) يعتاف لهم : هو يفتعل من العيْف. يقال : عفت الطير. واعتفتها عيافة واعتيافاً : وعفت الطعام أعافه عَيْفاً. وعافت الطير الماء عيافاً.

(٣) الصبابة : رقة الشوق، يقال : صَبِبْت ــ بكسر الباء ــ أصَبُّ، ويذكر عن بعض السلف =

والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني، ولا أفارقه أبداً، أو كما قال. فخرج به معه[1].

بحيرى يحتفي بتجار قريش : فلما نزل الركب بُصْرَى من أرض الشام، وبها راهب يقال له : بَحيرَى[2] في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قطُّ راهبٌ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها ــ فيما يزعمون ــ يتوارثونه كابراً عن كابر. فلما نزلوا ذلك العام ببحِيرى، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك، فلا يكلمهم، ولا يَعْرِض لهم، حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك ــ فيما يزعمون ــ عن شيء رآه في صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله ــ ﷺ ــ وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا، وغمامة تُظِلُّه من بين القوم. قال : ثم أقبلوا فنزلوا في ظلِّ شجرةٍ قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلَّت الشجرةَ، وتهصَّرت أغصانُ الشجرةِ على رسول الله ــ ﷺ ــ حتى استظلَّ تحتها، فلما رأى ذلك بَحيرى نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصُنع، ثم أرسل إليهم. قال : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، فأنا أحب أن

= أنه قرأ : « أصَبُّ إليهن وأكن من الجاهلين » وفي غير رواية أبي بحر : ضبث به رسول الله ــ ﷺ ــ أي : لزمه. قال الشاعر :

كأن فؤادي في يد ضَبَـــئَتْ به مُحـاذِرة أن يَقضِب الحبل قاضبـــه

(١) كان رسول الله ــ ﷺ ــ إذ ذاك ابن تسع سنين فيما ذكر بعض من ألَّف السير، وقال الطبري : ابن اثنتي عشرة سنةً.

(٢) وقع في سيرة الزهري أن بَحِيرَى كان حبراً من يهود تيماء، وفي المسعودي : أنه كان من عبد القيس، واسمه : سَرْجِس، وفى المعارف لابن قتيبة، قال : سُمِع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة : بحيرى، ورباب بن البراء الشَّنِّيّ، والثالث : المنتظر، فكان الثالث رسول الله ــ ﷺ ــ قال القتبي : وكان قبر رباب الشني، وقبر ولده من بعده، لا يزال يُرى عليها طَشٌّ، والطش : المطر الضعيف.

تحضروا، كلُّكم صغيرُكم وكبيركم وعبدُكم وحرُّكم، فقال له رجل منهم : والله يا بَحيرَى إن لك لشأناً اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيراً، فما شأنُك اليومَ ؟! قال له بَحيرَى : صدقتَ، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببتُ أن أكرمَكم، وأصنعَ لكم طعاماً، فتأكلوا منه كلُّكم. فاجتمعوا إليه وتخلف رسولُ الله ــ ﷺ ــ من بين القومِ، لحداثة سنِّه، في رحالِ القوم تحت الشجرة، فلما نظر بَحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، فقال : يا معشر قريش ! لا يتخلفنَّ أحدٌ منكم عن طعامي، قالوا له : يا بَحيرى، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيَك إلا غلامٌ، وهو أحدث القوم سِنّاً، فتخلف في رحالهم، فقال : لا تفعلوا، ادعوه، فليحضرْ هذا الطعام معكم. قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللات والعزى، إن كان لَلُؤمٌ بنا أن يتخلف ابنُ عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه، وأجلسه مع القوم.

بحيرى يتثبت من محمد ﷺ : فلما رآه بَحيرى، جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القومُ من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى، فقال : يا غلامُ، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بَحيرى ذلك ؛ لأنه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضتُ شيئاً قط بغضهما، فقال له بَحيرى : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له : سلني عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه وهيئته وأمورِه، فجعل رسول الله ــ ﷺ ــ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بَحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهرِه ؛ فرأى خَاتَمَ النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

قال ابن هشام : وكان مثلَ أثرِ المِحْجَمِ.[1]

بَحيرى يوصي أبا طالب بمحمد ﷺ : قال ابن إسحاق : فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب، فقال له : ما هذا الغلامُ منك ؟ قال : ابني. قال له بَحيرى : ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّاً، قال : فإنه ابن أخي، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حُبلى به، قال : صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهودَ، فوالله لئن رأَوْه، وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّه شرّاً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم، فأسرعْ به إلى بلاده.

بعض من أهل الكتاب يريدون بمحمد ﷺ الشر : فخرج به عمه أبو طالب سريعاً، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس : أن زُرَيْراً وتَمَّاماً ودَريساً ـــ وهم نفر من أهل الكتاب ـــ قد كانوا رأوا من رسول الله ـــ ﷺ ـــ مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب، فأرادوه، فردهم عنه بَحيرى، وذكَّرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكرِه وصفته، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه، ولم يزل بهم، حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه.

---

(١) كان كأثر المحجم، يعني : أثر المحجمة القابضة على اللحم، حتى يكون ناتئاً. وفي الخبر أنه كان حوله خِيلَان فيها شعرات سود، وفي صفته أيضا أنه كان كالتفاحة، وكزرّ الحجلة. وفسره الترمذي تفسيراً ووهم فيه فقال : زر الحجلة يقال : إنه بيض وإنما هي حجلة السرير، واحدة : الحجال، وزرها الذي يدخل في عروتها. قال علي ـــ رضوان الله عليه ـــ يا أشباه الرجال، ولا رجال، ويا طَعَام الأحلام، ويا عقول ربات الحجال. وفي حديث آخر : كان كبيضة الحمامة. وفي حديث عياذ بن عبد عمرو : قال، رأيت خاتم النبوة، وكان كركبة العنز. انظر الروض الأنف جـ١ ص ٢٠٦ ـــ ٢٠٧. وانظر أيضاً شرحنا لكتاب الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للإمام الترمذي.

محمد ﷺ يشب على مكارم الأخلاق : فشب رسول الله ــ ﷺ ــ والله تعالى يكلؤه ويحفظُه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لِمَا يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلا أفضلَ قومه مروءة، وأحسنَهم خُلقا، وأكرمَهم حسباً، وأحسنَهم جواراً، وأعظمهم حِلما، وأصدقَهم حديثا، وأعظمَهم أمانةً، وأبعدهم من الفُحش والأخلاق التي تدنِّس الرجال تنزُّها وتكرما، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين، لِمَا جمع اللهُ فيه من الأمورِ الصالحة.

رسول الله ﷺ يحدث عن حفظ الله له : وكان رسولُ الله ــ ﷺ ــ فيما ذُكر لي يحدِّث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته، أنه قال :

لقد رأيتُني في غلمانِ قريش ننقل حجارةً لبعضِ ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرَّى، وأخذ إزارَه، فجعله على رقبته، يحمل عليه الحجارةَ، فإني لأُقْبل معهم كذلك وأُدبر، إذ لكمني لاكمٌ ما أَراه لكمةً وجيعةً ثم قال : شُدَّ عليك إزارَك. قال : فأخذته وشددته عليَّ، ثم جعلت أحملُ الحجارةَ على رقبتي وإزاري عليَّ من بين أصحابي.[1]

---

(١) وهذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح في حين بنيان الكعبة، وكان رسول الله ــ ﷺ ــ ينقل الحجارة مع قومه إليها، وكانوا يجعلون أُزُرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة وكان رسول الله ــ ﷺ ــ يحملها على عاتقه، وإزاره مشدود به، فقال له العباس رضي الله عنه : يا ابن أخي ! لو جعلت إزارك على عاتقك، ففعل فسقط مغشياً عليه، ثم قال : إزاري إزاري ! فشُد عليه إزاره، وقام يحمل الحجارة.

وفي حديث آخر : أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نُودي من السماء : أن اشدد عليك إزارك يا محمد، قال : وإنه لأول ما نودي.

وحديث ابن إسحاق إن صح أن كان في حال صغره إذا كان يلعب مع الغلمان فمحمله أن هذا الأمر كان مرتين، مرة في حال صغره ومرة في أول اكتهاله عند بنيان الكعبة.

حرب الفِجَار

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله ــ ﷺ ــ أربعَ عشْرةَ سنةً، أو خَمسَ عشْرةَ سنةً ــ فيما حدثني أبو عُبيدة النحوي، عن أبي عَمْرو بن العَلاء ــ هاجت حرب الفِجَار[1] بين قريش ومن معها من كِنانة، وبين قَيْس عَيْلان.

سببها : وكان الذي هاجها أن عُروةَ الرَّحَّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن هوازن، أجار لَطيمةً[2] للنعمان بن المُنذِر، فقال له البرَّاض بن قيس، أحد بني ضَمرة ابن بكر بن عبد مَناة بن كنانة : أتجيرها على كنانة ؟ قال : نعم، وعلى الخلق، فخرج فيها عروة الرحَّال، وخرج البرَّاض يطلب غفلته، حتى إذا كان بتَيْمَن ذي طِلال بالعالية، غفل عُروة، فوثب عليه البرَّاض، فقتله في الشهر الحرام، فلذلك سُمِّي : الفجار. وقال البرَّاض في ذلك :

وداهيــةٍ تُهــمُّ النــاسَ قبلــي
شَدَدْتُ لها ــ بني بكر ــ ضُلوعي

---

(١) الفجار بكسر الفاء بمعنى : المُفَاجَرة كالقتال والمقاتلة، وذلك أنه كان قتالا في الشهر الحرام، ففجروا فيه جميعاً، فسمى : الفجار.

فجارات العرب: وكانت للعرب فجارات أربع، ذكرها المسعودي، آخرها : فجار البراض المذكورة في السيرة وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة : يوم شَمْطة، ويوم العبلاء، وهما عند عكاظ، ويوم الشَّرِب، وهو أعظمها يوما، وفيه قيد حرب بن أمية وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كي لا يفروا، فسُموا : العنابس، ويوم الحريرة عند نخلة، ويوم الشرب انهزمت قيس إلا بني نضر منهم، فإنهم ثبتوا، وإنما لم يقاتل رسول الله ــ ﷺ ــ مع أعمامه، وكان ينبل عليهم، وقد كان بلغ سن القتال ؛ لأنها كانت حرب فجار، وكانوا أيضاً كلهم كفاراً، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا.

(٢) اللطيمة : عير تحمل البز والعطر.

هدمتُ بهـا بيـوتَ بنـي كلابٍ
وأرضعتُ الموالـيَ بالضُّروع[1]
رفـعتُ له بذي طَلَّالَ كفِّـي
فَخَـرَّ يميـدُ كالجِـذْعِ الصريـع[2]

وقال لَبيد بنُ مالك بن جعفر بن كلاب :

أبلـغْ ـ إن عَرَضْتَ ـ بني كلابٍ
وعامـرَ والخطـوبُ لهـا مَوَالِـي
وبلِّغ ـ إن عَرَّضْتَ ـ بني نُمَيْرٍ
وأخـوالَ القتيـل بنـي هلالِ
بأن الوافـدَ الرَّحَّـالَ أمسى
مُقيمـاً عنـد تَيْمَـنَ ذِي طِلَالِ[3]

---

(١) الضروع : جمع ضرع، هو في معنى قولهم : لئيم راضع، أي : ألحقت الموالي بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع، وأظهرت رذالتهم وهتكت بيوت أشراف بني كلاب وصرحائهم. ذلك أن اللئيم كان يرضع من ضرع الماشية ولا يحلبها بخلا ولؤما.

(٢) قول البراض : رفعت له بذي طلال كفي. فلم يصرفه، يجوز أن يكون جعله اسم بقعة، فترك صرف الاسم للتأنيث والتعريف، فإن قلت : كان يجب أن يقول : بذات طلال، أي : ذات هذا الاسم المؤنث، كما قالوا : ذو عمرو أي : صاحب هذا الاسم، ولو كانت أنثى، لقالوا : ذات هند، مثلاً. فالجواب : أن قوله : « بذي » يجوز أن يكون وصفا لطريق، أو جانب مضاف إلى طلال اسم البقعة. وأحسن من هذا كله أن يكون « طلال » اسماً مذكراً علماً، واسم العلم يجوز ترك صرفه في الشعر كثيراً. ووقع في شعر البراض مشدداً وفي شعر لبيد الذي بعد هذا مخففاً ؛ نقول : إن لبيداً خففه للضرورة، ولم نقل : إنه شدد للضرورة، وإن الأصل فيه التخفيف، لأنه فَعال من الطَلّ. كأنه موضع يكثر فيه الطل فطلال بالتخفيف لا معنى له، وأيضاً ؛ فإنا وجدناه في الكلام المنثور مشدداً.

(٣) وقول لبيد : بين تَيْمِن ذي طلال، بكسر الميم وبفتحها، ولم يصرفه للعلمية ووزن الفعل، لأنه تَفْعِل، أو تَفْعَل من اليُمْن أو اليَمين.

وهذه الأبيات في أبيات له **فيما ذكر ابن هشام.**

قتال هوازن لقريش : قال ابن هشام : فأتى آتٍ قريشاً، فقال : إن البرَّاض قد قتل عُروةَ، وهم في الشهر الحرام بعُكَاظ، وهَوازن لا تشعر، ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل، ودخلوا الحرمَ، فأمسكت عنهم هوازن، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما، والقوم متساندون، على كل قبيلٍ من قريش وكنانة رئيس منهم، وعلى كل قبيل من قيس رئيسٌ منهم.

الرسول ﷺ يشهد القتال وهو صغير : وشهد رسول الله ــ ﷺ ــ بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم، وقال رسول الله ــ ﷺ : كنت أُنَبِّلُ على أعمامي، أي أردَّ عنهم نَبْلَ عدوِّهم، إذا رموهم بها.

سن رسول الله ﷺ في هذه الحرب : قال ابن إسحاق : هاجت حرب الفِجَار، ورسول الله ــ ﷺ ــ ابن عشرين سنة.

سبب تسمية هذا اليوم بالفجار : وإنما سُمي يومَ الفجار[1]، بما استحلَّ هذان الحيان : كنانةُ وقَيْس عَيْلان فيه من المحارم بينهم.

قائد قريش وكنانة : وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أُمية بن

---

(١) وكان آخر أمر الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءوا للوعد. وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة، وكان عتبة بن ربيعة يتيما في حجره، فضَنَّ به حرب، وأشفق من خروجه معه، فخرج عتبة بغير إذنه، فلم يشعروا إلا وهو على بعيره بين الصفين ينادي : يا معشر مضر، علام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ فقال : الصلح ؛ على أن ندفع إليكم دية قتلاكم، ونعفو عن دمائنا، قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع إليكم رهنا منا، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال : أنا. قالوا : ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ورضيت كنانة. ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلا، فيهم : حكيم بن حزام، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم، عَفَوْا من الدماء، وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار، وكان يقال : لم يَسُدْ من قريش مُمْلِق إلا عتبة وأبو طالب، فإنهما سادا بغير مال.

عبد شمس، وكان الظفرُ في أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس.

قال ابن هشام : وحديث الفجار أطولُ مما ذكرت، وإنما منعني من استقصائه قطعهُ حديثَ رسول الله ــ ﷺ.

تم بعون الله وحسن توفيقه
الجزء الأول
من كتاب
السيرة النبوية
لابن هشام
ويليه إنَ شاء الله
الجزء الثاني
وأوله : حديث تزويج
رسول الله ﷺ خديجة
رضي الله عنها

فَهْرسَة الجزء الأول
من سيرة ابن هشام

ذكر سرد النسب الذكي من محمد ﷺ
إلى آدم عليه السلام ٨٩
منهج ابن هشام في عرضه للسيرة ١٠٧
سياقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام ١١٠
أولاد إسماعيل عليه السلام ١١٠
عمْر إسماعيل وموطن أمه ووفاته ١١١
حديث الوصاة بأهل مصر وسببها ١١٢
أصل العرب ١١٤
ذكر نسب الأنصار ١١٧
قُنُص بن معد ونسب النعمان بن المنذر ١١٩
لخم بن عدي ١٢٠
أمر عمرو بن عامر في خروجه من اليمن
وقصة سد مأرب ١٢٢
حديث ربيعة بن نصر ورؤياه
وخبر شق وسطيح الكاهنين ١٢٤

رؤية ربيعة ١٢٤
نسب بجيلة ١٢٥
رأي آخر في نسب النعمان بن المنذر ١٣٠
استيلاء أبي كرب تُبان أسعد على ملك اليمن
وغزوه إلى يثرب ١٣١
تبان يغضب على أهل المدينة ١٣٢
عمرو بن طلة ونسبه ١٣٣
قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة ١٣٣
تُبَّع يذهب إلى مكة ويطوف بالكعبة ١٣٧
أصل اليهودية باليمن ١٤٠
هدم البيت المسمى رئام ١٤١
ملك حسان بن تبان وقتله على يد أخيه عمرو ١٤١
هلاك عمرو وتفرق حمير ١٤٣
خبر لخنيعة وذي نواس ١٤٤
فسوق لخنيعة ١٤٤
ملك ذي نواس ١٤٥
سبب وجود النصرانية بنجران ١٤٥
حديث فيميون ١٤٦
خبر عبدالله بن الثامر ١٤٩
عبدالله بن الثامر والاسم الأعظم ١٤٩
عبدالله بن الثامر يدعو إلى التوحيد ١٥٠
ذو نواس يدعو أهل نجران إلى اليهودية ١٥١
تفسير الأخدود ١٥١
نهاية عبدالله بن الثامر ١٥٢
فرار دوس ذي ثعلبان من ذي نواس واستنجاده بقيصر ١٥٣

النجاشي ينصر دوساً ١٥٣
نهاية ذي نواس ١٥٣
قول ذي جدن الحميري في هذه القصة ١٥٤
قول ربيعة بن الذئبة الثقفي في هذه القصة ١٥٦
قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي في هذه القصة . ١٥٧
نسب زبيد ومراد ١٥٨
لماذا قال عمرو بن معدي كرب هذا الشعر ١٥٨
تصديق قول شق وسطيح ١٥٨
النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط ١٥٩
غضب النجاشي على أبرهة ١٥٩
« القُليس » أو كنيسة أبرهة ١٦٠
النساة : والنسأة ١٦١
أول من ابتدع النسيء ١٦١
الكناني يحدث في القليس ١٦٣
خروج أبرهة لهدم الكعبة ١٦٣
أشراف اليمن يدافعون عن البيت ١٦٤
خثعم تجاهد أبرهة ١٦٤
نسب ثقيف ١٦٤
ثقيف تهادن أبرهة ١٦٥
اللات ١٦٦
أبو رغال ورجم قبره ١٦٦
الأسْود بن مقصود يهاجم مكة ١٦٧
رسول أبرهة إلى مكة ١٦٧
أُنَيْس يشفع لعبد المطلب ١٦٧
الإبل لي والبيت له رب يحميه ١٦٨

الوفد المرافق لعبد المطلب ١٦١
قريش تستنصر الله على أبرهة ١٦٩
عكرمة بن عامر يدعو على الأسود ١٧٠
أبرهة يهاجم الكعبة ١٧١
عقاب الله لأبرهة وجنده ١٧٢
الله ــ جل جلاله ــ يذكر حادث الفيل
ويمتن على قريش ١٧٣
تفسير مفردات سورتي الفيل وقريش ١٧٤
مصير قائد الفيل وسائسه ١٧٦
ما قيل في قصة الفيل من الشعر ١٧٦
شعر عبدالله بن الزبَعْرَى ١٧٦
شعر ابن الأسْلَت ١٧٧
شعر طالب بن أبي طالب ١٧٩
شعر أبي الصلت الثقفي ١٧٩
شعر الفرزدق ١٨٠
شعر ابن قيس الرقيات ١٨١
ولدا أبرهة ١٨٢
خروج سيف بن ذي يزن ومُلك وهرز على اليمن ١٨٢
سيف يشكو لقيصر ١٨٢
النعمان يتشفع لسيف عند كسرى ١٨٢
معاونة كسرى لسيف ١٨٣
انتصار سيف ١٨٤
شعر سيف بن ذي يزن في هذه القصة ١٨٥
شعر أبي الصلت ١٨٦
شعر عدي بن زيد ١٨٨

ذكر ما انتهى إليه أمر الفُرس باليمن ١٩٠
مدة مكث الحبشة باليمن ١٩٠
أمراء الفرس باليمن ١٩٠
محمد ﷺ يتنبأ بموت كسرى ١٩١
إسلام باذان ١٩٢
كتاب الحجر الذي في اليمن ١٩٢
الأعشى يذكر نبوءة شق وسطيح ١٩٣
قصة ملك الحضر ١٩٤
سابور يستولي على الحضر ١٩٥
قول أعشى قيس في قصة الحضر ١٩٦
قول عدي بن زيد ١٩٦
ذكر ولد نِزار بن معد ١٩٨
أولاد أنمار ١٩٨
ولدا مضر ١٩٩
أولاد الياس ٢٠٠
حديث عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب ٢٠١
عمرو بن لحي يجر قصبه في النار ٢٠١
أصل عبادة الأصنام في أرض العرب ٢٠٢
سبب عبادة الأصنام ٢٠٣
أصنام قوم نوح ٢٠٣
القبائل العربية وأصنامها ٢٠٤
عباد يغوث ٢٠٥
عباد يعوق ٢٠٥
عباد نسر ٢٠٦
عباد عميانس ٢٠٦

عباد سعد ٢٠٦
دوس وصنمهم ٢٠٧
عباد هبل ٢٠٧
إساف ونائلة ٢٠٨
حديث عائشة عن إساف ونائلة ٢٠٨
فعل العرب مع أصنامهم ٢٠٩
الطواغيت ٢٠٩
العزى وسدنتها وحجابها ٢٠٩
مَن هم السدنة ٢١٠
اللات وسدنتها ٢١٠
مناة وسدنتها ٢١٠
هدم مناة ٢١٠
ذو الخَلَصة وعباده وهدمه ٢١١
فِلْس وعبَّاده وهدمه ٢١١
رئام ٢١٢
رُضاء وعبَّاده وهدمه ٢١٢
عمر المستوغر ٢١٢
ذو الكَعَبات وعبَّاده ٢١٣
البَحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ٢١٤
رأي ابن إسحاق فيها ٢١٤
ابن هشام يخالف ابن إسحاق ٢١٤
البحيرة والوصيلة والحامي لغة ٢١٦
عود إلى النسب ٢١٧
نسب خزاعة ٢١٧
أولاد مدركة وخزيمة ٢١٨

أولاد كنانة وأمهاتهم ٢١٨
مَن يطلق عليه لقب قرشي ٢١٩
لماذا سميت قريش باسمها ٢١٩
أولاد النضر وأمهاتهم ٢٢٠
أولاد مالك وفهر وأمهاتهم ٢٢١
أولاد غالب وأمهاتهم ٢٢١
أولاد لؤي وأمهاتهم ٢٢٢
أمر سامة بن لؤي ٢٢٤
هروبه من أخيه وموته ٢٢٤
أمر عوف بن لؤي ونقتله ٢٢٥
سبب انتمائه إلى غطفان ٢٢٥
مكانة مُرة ٢٢٦
نسب مُرة ٢٢٦
أشراف مُرة ٢٢٧
أمر البَسْل ٢٢٩
تعريف البَسْل ٢٢٩
نسب زهير بن أبي سلمى ٢٣٠
أولاد كعب وأمهم ٢٣٠
أولاد مرة وأمهاتهم ٢٣١
نسب بارق ٢٣١
ولدا كلاب وأمهما ٢٣١
نسب جُعْثُمة ٢٣٢
نُعْم بنت كلاب وأمها وولداها ٢٣٣
أولاد قُصي وأمهم ٢٣٣
أولاد عبد مناف وأمهاتهم ٢٣٣

أولاد هاشم وأمهاتهم ٢٣٤
أولاد عبد المطلب بن هاشم ٢٣٦
أولاد عبد المطلب وأمهاتهم ٢٣٦
أم رسول الله ﷺ وأمهاتها ٢٣٧
حديث مولد رسول الله ﷺ ٢٣٩
احتفار زمزم ٢٣٩
أمر جُرْهم ودفن زمزم ٢٤٠
ولاة البيت من ولد إسماعيل ٢٤٠
بغي جرهم وقاطوراء ٢٤٠
انتشار ولد إسماعيل ٢٤٢
بغي جرهم ونفيهم عن مكة ٢٤٣
بنو بكر وغبشان يطردون جرهما ٢٤٣
معنى بكة ٢٤٣
استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت ٢٤٧
تزوج قُصي بن كلاب حُبَّى بنت حليل ٢٤٧
أولاد قُصي وحُبَّى ٢٤٧
مساعدة رزاح لقصي في تولي أمر البيت ٢٥٠
ما كان يليه الغوث بن مرة من الإجازة للناس بالحج . ٢٥٠
صوفة ورمي الجمار ٢٥٠
نسب صفوان بن جُنَاب ٢٥١
صفوان وبنوه وإجازتهم للناس بالحج ٢٥١
ما كانت عليه عَدْوان من إفاضة المزدلفة ٢٥٢
ذو الإصبع يذكر هذه الإفاضة ٢٥٢
أبو سيارة يفيض بالناس ٢٥٢

أمر عامر بن ظَرِب بن عمرو بن عياذ بن يشكر
ابن عَدْوان ٢٥٣
ابن الظرب حاكم العرب ٢٥٣
غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش
ومعونة قضاعة له ٢٥٥
قصي يتغلب على صوفة ٢٥٥
قصي يقاتل خزاعة وبني بكر ٢٥٥
قصي يتولى أمر مكة ٢٥٦
شعر رزاح بن ربيعة في هذه القصة ٢٥٨
شعر ثعلبة القضاعي في هذه القصة ٢٥٩
شعر قصي ٢٦٠
قصي يفضل عبد الدار على سائر ولده ٢٦١
الرِّفادة ٢٦١
ذكر ما جرى من اختلاف قريش بعد قصي
وحلف المطيبين ٢٦٢
النزاع بين بني عبد الدار وبني أعمامهم ٢٦٢
حلفاء بني عبد الدار وحلفاء بني أعمامهم ٢٦٣
تقسيم القبائل في هذه الحرب ٢٦٤
تصالح القبائل ٢٦٤
حلف الفُضول ٢٦٤
سبب تسميته ٢٦٤
حديث رسول الله ﷺ فيه ٢٦٦
الحسين يهدد الوليد بالدعوة إلى إحياء الحلف ٢٦٦
خروج بني عبد شمس وبني نوفل من الحلف ٢٦٧
هاشم يتولى الرفادة والسقاية ٢٦٧

أفضال هاشم على قومه ٢٦٨
المطلب يلي الرفادة والسقاية ٢٦٩
زواج هاشم بن عبد مناف ٢٦٩
سبب تسمية عبد المطلب باسمه ٢٦٩
وفاة المطلب ٢٧٠
مطرود يبكي المطلب وبني عبد مناف ٢٧٠
اسم عبد مناف وترتيب أولاده موتاً ٢٧١
شعر آخر لمطرود ٢٧١
عبد المطلب يلي السقاية والرفادة ٢٧٦
ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها ٢٧٦
سبب حفر زمزم ٢٧٦
قريش تنازع عبد المطلب في زمزم ٢٧٨
التحاكم في بئر زمزم ٢٧٨
عبد المطلب يحفر زمزم ٢٨١
ذكر بئار قبائل قريش ٢٨٢
عبد شمس يحفر الطَّوِي ٢٨٢
هاشم يحفر بذَّر ٢٨٢
سَجْلَة والاختلاف فيمن حفرها ٢٨٣
أمية بن عبد شمس يحفر الحَفْر ٢٨٣
بنو أسد تحفر سُقَيَّة ٢٨٣
بنو عبد الدار تحفر أم أحْرَاد ٢٨٣
بنو جمح تحفر السُّنْبُلة ٢٨٤
بنو سهم تحفر الغَمْر ٢٨٤
أصحاب رُم وخُم والحَفْرة ٢٨٤
فضل زمزم على سائر المياه ٢٨٥

بنو عبد مناف يفتخرون بزمزم ٢٨٥
ذكر نَذْر عبد المطلب ذبح ولده ٢٨٦
قداح هُبَل السبعة ٢٨٧
عبد المطلب يحتكم إلى القداح ٢٨٧
خروج القداح على عبدالله ٢٨٨
عبد المطلب يحاول ذبح ابنه ومنع قريش له ٢٨٨
ما أشارت به عرَّافة الحجاز ٢٨٩
تنفيذ وصية العرافة ونجاة عبدالله ٢٩٠
ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبدالله بن عبد المطلب ... ٢٩١
عبدالله يرفضها ٢٩١
عبدالله يتزوج آمنة بنت وهب ٢٩٢
أمهات آمنة ٢٩٢
سبب زهد المرأة المتعرضة لعبد الله فيه ٢٩٢
قصة حمل آمنة برسول الله ﷺ ٢٩٢
ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله ﷺ ٢٩٣
رؤيا آمنة ٢٩٣
ولادة رسول الله ﷺ ٢٩٤
ابن إسحاق يحدد الميلاد ٢٩٤
إعلام جده بولادته وما فعله به ٢٩٦
مرضعته حليمة ٢٩٧
نسب مرضعته ٢٩٧
زوج حليمة ونسبه ٢٩٧
أولاد حليمة ٢٩٨
حديث حليمة ٢٩٨
الخير الذي أصاب حليمة ٣٠٠

رجوع حليمة به إلى مكة أول مرة ٣٠١
حديث الملكين اللذين شقا بطنه ٣٠١
حليمة ترد محمداً ﷺ إلى أمه ٣٠١
الرسول يُسأل عن نفسه وإجابته ﷺ ٣٠٢
رعيه ﷺ الغنم وافتخاره بقرشيته ٣٠٣
افتقاد حليمة له ﷺ ٣٠٤
سبب آخر لرجوع حليمة به ﷺ إلى مكة ٣٠٤
وفاة آمنة
وحال رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بعدها ... ٣٠٥
وفاة أمه ﷺ ٣٠٥
عُمْر رسول الله ﷺ حين وفاة أمه ٣٠٥
إجلال عبد المطلب له ﷺ ٣٠٦
وفاة عبد المطلب وما رثي به من الشعر ٣٠٧
عبد المطلب يطلب من بناته أن يرثينه ٣٠٧
رثاء صفية بنت عبد المطلب لأبيها ٣٠٧
رثاء بَرَّة بنت عبد المطلب لأبيها ٣٠٨
رثاء عاتكة بنت عبد المطلب لأبيها ٣٠٩
رثاء أم حكيم بنت عبد المطلب لأبيها ٣١٠
رثاء أميمة بنت عبد المطلب لأبيها ٣١٠
رثاء أروى بنت عبد المطلب لأبيها ٣١١
إعجاب عبد المطلب بالرثاء ٣١٢
نسب المسيب بن حزن ٣١٢
رثاء حذيفة بن غانم لعبد المطلب ٣١٢
رثاء مطرود الخزاعي لعبد المطلب ٣١٧
كفالة أبي طالب رسول الله ﷺ ٣١٨

اللهبي العائف ٣١٩
قصة بَحيرَى ٣١٩
محمد ﷺ يخرج مع عمه إلى الشام ٣١٩
بحيرى يحتفي بتجار قريش ٣٢٠
بحيرى يتثبت من محمد ﷺ ٣٢١
بحيرى يوصي أبا طالب بمحمد ﷺ ٣٢٢
بعض من أهل الكتاب يريدون بمحمد ﷺ الشر ٣٢٢
محمد ﷺ يشب على مكارم الأخلاق ٣٢٣
رسول الله ﷺ يحدث عن حفظ الله له ٣٢٣
حرب الفِجَار ٣٢٤
سببها ٣٢٤
قتال هوازن لقريش ٣٢٦
الرسول ﷺ يشهد القتال وهو صغير ٣٢٦
سن سول الله ﷺ في هذه الحرب ٣٢٦
سبب تسمية هذا اليوم بالفجار ٣٢٦
قائد قريش وكنانة ٣٢٦

تمت الفهرسة